

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



الموجز

في

الادب العربي وتاريخه

على

ضوء المنهج الرسمي

للاصفوف التكميلية

بقلم

عيسى منجأهيل سبابا

بكالوريوس علوم في الادب

68085

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

منشورات مكتبة صغير - بيروت

الاصير ليد في بيروت
المقر بفضل
المؤلف
عيسى صيس

الطبعة الخامسة
د. الخالص - فرب صيا (لبنان)
١٩٤٨

بسم الله خير الاسماء

امّا بعد فهذا هو الموجز في الادب العربي وتاريخه ، قد استقيته من اصحّ المصادر واثقها ، وجريت في وضعه على ضوء المنهج الرسمي ، هادفاً فيه الى ان يكون كقُدّمة لما نشر بالطبع من المطوّلات ، بحيث يُلمّ الطالب بسائر عصور الادب وتاريخها ، ويتعرّف الى نخبة من ادبائها وشعرائها المشهورين ، فلا يتهافت على دراسة الادب وهو خلو من موضوعه . وقد يرى صعوبة في فهمه وتدوّقه ، ولاسيّما في تلك المطوّلات التي بين يديه ، وهي انما وضعت لطلاب البكالوريا فلا تتناول الصفوف الدنيا كالصفّ الثالث والثاني من الدراسة الثانوية ، والطالب فيهما بحاجة الى ان يتعرّف الى عصور الادب ، فتكون كأساس يبني عليها ثقافته الادبية ، فلا يتقدّم الى الصفّ الاول فارغ الوطاب . وقد تخيرت له من الشعر والنثر ما تستسيغه الاذن ، وتقبله النفس ، ويهيئ بها الى طلب المزيد والوقوف على نتائج عقول الادباء والشعراء ، والتهافت على مؤلفاتهم والنظر في ادبهم نظر متخيّر ناقدٍ واديب متذوق .

فعسى ان يجوز هذا الموجز قبولا لدى مدراء المدارس

واساتذتها الافاضل، راجياً ان يتكرموا عليّ بملاحظاتهم القيّمة،
ليسير الكتاب مع الزمن، بهمتهم وحسن نيّتهم، من الحسن
فالاحسن . والله من وراء القصد .

عيسى مجايل سابا

بيروت

خارطة شبه الجزيرة العربية

شبه جزيرة العرب ، ودعيت جزيرة توسعاً ، يحدها شمالاً فلسطين والعراق ، وشرقاً بحر فارس او خليج العجم وجزء من الاوقيانوس الهندي والعراق ايضاً ، وجنوباً الاوقيانوس الهندي ، وغرباً مضيق باب المندب والبحر الاحمر وترعة السويس . ومساحتها ثلاثة ملايين كيلومتر مربع .

اقسامها خمسة :

- ١ - اليمن ، وفيها حضرموت وشحر ومهرة وعمان ونجران .
- ٢ - تهامة ، على شاطئ البحر الاحمر ، بين اليمن والحجاز .
- ٣ - الحجاز ، على شاطئ البحر الاحمر ، الى شبه جزيرة سيناء وتهامة ، وفيه مكة والمدينة « يثرب » .
- ٤ - نجد ، تمتد بين العراق شرقاً ، وبادية الشام شمالاً ، والحجاز غرباً ، واليهامة جنوباً ، في مرتفع من الارض ؛ وقد جرت على السنة الشعراء كثيراً .
- ٥ - اليامة ، في قلب شبه الجزيرة ، بين نجد واليمن والحجاز والبحرين .

وهواؤها معتدل ، يختلف ارتفاعاً وانبساطاً بحسب المواقع . يؤثر عليها القرب من البحر ، وارتفاع الجبال ،

وسقوط الامطار، والاقتراب من خط الاستواء،
والابتعاد عنه.

اقسام العرب :

العرب البائدة : ولا نعرف عنها شيئاً إلا ما تساقط
بالاخبار المروية .

العرب العاربة : وهم القحطانيون ؛ نرحوا ، فيما يقال ،
من سقي الفرات الى اليمن .

العرب المستعربة : وهم خليط من العرب العاربة والام
التي امتزجت بهم .

العرب المستحدثة : وهم مزيج من الشعوب التي دخلت
في الاسلام او تحت حكمهم .

الادب

مره ، موضوعه ، اركانه

الادب : هو معرفة ما يُحترز به عن الخطأ ، وهو قسمان : طبيعي
وكسبي . فالطبيعي هو ما فُطر عليه الانسان من الاخلاق
الحسنة والصفات الحمودة كالكرم والحلم .
والكسبي : هو ما اكتسبه الانسان بالدرس والحفظ وإنعام

النظر في مصنفات البلغاء . وهو على ذلك يكون دائماً صناعياً
تعرف به اساليب الكلام البليغ في كل حال من احواله .

موضوعه : ان موضوع علم الادب هو القول المحمود الذي
يتدرّب به الناشئ على فضيلة من الفضائل ، كالعفة والزهد
والشجاعة والكرم الى غير ذلك ، متذوقاً تراث ما خلقه ابناء
العصور الغابرة والحاضرة من شعر او نثر او حكمة او مثل ؛
وعلى الجملة هو ذلك الجمال المعنوي الذي يبدعه الشاعر او الكاتب
من نتاج العقل وامثلة الطبع وصور الخيال المنتزعة من محسوس
متعدد ، يتمثله الفكر ذاتاً او معنى ^(١) ، وغايته عصمة اللسان من
زلة الجهل وترويض الاخلاق وتلين الطباع ، واعانة المرء على
المروءة وانهاض الهمم الى طلب المعالي والامور الشريفة
والصفات المشكورة .

اركانه : ان اركان علم الادب اربعة :

١ — قوى العقل الغريزية وهي : الذكاء ، الخيال ،
الحافظة ، الحسّ والذوق .

٢ — معرفة الاصول ، وهي مجموع قوانين الكتابة من
حسن التأليف وضروب الانشاء وفنون الخطابة .

(١) الذات هي المحسوس . المعنى : ما يدركه العقل ولا يقع تحت لمس .

٣ — مطالعة تصانيف البلغاء بالتأني والتبصر .

٤ — انتقاء ما استجاده المطالع من اللفظ الحرّ والتراكيب الصحيحة والمعاني البليغة ، والتدرب بوجوه النظم والنثر ، والاتيان بكلّ رشيق انيق .

التاريخ ، فائدته

التاريخ : هو معرفة اخبار الماضين واحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم ، واعتقادهم وادبهم ولغتهم .
وتاريخ اللغة هو علم يبحث عن احوال اللغة ، نثرها ونظمها ، في عصورها المختلفة ، من حيث رفعتها وضمعتها ، وما كان لنابغيها من الاثر البين فيها .

فائدته : ان فائدة تاريخ اللغة هي : حفظ ما فيها من نتاج العقل والقلب ، وهو الركن الذي تدعم فيه الشعوب وحدتها وشرفها وفخرها . والامة التي تحرم آدابها وعلومها وتراث اجدادها ، تفقد خصائصها ، ونظام وحدتها وقوميتها .

الفنون الادبية

هي الشعر ، والنثر ، والخطابة ، والامثال ، والحكم ،
والوصف ، والمناظرة ، والمقامات ، والتاريخ ، والرسالة .
امّا الشعر ، فهو الكلام المنتخب بحرسه وخفته ورشاقتة ،
الموقع على البحره بقافية موحدة ، لا تتناول غيره . ويعبر فيه عن
الاخيلة البديعة والصور البليغة . وإن من النثر الفني ما ينزل
منزلته ، اذا كان خفيف الالفاظ ، رشيقة ، فيه صور وأخيلة .
والشعر اقدم الآثار الادبية عهداً ، وذلك لصلته بالشعور
وعلاقته بالطبع ، وهو لا يحتاج الى رقي عقلي او تحقيق علمي .
ولا نعلم عن تاريخ الشعر عند العرب شيئاً ، ولا اول من نظمته ؛
وكل ما نعلم ان الشعر وصلنا محكماً مقصداً . وليس من العقل
في شيء ان نذهب مذهب من يزعم «ومهلل الشعراء ذاك الاول»
وقد كان قبل الاسلام بمئة وسبعين سنة تقريباً ، مع أن الأمة
العربية سامية ، وجدت منذ وجود الامم ؛ والغناء والشعر والهيكل
مثلث لازم نشأة الامم ، وترقى متدرجاً ، فكان لنا من جراء
ذلك شعر المهلهل بن ربيعة ، وامرئ القيس ، وغيرهما من شعراء
الجاهلية . وان ما وصلنا من الشعر يحملنا على القول إن عصوراً

وعصوراً تعاقبت على الشعر ، وتقلّبت به الحوادث ، وصقلته
الأسنة حتى تهذب أسلوبه ، وتشعبت مناحيه . ويؤيد قولنا
ما نقل عن لسان امرئ القيس :

عوجاً على الطلل القديم لعائنا نبكي الديار كما بكى ابن حزام
فمن هو ابن حزام ومتى وجد ؟
وقول عنزة العبسي :

هل غادر الشعراء من متردّم أو هل عرفت الدار بعد توهم
وقول زهير بن أبي سلمى :

ما أُرانا نقول إلا مُعاراً أو مُعاداً من قولنا مكروراً
فما هو هذا القول المعار المكرّر وعمّن صدر ؟ ان مجال القول
ذو سعة ، والتاريخ قاصر عن جلاء هذه الحقيقة ، والآثار ما
زالت في بعض انحاء الجزيرة العربيّة في طيّ الخفاء .

الكلام المرسل والسجع

يزعم غير واحد من مؤرخي الادب ، ان العرب خطّوا
من المرسل الى السجع ، فقد بدأوا بالثر وتوصّلوا منه الى الشعر .
وكان عشورهم عليه في الاصل اتفاقاً غير مقصود اليه ؛ فلما
استحسنوه واستطابوه ، ورأوا ان الاسماع تألفه ، وترتاح اليه

النفوس ، تتبعوه وتكلفوا له ^(١) ، وانتقلوا من السجع الى الرجز ،
ومنه الى القصيد ، وكان السجع في طبقة الكهان ، يناجون به
آلهتهم ، ويقيّدون به الحكمة ، ويُعمّون الجواب .

ولعلّ الشعر كان مصدره من سجع الكهان ؛ وليس بعيداً
ان يكونوا قد صاغوا من الكلام المسجوع انشيد وادعية ،
وتنبأوا بأسرار الغيب بِجُمْلٍ مسجّعة ، وأجروها بحرى الغناء .
فارتاحت لذلك النفوس ، فنقلوه الى الصحراء ، يحدون وينشدون .
فكان من هذا كلّهُ نواة للوزن والقافية ، وتعدّدت الابحر
الشعرية بحسب احساس القائل ، فكان للحماسة بحر ، وللغزل بحر ،
وللهزج بحر وهكذا الى آخر الابحر المعروفة لدينا وهي ستة عشر
بحراً . ويؤيد ما ذهبنا اليه من ان الشعر مصدره غناء ، هو قولنا :
أَنشَدنا الشعر ، وفنّ الانشاد ؛ وما زال في البداوة يوقّع على وتر
الربابة الى يوم الناس هذا .

الشعر العربي

مشى الشعر العربي منذ نهضته في سبيل خاص ، لم يتعدّه
الى غيره ؛ فهو يصف حياة الفرد وعواطفه وميوله واهوائه ؛ وهو

(١) اعجاز القرآن للباقلائي .

وان تناول حياة الجماعات ، لا يهمل في وصفه شخصية الشاعر .
والشعر العربي منذ نهضته لم يعرف فن التمثيل ، كالشعر
الاجنبي القديم الذي بدأ قصصياً ، فيه اخبار الآلهة والابطال ؛
بل ظل غنائياً ولماً يزل ، وتسلسل في حدود النوع الغنائي ، فتناول
منذ العصر الجاهلي الفنون الغنائية ، فنرى فيه الفخر بآثر الفرد
والقبيلة ، والمدح للافراد النابهين وللقبائل ، ونرى ايضاً الرثاء
والهجاء ، والغزل ؛ وبين هذه الانواع ما اعتوره الضعف ، فلم يقو
ويكثر ألا بعد الاسلام .

والشعر العربي قصير بالنسبة الى الشعر الاجنبي ، وقوامه
القصيدة التي تقصر وتطول حتى تبلغ المئة او ما يتجاوزها ،
وقد عرفوا القصيدة بكل شعر تجاوز سبعة ابيات فما فوق .

ونرى في القصيدة العربية وحدة مستقلة ، لا تتعدى موضوعها
الى غرض آخر ، ولها ثلاثة مشخصات :

١ - المعنى والموضوع ، وهو الغرض الذي يحاول الشاعر
السمعي اليه ، وتصويره بما يقول من شعر مدح او فخر او غزل او
رثاء ، الى غير ذلك .

ب - القافية ، وهي حرف ياتزمه الشاعر في قصيدته ،
او ابياته ، فلا يتجاوز ذلك الحرف الى غيره ، ملتزماً رويّاً واحداً .

ج - الوزن ، وهو نوع من الايقاع الموسيقي ، يتألف من

اجزاء على نحو خاص ، والتزامه واجب التزام القصيدة والروي :
فاذا كانت القصيدة على البحر الطويل ، كملقة امرئ القيس ،
لا يجوز له ان يعدل الى نوع آخر من الوزن ، بل عليه ان يلتزمه
في كل ابيات القصيدة .

اغراض الشعر وانواعه

للشعر ثلاثة انواع :

ا - شعر غنائي او وجداني ، يستمدّه الشاعر من طبعه ،
ويجود به من قلبه ، معبراً عن شعوره .
ب - شعر قصصي : يتناول نظم الوقائع الحربية ، والمفاخرة
بالقومية على نسق قصصي ، مثل إلياذة هوميروس ، وشاهنامه
الفردوسي .

ج - شعر تمثيلي ، يعتمد الشاعر فيه الى واقعة فيتصور
الاشخاص الذين قاموا بحوادث الرواية ، فينطقُ كلّاً منهم ما
يراه حقيقاً به او اهلاً له ، ناسباً اليه ما يصدق عليه من الافعال .
ويرى غير واحد من جهابذة الادب ، ان الشعر الغنائي اسبق
هذه الانواع ، ودليلهم ان الشعر اصله غناء ، وشعور الانسان
بنفسه احق من الشعور بغيره . والانسان اذا ما كان منفرداً في

مكان ما ، تراه يتغنى وينشد بما يسري عنه السأم ووحشة الوحدة ؛
وكذلك نراه اذا ما وقف امام منظر خلّاب ، فانه يأخذ بالتعبير عن
شعوره بما يشبه الشعر وان لم يكن مطبوعاً على الشعر ، وذلك
لانّ الشعر ، يقوم على الخيال الذي يغذيه الحس ، والعربي في
صحرائه لا يسمع بغير اخبار البطولة والغارات ، ولا يعرف
من الجمال غير جمال المرأة ، وكثيراً ما نرى استفتاح كل معلّقة
بذكرها .

أوليّة الشعر

ينكر علماء الادب ما يرويه القصّاص من الشعر الذي
ينسبونه الى عاد وثمود وطسم وجديس وغيرها من القبائل البائدة ،
ويجهرون بأنهم لا يعلمون البتة أوّل من نطق بالشعر ، ويؤمنون
ان الشعر العربي ، قبل الاسلام ، قد تبدّد وذهب اكثره بموت
الحفظة او الرواة ، وما وصلنا منه قليل جدّاً ؛ والذي صحّ من
المرويّ عندنا لا يعدو قرناً ونصف القرن ، قبل ظهور الاسلام .
وبعض الجاهليين قد ادر كوا الاسلام ، وبعضهم مات قبيل البعثة
او بعدها . والذي اتصل بنا خبره ، تمّن حمل لواء الشعر واجمع عليه
جماعة من علماء الادب ونقّدة الشعر ، هو امرؤ القيس بن حجر

الكندي . وان نحن نظرنا في الشعر الجاهلي ، رأيناه يتميز عن غيره بالبساطة ، فتحسُّ وانت تقرأه ان الشاعر كان ينشد بدون كلفة ، وتبين الصراحة في حبه ومدحه وحزنه ومفاخرته ، وتهيمن على القصيدة الالفة ، فلا يستعطي ولا يتدنى للذم البذي ، وتجد البلاغة وقوة التعبير مع حسن الاليجاز ، فكان خير الكلام عنده ما قل ودل .

وميزة الشعر الجاهلي تنحصر في عدم المبالغة ، والاعتماد في التشابيه على ما يقع تحت الحس ، والتادي في دقائق الوصف مع الاليجاز تعبيراً ولفظاً .

الشاعر وتأثيره

كان الشاعر ، في الجاهلية ، زعيم القبيلة ، وهو لسانها الناطق بمكارمها ومفاخرها ، وسلاحها الذي يذود به عن حياض شرفها ، وبنوع خاص ، ان نبوغ الشاعر في قبيلة من القبائل كان مبعثاً للسرور ، فتقام له الافراح ، وتنحدر له الجزور ، وتأتي القبائل مهنئة القبيلة التي نبغ فيها الشاعر . وقيل إنه ما كانوا يهشون إلا بفلام يولد ، او شاعر ينبغ ، او فرس تنتج ، وذلك لأهمية الشعر في نفوس العرب ، لما طبعوا عليه من تمسُّق الجمال الفكري ، فبيت من

الشعر يرفع القبيلة او يحطها عن مكانتها . ومما يروى بهذا الصدد ما نقل عن الاعشى الشاعر وآل الملق ، قيل : إِنَّ الملق كان ابا ثمانى بنات عوانس ، رغبت عن خطبتهن الرجال لفقرهن ؛ فأضافه الاعشى على فقره ، فمدحه ونوه بذكره في عكاظ ؛ فلم يمض عام حتى لم تبق جارية منهن إلا وهي زوج لسيد كريم . ومطلع قصيدة الاعشى في مدح الملق :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرقُ

وما بيَ من سُقمٍ وما بيَ تعشُّقُ

ومنها :

يداهُ يدا صدق فكفٌ مُبيدَةٌ

وكفٌ اذا ما ضُنَّ بالمالِ تُنفقُ

ومن ذلك ايضاً ما يروى عن حسّان مع بني عبد المدان ، وقد هجاهم بقوله :

لا بأسَ بالقومِ مِنْ طولٍ وَمِنْ غِلَظٍ

جسمُ البغالِ وأحلامُ العِصافيرِ

فقال له بنو عبد المدان : والله ، يا ابا الوليد ، لقد تركتنا ونحن

نستحي من ذكر احسابنا بعد ان كنّا نفخر بها ، فقال لهم : ساصليح ما افسدت ، ثمّ انشد :

وقد كنّا نقولُ اذا رأينا لذي جسمٍ يُعدُّ وذى بيانٍ

كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعْطَى لِسَانًا وَجَسَمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ
وَمِنْ هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ نَقْدَرُ أَنْ نَفْهَمَ مَا كَانَ لِلشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ
مِنْ تَأْثِيرٍ عِنْدَ الْعَرَبِ .

الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَمُلُوكُهَا

وَقَدْ اشْتَهَرَ مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ كَثِيرٌ ، مِنْهُمْ :
ذُو نَوَاسِ (٥١٥ - ٥٢٥ م) مِنْ مُلُوكِ التَّبَابَعَةِ فِي الْيَمَنِ .
عَمْرُ بْنُ هَنْدٍ (٥٦٣ - ٥٧٩ م) مِنْ مُلُوكِ الْمَنَازِدَةِ فِي الْعِرَاقِ .
الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمْرٍ (٥٢٩ - ٥٦٩ م) مِنْ مُلُوكِ الْغَسَّاسِيَّةِ
فِي دِمَشْقَ .
حَجْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَنْدِيُّ ، وَالِدُ أَمْرِى الْقَيْسِ ، وَهُوَ آخِرُ
مُلُوكِ كَنْدَةَ .

أَثَرُ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

يُقَسَّمُ الْعَرَبُ إِلَى قَسْمَيْنِ : حَضَرٍ وَبَدَوٍ . أَمَّا الْحَضَرُ فَهُمْ
سُكَّانُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ وَمِشَارِفِ الشَّامِ . وَكَانَ لَهُمْ
حُكُومَاتٌ مُنَظَّمَةٌ وَقَوَانِينٌ مَدُونَةٌ قَدْ اسْتَمْدَوْهَا مِنَ الدُّوَلِ
الْمُجَاوِرَةِ .

فلوك العرب المتأخون للروم البيزنطيين وللفرس ، كانوا عملاً موالين للدولتين العظيمتين : الغساسنة ومنازلهم في مشارق الشام ، وكانوا من عمال الروم ، والمناذرة ومنازلهم في العراق ، كانوا من عمال الفرس . وكانوا يشتركون معهم في حروبهم ، وينصرونهم على أعدائهم . ولذلك نرى ان العداوة كانت مستحكمة بين الغساسنة والمناذرة استحكام العداوة بين الروم والفرس ، فقد قامت بينهما حروب وغارات حرّضت عليها الخطباء ، وتغنّت بمواقعها الشعراء .

أما البدو فهم سكان البادية ، كانوا ينتجعون بالهم اما كن الخصب ، ويعيشون في تلك الصحراء قبائل متفرقة ، مستقلة ، وليس لهم حكومة منظمة ولا قوانين ثابتة . وكان لكل قبيلة رئيس يقودها الى الحرب . وكانت علاقة القبيلة بالقبيلة علاقة عدا ، فكثيراً ما كانت تغير القبيلة على اختها ، تغتم مالها ورجالها ونساءها ، وتبقى الاخرى متربّصة بها الدوائر لتنتقم منها ، كما يظهر لنا جلياً من قول الشاعر :

يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتَرِينِ فَيُشْتَفَى

بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نَغِيرُ عَلَى وَتِرِ

قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا

فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

فالتنازع كان مستديماً بين القبيلة والاخرى ، ولكل منها دينها وصنمها الذي تتعبد له ، وكاهنها او كاهنتها .

ومن اشهر دياناتهم : عبادة إله ابرهيم واسماعيل ، وهم الأحناف ؛ وعبادة التماثيل والاصنام ، واسماؤها هي : مناة ، والعزى ، ونسر ، ويغوث ، ويعوق .

وكان الرجل منهم ، اذا اراد سفراً ، يتمسح بالصنم حين يركب ، وهذا آخر ما يعمل اذا ركب في سفر ، وعند رجوعه كان يبدأ به قبل ان يدخل الى اهله .

على ان دين التوحيد كان معروفاً في الجزيرة العربية ، تدين به بعض القبائل كالحنيفة في مكة ، واليهودية في يثرب واليمن ، والنصرانية في نجران والحيرة ، ولكل منهم كتبهم المقدسة وطقوسهم .

حياة البداوة والحضر

كان البدو من العرب يعيشون أحراراً ، يتنقلون من مكان الى آخر ، يسوقون ماشيتهم من جمال وغيرها ، يحملونها أثاثهم ويقتاتون من لحومها ، ويغتذون بألبانها ويكتسون بوبرها وبصوف الغنم وشعر الماعز . وكان كسبهم الذي يعولون عليه ، الغزو ، والغارة ، وانتاج الكلاب ، وما تدرّ انعامهم من لبن . وكانوا

يَقْطَعُونَ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ بِمَعَاقِرَةِ الْحُمْرِ وَلَعِبِ الْمَيْسِرِ . وَمِنْ الْمَزَايَا الَّتِي
اشْتَهَرُوا بِهَا : الشَّجَاعَةُ ، وَعِزَّةُ النَّفْسِ ، وَالْإِيَابُ ، وَالسَّخَاةُ ،
وَالْوَفَاءُ ، وَالنِّبَاهَةُ ، وَقُوَّةُ الذَّاكِرَةِ ، وَشِدَّةُ الْاِخْتِبَارِ ، وَالْحَنَكَةُ .
وَهُمْ ، عَلَى بَدَاوَتِهِمْ ، كَانُوا سَرِيعِي الطَّرَبِ ، سَرِيعِي الْغَضَبِ ،
يَرْغَبُونَ فِي الْاِنْتِقَامِ وَالْأَخْذِ بِالثَّأْرِ ، وَقَدْ شَارَكَهُمْ بِذَلِكَ نِسَاؤُهُمْ .
وَمِنْ اِشْتَهَرْنَ بِالشَّجَاعَةِ ، سَلْمَى بِنْتُ عَمْرٍو ، وَابَسُوسُ الَّتِي اِشْعَلَتْ
نَارَ الْحَرْبِ بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ . وَمِنْ اِشْتَهَرْنَ بِالشَّعْرِ ، جَلِيلَةُ وَالْخُنْسَاءُ .
وَأَمَّا الْحَضَرُ مِنْهُمْ ، فَقَدْ كَانَ لَهُمْ رِحَالَاتٌ إِلَى الشَّامِ وَالْيَمَنِ ،
يَتَاجَرُونَ وَيَقُومُونَ بِبَعْضِ الصَّنَاعَاتِ وَالْأَعْمَالِ الْمَعَاشِيَةِ . وَيَقَالُ
إِنَّ الْأُمِّيَّةَ قَدْ غَلِبَتْ عَلَى الْعَرَبِ ، فَقُلْتُ بَيْنَهُمُ الْكِتَابَةُ وَالْقِرَاءَةُ ؛
فَكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ الشَّعْرَ وَيَحْفَظُونَهُ وَيَتَغَنُّونَ بِهِ ، وَيَعْظُمُونَ
الشُّعْرَاءَ ، وَيَكْرُمُونَ الْخُطَبَاءَ ، وَيَفَاخِرُونَ بِهِمْ ، وَيُمْتَثِلُونَ لِأَمْرِهِمْ ،
وَيَتَأَثَّرُونَ بِأَشْعَارِهِمْ وَخُطْبِهِمْ .

وَبِحَكْمِ ذَلِكَ الْاِنْقِسَامِ وَالتَّفَرُّقِ ، كَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ لَهْجَةٌ ،
وَلِكُلِّ قَطْرٍ لُغَةٌ تَخْلَفُ فِي أَكْثَرِ الْفَاضِلِ لُغَةُ الْقَطْرِ الْآخَرِ . وَقَدْ
عَمَّتْ لُغَةُ قُرَيْشٍ بِلَادَ الْحِجَازِ ، وَاللُّغَةُ الْحِمَيْرِيَّةُ بِلَادَ الْيَمَنِ . وَكَانَتْ
لُغَةُ قُرَيْشٍ تَسُودُ اَنْحَاءَ الْجَزِيرَةِ ، لِرِئَاسَةِ قُرَيْشٍ ، وَلِلْاَسْوَاقِ الَّتِي
كَانَتْ تَقَامُ فِي قَطْرِهَا ، وَتَمَّتْ لَهَا الْغَلْبَةُ بِظُهُورِ الْاِسْلَامِ
وَفَضْلِ الْقُرْآنِ .

المصر الاول : الجاهلية

الادب الجاهلي وموطنه

عرفنا ممّا تقدّم ان العرب كانوا يحبّون الشعر ويتعشقونه ، فينشدونه ويلقون الخطب في حلّهم وترحالهم ، في افراحهم واطراحهم . فهذا بدويّ يسوق جماله في قلب الصحراء ، يرسل الحدا ، نغمًا شجيًّا ؛ وهذه اعرابية في مضر بها ، تبعث الصوت شعرا في ملء الفضاء ؛ وآخر في واحته ، بين شجرات النخيل ، يترنم فلا يُحسّ وحشة الوحدة . فيطربون انفسهم ، ويذلّون مصاعب الحياة بما ينشدون من شعرٍ رائق وخيال صجراويّ .

وعدا هذا كله ، كان لهم أسواق يقيمونها في اوقات معينة ، يتوافدون اليها من كل ناحية ، يبيعون ويشتررون ، ويتداولون بشؤونهم ، ويتباحثون ، ويتناظرون ، ويتفاخرون ، ويتنافرون ، ويفتدون الأسرى ، ويتحاكمون في الخصومات .

وكانت هذه الأسواق من العوامل الاولى في شحذ القرائح ، وتمحيص الحقائق ، وتنقيح اللغة ، وتوسيعها ، وتوحيدها بين القبائل العربية على تفاوت لهجاتهم ولغاتهم . وأشهر هذه الأسواق ، سوق عكاظ ، وكانت تقام في الاشهر الحرم ، على مقربة من

الطائف ، فتتوافد العرب اليها قبل قضائهم مناسك الحج ،
فيقضون فيها عشرين يوماً . ومن اشهر المحكمين فيها ، النابغة
الذبياني ؛ ومن اشهر شعرائها ، اصحاب المعلقات ؛ ومن اشهر
خطبائها ، قس بن ساعدة الايادي .

ومن اسواقهم ايضاً : مِجَنَّة ، وذو المجاز ، وهَجَر .



سلامة الشعر الجاهلي

لقد شكَّ غير واحد في صحَّة نسبة ما لدينا من الشعر الجاهلي
الى اصحابه ، ومن حججهم في ذلك ما يأتي :

١ — لم تكن الكتابة شائعة في الجاهلية .

٢ — انتحل بعض شعراء الاسلام قسماً كبيراً من شعر
الجاهليين ، دسوا فيه الوعد بالنبى .

٣ — لم تكن اللغة العربية ، المقولة فيها اشعار الجاهلية ،
واحدة ، بل كان لكل قبيلة لغتها ولهجتها كما
تقدم .

هذه أهم الاحتجاجات ، وهي واهية كما يتضح . نجيب
عنها بما يأتي :

جاء في الكتب الموثقة انه كان عند آل النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان ^(١) . ثم اننا نرى من اوصاف المعيشة البدوية والعادات الدينية والمدنية ما يؤيد صدورهما عن أناس عاشوا في الجاهلية .

ثم إنَّ عدم شيوع اللغة يلزم فهم شيوع لغة واحدة ، وإلا فكيف كانوا يتفهمون ما يلقي في اسواقهم ، ويتناشدون في عكاظهم ، ويتحاكمون على اختلاف قبائلهم ، امام حكم واحد ؟ ولا بدَّ من ان تكون لغة قريش قد سادت الجزيرة ، وكانت هي اللغة الادبية بين الشعراء والخطباء ، وإلا فكيف فهم العرب القرآن .

على ان الدسَّ في الشعر الجاهلي قد وقع بطريق الرواية ؛ وتغيير لفظة بأخرى امر نبه عليه أئمة اللغة ونقدة الشعر ، وأشاروا الى المنتحل والمدسوس . وأما نسبة هذا الشعر الى شعرائه ، فهو محقق لدى مؤرخي الادب وأعلامه ، وقد أجمع عليه شعراء صدر الاسلام ، وتأثروا به ، كما سنبين ذلك في الفصول الآتية .

(١) راجع مقالاً لنا عنوانه « التدوين العلمي والادبي في الجاهلية » ، في مجلة « الاديب » البيروتية ، الجزء الحادي عشر ، السنة السادسة ، سنة ١٩٤٧ ، ص ١٨ ؛ ومقالاً آخر عنوانه « العرب والتدوين العلمي في الجاهلية قبل الاسلام » في « الرسالة المخلصة » سنة ١٩٤٨ ، العدد الخامس ، ص ٣٣٩ .

النثر الجاهلي

النثر هو الكلام المرسل الذي لا يرتبط بوزن ولا قافية ، وهو إما ان يكون حديثاً يدور على ألسنة الناس في أغراضهم المختلفة ؛ وإما ان يكون كتابة يتخاطب به عن بعد برسم حروف تواطأ الناس على شكلها ، وصارت متعارفة لديهم ، يأخذونها بالتلقين والتمرين ، يحفظون بها ما ينتجون من ثمار الفكر . وهو ، إن خلا من التقفية ، فهو المرسل ؛ وإذا تواطأت فيه فاصلتان او أكثر على حرف واحد ، فهو المسجع . ولعرب الجاهلية نثر كثير قد ضاع ولم يصلنا منه إلا بعض خطب قليلة وامثال وحكم قد تكون دليلاً على كثرته ، ليس من شأن هذا الموجز بحشه . أمّا ميزة نثرهم فتندرج تحت الامور الآتية :

١ — ترك التأنق في اختيار الالفاظ ، والتكلف في صوغ العبارة .

ب — هجر التعمد في السجع والمحسنات البديعية التي ما عرفناها إلا في العصر العباسي ، وتكاثرت في زمن الانحطاط .

ج — قصر الجمل وقلة العناية بالربط بينها .

د — جزالة الالفاظ ، ومتانة التركيب ، وسهولة

استخراج المعاني .

ه — استعمال الكناية القريبة الفهم ، وقلة التعمق في
الافكار العويصة .

و — ترصيعه بالأمثال والحكم .

الخطابة

الخطابة ضربٌ من الكلام ، وسبيل الاقناع . وهي مظهر
من مظاهر الفروسيّة وعدة التأثير ، لما فيها من حضور المتكلم
بشخصه ، يدافع بها الخطيب عن رأيه وعن كل ما يؤيد مذهبه .
وقد تكثر الحاجة اليها عند انتشار الحروب ، وحدوث الانقلابات
السياسية والدينية والاجتماعية . وقد تكون فطرية في القبائل
التي نشأت على البداوة ، ولا قوانين مدوّنة ترجع اليها ، ولا
حكومة تقوم بحاجتها ، فيرغم المرء عندئذٍ على الدفاع عن نفسه
وقومه بلسانه ، ولما كان ذلك كذلك ، كان لا بدّ لمن عاش في
البداوة ان يؤاتيه الكلام وجمال البيان وفصاحة اللسان ، فينشأ
خطيباً كسناً ، تفتق مقولته الحاجة وما تدعو اليه الحال . وقد
استحسنوا في الخطيب ان يكون جهوري الصوت ، جميل الطلعة ،
كريم الأصل ، أنيق اللهجة ، قويّ الحجّة ، ثابت الجنان ، يخطب
فيهم وهو واقف على مرتفع من الارض ، متخيراً عصاه ، او

على ظهر راحلته . ولهم خطب عديدة لم يصلنا منها شيء ؛ وان
كان قد وصل منها شيء ، فقد وصلنا على غير حقيقته ، وقد
اعتوره نقص او زيادة او تغيير . على ان ذلك لا يمنعنا من ان
نعرف منه امثلاكهم ملكة اللغة ، وفصاحة التعبير . ويبدو لنا
أن تفرقهم الى قبائل ، دعاهم الى ايجاد خطيب يجمع كلمتهم ،
ويدافع عن حقوقهم ، ويشير فيهم النخوة ، لشن الغارات لأقل
الاسباب ، والدفاع عن النفس ، والتحريض على القتال او الصلح
او الثأر والانتقام ، وإرسال الوفود الى الملوك ورؤوس القبائل
البعيدة لتفاهم معهم .

ويتضح لنا من الخطب التي بين ايدينا ، أن خطبهم كانت
قصيرة الفواصل والأسجاع ، كثيرة الأمثال والحكم ؛ وكان
الخطيب عندهم كان يميل الى الإيجاز ، التماساً لسهولة الحفظ
وسرعة الانتشار . وجملة القول أن القصد من الخطابة إثارة
الشعور وإيقاظ الوجدان ، كما هو الشأن في الشعر ؛ وكان جل
الاعتماد فيها على الأدلة المؤثرة في النفوس ، المهيجة للعواطف .

وخطب العرب ، منها الطوال ومنها القصار ، ولكل منها
مقام ، وهم الى القصار أميل من الطوال ، لا نطباعهم على حب
الإيجاز ، ولا سيما أن ذلك مدعاة الى الحفظ السريع ، ولشيوعه
في الأصقاع بسرعة .

لما ذج من الخطب والوصايا

خطبة هاني بن قبيصة الشيباني لقومه في يوم ذي قار :

« يا معشر بكر ! هالكٌ معذورٌ ، خيرٌ من ناجٍ فرور . إن
الحذرَ لا ينجي من القدر ، وإن الصبرَ من اسبابِ الظفر . المنيةُ
ولا الدنيةُ . استقبالُ الموتِ خيرٌ من استدباره . الطعنُ في تُغر^(١)
النحور ، أكرمُ منه في الأعجاز والظهور ، يا آلَ بكرٍ ! قاتلوا
فما للمنايا من بُدٍّ » .

وخطب عبد المطلب عند سيف بن ذي يزن ، بعد انتصاره
على الحبشة :

« إنَّ اللهَ تعالى ، أيُّها الملكُ ، أحلكَ محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ،
بإذخاً شامخاً ، وأنبئتكَ منبتاً ، طابت أرومتهُ^(٢) وعزَّتْ
جرثومتهُ ، ونبلَ أصله ، وبسَقَ^(٣) فرعُه في أكرمِ معدنٍ ، وأطيبِ
موطنٍ ، فانتَ ، أبيتَ اللعنَ^(٤) ، رأسُ العربِ وربُّعُها الذي به
تخصبُ ، ومَلِكُها الذي به تنقادُ ، وعمودُها الذي عليه العبادُ ،
معقلُها الذي اليه تلجأُ العبادُ . سلفك خير سلف ، وانتَ لنا بعدهم
خير خلف ولن يهلكَ مَنْ أَنْتَ خلفه ، ولن يَخْمَلَ^(٥) مَنْ أَنْتَ

(١) تُغر ، مفردُها تُغرة ، وهي نقرة النحر بين الترقوتين . (٢) أصله .

(٣) طال . (٤) أي أبيت ما تأتي ما تأمن عليه . (٥) يسقط .

سلفه . نحنُ أيُّها الملكُ ، أهلَ حرمِ الله وذمَّتِه ، وسدنة بيته ؛
أشخصنا ^(١) اليك الذي ابهجنا بكشفِ الكربِ الذي فدحنا ؛
فنحنُ وفدُ التهنئةِ ، لا وفدُ المرزئةِ » ^(٢) .

ولما احتضر ذو الاصبع العدواني ، دعا ابنه أسيداً ليوصيه
فقال :

« يا بني ! إنَّ أباك قد فني وهو حيٌّ ، وعاش حتى سئمَ
العيشَ ، وإني موصيك بما إنَّ حفظته ، بلغت في قومك ما بلغتُه .
فاحفظ عني :

« ألنَّ جانبك لقومك ، يحبُّوك ؛ وتواضع لهم ، يرفعوك ؛
وابسط لهم وجهك ، يطيعوك ؛ ولا تستأثر عليهم بشيء ، يسودوك ؛
وأكرم صغارهم ، كما تُكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ،
ويكبرُ على مودَّتِكَ صغارهم ؛ واسمح بما لك ، واحم حريمك ،
وأعزَّ جاراك ، وأعنَّ من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع
النهضة في الصريخ ^(٣) ، فإنَّ لك أجلاً لا يعدوك ؛ وُصْن وجهك
عن مسألة أحدٍ شيئاً ، فبذلك يتمُّ سوْدُوك » .

(١) شخص من بلد الى بلد ذهب . (٢) المصيبة . (٣) نداء المستغيث

المثل

المثل : هو القول السائر الذي يشبه مضربه مورده . ويكون حقيقياً ، اذا نُقِلَ عن اصل معروف ، وفرضياً اذا قيل عن لسان حيوان او نبات او جماد . وكان للعرب في جاهليتهم ولع شديد في الاقوال الموجزة ، والتشابه البليغة ، والكنائيات الدقيقة ؛ فأكثرُوا من ذكر الامثال في شعرهم ونثرهم ، وكانوا يصدرونها إماماً عن رجل مشهور ، وإماماً عن حادث مضى ، وإماماً عن حادث عادي . كقولهم :

- « مَضَى بِخَفِّي حَنِينٌ » : وهذا يُضرب في الخيبة .
- « اوفى من السموأل » : يُضرب في الوفاء .
- « جَوَّعَ كَلْبَكَ يَتَبَعُكَ » : يُضرب في معاملة اللئيم .

الوصية

الوصية : هي نصيحة يلقيها صاحب الشأن في وقت معين ، بقصد الترغيب في ما ينفع او يضر . ولعرب الجاهلية وصايا كثيرة ، توخّوا فيها ايجاز الألفاظ وجزالتها ، وفصاحة العبارة وسهولتها . وأكثر ما يلقي بها الأب الى بنيه ساعة احتضاره ، او يقدمها

رئيس قبيلة في الامور المهمة، كوصية مروان بن زباع العبسي وقد قال يوصي قبيلته :

« يا بني عبس ! احفظوا عني ثلاثاً : إعلموا أنه لا ينقلُ احدٌ اليكم حديثاً إلا نقلَ عنكم مثله ، إستكثروا من الصديق ما قدرتم ، واستقلُّوا من العدو ، فان استكثاره مُمكن » .

الحكمة

الحكمة : قول رائع يتضمن عظة . فهي ثمرة الخنكة ، ونتيجة الخبرة ، وخلاصة التجربة . وقد رُصع بها خطباء الجاهلية وشعراؤها اكثر خطبهم وشعرهم . ومن حكم الجاهلية قولهم : « مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ ، أَمِنَ الْعِثَارَ . الْعِتَابُ قَبْلَ الْعِقَابِ . رَضِيَ النَّاسُ غَايَةً لَا تُدْرِكُ . بِالتَّائِي السَّلَامَةِ وَبِالْعَجَلَةِ النَّدَامَةِ . الْخَطَا زَادُ الْعَجُولِ . عِيٌّ صَامِتٌ خَيْرٌ مِنْ عِيٍّ نَاطِقٌ » .

الخطباء

كان للعرب في الجاهلية خطباء كثيرون ، نجتزئ بذكر أشهرهم في هذا الموجز ، وقد هددنا في وضعه الى الإمام بمصور الادب .

فَسْ بِن سَاعِدَة

هو قِسُّ بن ساعدة الايادي ، ويُقال إنه كان اسقف نجران ،
وخطيب العرب وشاعرهم وحكيمهم ، وحكمهم في سوق
عكاظ . وقد اشتهر بالقاء الموعظة وصوغ الحكم ؛ وله خطبة في
سوق عكاظ ، قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْمَعُوا وَعُودُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ
فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلٌ دَاجٌ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . وَنُجُومٌ
تَزْهَرُ ، وَبَحَارٌ تَزْخَرُ ؛ وَجِبَالٌ مَرْسَاةٌ ، وَأَرْضٌ مَدْحَاةٌ ^(١) . وَانْهَارٌ
مَجْرَاةٌ . إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخُبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا . مَا بَالُ النَّاسِ
يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرْكُوا فَنَامُوا ؟ يُقَسِّمُ
قِسٌّ بِاللَّهِ قِسْمًا لَا إِثْمَ فِيهِ : إِنَّ لِلَّهِ دِينَأً هُوَ أَرْضِي لَكُمْ ، وَأَفْضَلُ
مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ . »
ويروى أَنَّ قِسًّا انْشَأَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَكْبَارُ وَالْأَصَاغِرُ

(١) ارض مبسوطة . وجاءت على هذا الوزن لما كلة اخواتها في اللفظ ؛ والاصل :

لا يرجع الماضي اليّ م ولا من الباقيين غابر
أيقنت أنّي لا محالة حيث صار القوم صائر

عمر به معدي كرب الزبيدي

ومن خطباء الجاهلية ايضاً عمرو بن معدي كرب الزبيدي ،
وهو خطيب العرب وشاعرهم وسيدهم . واشتهر بوصف الشجاعة
والمرورة والبطش . ومن خطبه التي القاها بحضرة انوشروان ملك
الفرس في المدائن ، قوله :

« إنّما المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه . فبلاغ المنطق الصواب ،
وملاك النجدة الارتداد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة .
وتحقيق الخير خير من اعتساف الحيرة . فاجتذب طاعتنا بلفظك ،
واكظم بادرتنا بملكك ، وألن كتفك تسلس لك قيادتنا . فأنّا
أناس لا يقاومنا من أراد لنا قضيماً ، ومنعنا حمانا من كل من
أراد لنا هضماً . »

خطباء آفرون

ومنهم ايضاً اكثم بن صيفي ، زعيم الخطباء الذين اوفدهم
النعمان الى كسرى ، وقس بن خازجة خطيب حرب داحس
والغبراء ، وخويلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار ، الخ .

بعض أيام العرب المشهورة

إنَّ أشهر أيام العرب التي يروونها عن وقائعهم الحربيَّة ، ما يأتي :
 حرب البسوس : كانت بين قبيلتي تغلب وبكر ، وسببها :
 أن كليباً ، سيّد بني تغلب ، قتل ناقة لرجل اسمه سعد كان في
 ضيافة البسوس عمّة جساس بن مرّة سيّد بكر . فعدّ جساس ذلك
 اهانة له ، وما زال يتحجّن الفرص حتى انفرد بكليب وغدر به
 فقتله . وقامت الغزوات المتواصلة بين القبيلتين ، ودامت ما
 يقرب من اربعين سنة ، واشتهر في اثناها المهمل اخو كليب ،
 وهو الزير عند العامة ، وله قصة موضوعة فيها كثير من الخلط
 والتشويش . وفي نهاية هذه المدّة توسط المنذر الثالث ملك الحيرة
 بين الفريقين فأخذ نار الحرب ، وعقد الصلح بين المتحاربين .

حرب داحس والغبراء : كانت بين قبيلتي عبس وذبيان .
 ويقال فيها : انه كان لقيس بن زهير سيّد عبس جواد اسمه داحس ،
 وكان لحذيفة بن بدر سيّد ذبيان — ويروى لجميل بن بدر — فرس
 اسمها الغبراء ، فتراهن قيس وحذيفة على ايهما اسرع ، وأقاما
 للسباق يوماً مشهوراً . فلما جرى الفرسان ، تبين ان السبق في
 جانب داحس ، وقبل وصول الفرس الى الهدف المعين تصدّى له
 رجل من ذبيان ، كان قد كمن له ، فجفل داحس وخرج عن

طريقه فسبقته الغبراء . فطالب قيس حذيفة بالرهن فرفض الدفع ،
 وادّعى ان السبق كان للغبراء ، فثار غضب قيس وقتل اخا
 حذيفة . وقامت الحرب بين القبيلتين ، ودامت مدة طويلة ،
 فتدخل بامر الصلح سيدان عظيمان هما الحارث بن عوف وهرم بن
 سنان ، فتمّت المصالحة على ايديهما . وحفظ زهير بن ابي سلمى
 ذكرهما في معلقته . وممن اشتهر في هذه الحرب عنزة بن
 شدّاد العبسي .

يوم خزازى : ان خزازى جبل حدثت بالقرب منه معركة
 بين قبائل اليمن وقبائل معدّ ، وكان يقود المعدّيين امير تغلب ،
 كليب وائل المشهور . وسبب هذه المعركة برواية ابن الاثير :
 ان ملكاً من ملوك اليمن قد اسر كثيراً من مضر وربيعة عرب
 الشمال ، فوفد عليه جماعة منهم و كلموه في الاسرى ، فوهبهم
 قسماً ، واحتبس البعض الآخر رهينة ، وقال : احضروا رؤساء
 قومكم لآخذ عليهم الموائيق بالطاعة لي ، وإلا قتلت اصحابكم .
 فرجعوا الى قومهم واخبروهم ، فثار كليب وجميع قبائل معدّ ،
 والتقوا بقبائل اليمن عند جبل خزازى ، فانكسرت قبائل
 اليمن وتفرّقوا ، وكانوا قبلاً سادة معدّ . وقد ذكر ذلك عمرو بن
 كاثوم في معلقته مفتخراً ببني تغلب :

ونحنُ غداةً أوقدَ في خزازى رفدنا فوقَ رفدِ الرافدينَا

وَأَبَوَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِينَا
يَوْمَ ذِي قَارِ : إِنَّ جَمْعاً مِنَ الْعَرَبِ وَكَثَرَهُمْ مِنْ بَنِي بَكْرِ ،
تَارُوا فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَتَارَلَوْهُمْ فِي ذِي قَارِ فَغَلَبَوْهُمْ ، وَذَكَرَ
الْأَعَشَى هَذَا الْيَوْمَ يَفْتَخِرُ بِانْتِصَارِ قَوْمِهِ بَنِي بَكْرِ عَلَى جُنْدِ
كَسْرَى :

لَمَّا رَأَوْنَا كُشِفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا
لِيَعْلَمُوا أَنَّنا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا
قَالُوا الْبَقِيَّةُ وَالْهِنْدِيُّ يُحْصِدُهُمْ
وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا السَّيْفُ فَانْكَشَفُوا
لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعْدٍ كَانَ شَارِكِنَا
فِي يَوْمِ ذِي قَارِ مَا أَخْطَأَهُمُ الشَّرَفُ

الشعراء الجاهليون

تبدأ النهضة الجاهلية الأخيرة من السنة ٤٥٠ الى السنة
٦٢٢ م ويروى عدد شعرائها على المئة والعشرين شاعراً ، وأولهم
المهلهل في ما يزعمون ، وأشهرهم امرؤ القيس ، النابغة الذبياني ،
زهير بن أبي سلمى ، طرفة بن العبد ، وعنترة العبسي . وأشهر
هؤلاء عند أئمة الادب ، امرؤ القيس الذي ابتدع في الشعر

اساليب جديدة ، استحسنها العرب ، واتبعه فيها الشعراء . وقبل
ان نتطرق الى ذكر من تقدم منهم ، لا بد لنا من ان نجمال
ميزات الشعر الجاهلي بما يأتي :

١ - جلاء المعاني وظهورها ، ومطابقتها للحقيقة والواقع .

٢ - قلة المبالغة والغلو فيها ، بما يخرجها عن حد العقل
ومألوف الطبع .

٣ - قلة المعاني الغريبة والدقيقة المنزع ، المتجلية في صور
الخيال البديع ، والتشبيه الطريف ، والاستعارة
الجميلة ، والكناية الدقيقة ، وحسن التعليل ، وغير
ذلك مما يهتدى اليه بقليل من كد الفكر .

٤ - قلة تأنيقهم في ترتيب المعاني ، والافكار على ما يقتضيه
الطبع والعقل ؛ فتراهم يرسلونها على ما تخيلت
نفوسهم واستدعته بديتهم ، وارتجالهم . فتراهم
ينتقلون من معنى الى آخر ومن غرض الى غيره حسب
ما يقع لهم ، بدون تخيل ولا تلاف . وربما مهد بعضهم
لانتقال الذهن بقوله : « دع ذا وعد عن ذا » .



الفاظه واساليبه

- ١ - جودة استعمال الالفاظ في معانيها الموضوعه لها ،
وذلك لمعرفتهم التامة بلغتهم ووجوه دلالتها .
- ٢ - الاكثر من استعمال الكلام الجزل ، الحسن الجنس .
- ٣ - استعمال كلمات عربيّة صرفه ، او معرّبة ، هجرها
المحدثون لقلة استعمال مدلولها ، او للاقتصار على مرادف
لها اسهل منها .
- ٤ - استعمالهم الكلام الاعجمي للتظرف في مثل شعر
الاعشى .
- ٥ - تنكبهم عن استعمال المحسنات البديعيّة ، كالجناس
والمقابلة والمطابقة ومراعاة النظير الى غير ذلك ،
الا ما وقع عفواً الخاطر .
- ٦ - صحة الاسلوب ، وايراد المعنى في اقرب طريق ،
كتجاهل العارف ومخاطبته الديار والاطلال .
- ٧ - استعمال المجاز ، وايشار الالجاز ، إلا اذا دعت الحال .



أوزان الشعر وقوافيه

إن ما وصل إلينا من الأوزان الشعرية التي نظم بها العرب ،
خمس عشرة بحراً كما حصرها الخليل بن أحمد الفراهيدي ، واستدرك
عليه سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش بحراً ، سُمِّي المتدارك ،
فاستقام لنا ستة عشر بحراً جمعها بعضهم :
طويلٌ مديدٌ فالْبسيط فوافر

فكامل إهزاج الأراجيز أرملا

سريعٌ سراحٌ ^(١) فالْخفيف مضارعٌ

فمقتضب المجتثٌ قَرَبٌ ^(٢) لتفضلاً

وسندكر وزن كلٍّ من الأبحر في آخر هذا الموجز ، إن

شاء الله .

أما القافية فهي علم تعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية
من حركة وسكون ولزوم وجواز وفصيح وقبيح ونحو ذلك .
وموضوع الشعر أواخر الأبيات الشعرية من حيث ما يعرض لها
ويلزم مراعاته فيها . ويقال إن واضعه المهمل خال امرئ القيس بن
حجر . وفائدته الاحتراز عن الخطأ في القافية ، وهي الكلمة
الخبره في البيت .

المزمل (٥٠٠ + ؟)

هو عدي بن ربيعة بن الحارث التغابي ، ويكنى ابا ايلي ،
وهو اخو كليب وائل الذي هاج بمقتله حرب بكر وتغلب .
وسمي « مزهلاً » لانه هامل الشعر اي أرقه . ويقال إنه اول من
قصّد القصيد .

شبّ على شرب الخمر واللّهو ، فأطلق عليه اخوه كليب لقب
« زير نساء » . وقد ظهر في حرب البسوس - التي اشعل نارها
للأخذ بثأر اخيه من بني بكر - شديد البطش ، جري القلب ،
فتمثّلت فيه النخوة العربيّة والفروسيّة .

ويمتاز شعره بدقّة التعبير والسهولة . وقد وصف عواطف
النفس البشريّة والحمة ، والحروب والغزل . ومن قوله :

أَكثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرِ بِرِيْهِمْ
حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَنْكِى لَهُمْ أَحَدُ
وَمِنْ رِثَائِهِ ، وَفِيهِ يَتِمَثَّلُ شِدَّةُ حَزْنِهِ عَلَى أَخِيهِ :

أَهَاجُ قِذَاءَ عَيْنِي الْإِذِّكَارُ	هَدَوْءًا فَالْدَمَوْعُ لَهَا أَنْحِدَارُ
وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا	كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ وَقَدْ تَوَلَّى	كَمَا قَدْ يُسَلِّبُ الشَّيْءُ الْمَعَارُ
كَأَنِّي إِذْ نَعَى النَّاعِي كُليْبًا	تَطَايَرَ بَيْنَ جَنْبَيَّ الشَّرَارُ

فَدَرْتُ وَقَدْ غَشِيَ بَصْرِي عَلَيْهِ

كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ

وَزَى فِي شَعْرِهِ الرِّثَائِي جَرَسَ تَفْجُعَ مَوْءَلَمٍ ، وَتَكَرَّاراً مُحْزِناً

مَبْكِياً . وَمَنْ مَطَالَعَهُ أَيْضاً :

كَلِيبُ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا

إِنْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخْلِيهَا

نَعَى النِّعَاةُ كَلِيباً لِي فَقُلْتُ لَهُمْ

مَادَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَمْ مَادَتْ رَوَاسِيهَا

الْحَزْمُ وَالْعِزْمُ كَانَا مِنْ طِبَائِعِهِ

مَا كُلُّ آلَانِهِ ، يَا قَوْمُ ، أَحْصِيهَا

إِلَى أَنْ يَقُولَ مَهْدِداً ، تَارِكاً لِلسَّيْفِ أَتِمَامَ الْكَلَامِ :

لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يَصَالِحُكُمْ

مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

وَمَنْ قَوْلُهُ فِي التَّهْدِيدِ :

أَنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْماً وَعِزْماً وَتَقْتِيلَا مِنْ الْأَرَاقِمِ كَهْلَا^(١)
قَتَلَتْهُ ذَهْلُ فَلَسْتُ بِرَاضٍ أَوْ تُبِيدَ الْحَيَّيْنَ ، قَيْساً وَذَهْلاً
وَيَطِيرُ الْحَرِيقُ مِنَّا شَرَاراً فَيَنَالُ الشَّرَارُ بَكراً وَعِجْلاً

(١) الْأَرَاقِمُ : قَوْمُ كَلِيبِ .

قَدْ قَتَلْنَا بِهِ ، وَلَا ثَارَ فِيهِ أَوْ تَعَمَّ السِّیُوفُ شِیْبَانَ قَتَلَا
وَقَدْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْغَزْلَ وَاللَّهُو ، وَجَزَّ شَعْرَهُ بِمَجَاهِدَا فِي
سَبِيلِ دَمِ أَخِيهِ . وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي مَوْتِهِ ؛ فَمَنْ قَائِلٌ إِنَّهُ مَاتَ غَدْرًا ،
وَأَخَرٌ إِنَّهُ شَاخَ وَمَاتَ حَتَفَ أَنْفَهُ .

أَمْرُ الْقَيْسِ (+ ٥٣٩ م ؟)

هُوَ أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ حَجَرِ بْنِ عَمْرِو الْكَنْدِيِّ ، مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ،
مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكُلَّ مَا جَاءَ مِنَ الْوَصْفِ فِي شَعْرِهِ هُوَ مِنْ
أَمَّا كُنَ بْنِي سَعْدٍ .

كَانَ أَبُوهُ حَجَرٌ مَمْلُوكًا عَلَى بَنِي إِسْدٍ ، يَأْخُذُ مِنْهُمْ شَيْئًا مَعْلُومًا
كُلَّ سَنَةٍ ؛ فَامْتَنَعُوا مِنْهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَأَخَذَ سُرُورَاتِهِمْ ، وَقَتَلَهُمْ
بِالْعَصَا ، فَسُمُّوا « عَبِيدُ الْعَصَا » . وَأَسْرَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، فَثَارُوا عَلَيْهِ
وَقَتَلُوهُ ، وَشَدُّوا عَلَى هِجَائِنِهِ فَاسْتَاقَوْهَا . وَكَانَ حَجَرٌ قَدْ غَضِبَ
عَلَى ابْنِهِ أَمْرِ الْقَيْسِ ، فَطَرَدَهُ بِسَبَبِ نَظْمِهِ مَا خَرَجَ فِيهِ إِلَى حَدِّ
الصَّرَاحَةِ فِي الْفَحْشِ ، وَلِمَعَاقَرَتِهِ الْحُمْرَةَ ، وَمَغَازَلَتِهِ الْحَسَانَ . وَلَمَّا
بَلَغَهُ مَقْتَلُ أَبِيهِ وَهُوَ بَدَمُونُ مِنْ دِيَارِ الْيَمَنِ ، وَقِيلَ مِنْ دِيَارِ
الشَّامِ ، قَالَ :

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُونُ دَمُونُ إِنَّا مَعَشَرٌ يَمَانُونَ
وَإِنَّا لَأَهْلُنَا مُحِبُّونَ

ثم قال : « ضيَّعني ابي صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ؛ لا صحو
اليوم ولا سكر غداً ؛ اليوم خمرٌ وغداً امرٌ » ، وأنشد :
خليلي ما في اليوم مَضْحَى لشاربٍ

ولا في غدٍ ، اذ كان ما كان ، مشربٌ
ثم آلى على نفسه ، ألا يأكل لحماً ولا يشرب خمرأ حتى يثأر
لأبيه . فلما كان الليل ، لاح له برق ، فقال :

أَرِقتُ لبرقِ بَلِيلِ أَهْلٍ يُضِي سِنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلِ

ثم استجاش بكر بن وائل ، فسار اليهم ووقع ببني اسد ،
وانكفأ عنهم . غير أن امرأ القيس ما زال يسير في العرب ، يطلب
النصر ، فلم ينصروه ، فذهب يستنجد قيصر الروم في القسطنطينية ،
وانشد يخبر عن قلق رفيقه ، وكان يصحبه الى القسطنطينية :

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دونه

وأيقنَ أَنَا لاحِقَانِ بقيصرا

فقلتُ لَهُ : لا تَبكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا

نُحَاوِلُ مَلَكاً او نَمُوتَ فَنُعْذِرَا

وقيل إنَّ الوفاة ادر كته وهو راجع من القسطنطينية على
أثر مرضِ الجُدري . ودُفِنَ في أنقرة .

أما شعره ، ففيه تعهُُّ لا يليق ذكره ، ولكنه قد سبق الى

أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، وأتبعه عليها الشعراء ؛ فهو أول من بكى واستبكى ، ووقف واستوقف . وما يستجاد من تشبيهه قوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً
لَدَى وَكْرِهَا الْغَنَابُ وَالْخَشْفُ^(١) الْبَالِي
وقوله :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ قَبَائِنَا
وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعُ^(٢) الَّذِي لَمْ يَثْقُبْ
ومما يستجاد له أيضاً ، قوله في الفراق :
كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا
لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ
وكذلك وصفه الفرس :

مَكْرٍ ، مِفْرٍ مُقْبِلٍ ، مُدْبِرٍ مَعَاً
كَجَاهُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ
له أَيْطَلَا^(٣) ظِيٍّ ، وَسَاقَا نِعَامَةٍ ،
وإِرْخَاءُ^(٤) سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيْبُ^(٥) تَتْفُلٍ

(١) الخشف ، اردأ النمر .

(٢) الجزع : الحرز الباني الذي فيه سواد وبياض تشبه به الاعمى .

(٣) ابطلا : مثق ابطل وهي الخاصرة . الظي : الغزال .

(٤) ارخاء : شدة الركض . (٥) نوع من الركض بحيث تقرب القوائم

ويذهب غير واحد من أئمة الادب الى أن ارق بيت قالته
العرب في جاهليتها قوله :

وما ذرفت عيناك الا لتضربي

بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل

وهو أول من شبه النساء بالطباء والمها والبيض ، وقيد
الأوابد ، ورقق النسب ، وأجاد الاستعارة وتنويع التشبيه ،
كما يتبين لنا ذلك من معلقته ، وقد تناول بها ذكر الاطلال ،
والبكاء عليها ، ووصف الليل والتشي من طوله ، ووصف
الوادي والمطر والوحش والفرس والبرق ، ومطامعها :
قفا نبك من ذكرى حبيب ومَنْزِل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(١)

ومنها :

كأني غداة البين يوم تحمّلوا

لدى سمرات الحي ناقف حنظل

ففاضت دموع العين مني صباية

على النحر حتى بلّ دمعِي محملي

بعضها من بعض . تنفل : ثعلب .

(١) الدخول وحومل : موضعان . سقط اللوى : منقطع الرمل .

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْحِدرَ خِدرَ عُنْزَرَةٍ

فَقَالَتْ لَكَ أَلْوِيْلَاتُ: إِنَّكَ مُرْجَلِي .

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْعَبِيْطُ بِنَا مَعاً :

عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ . فَانْزِلِ .

فَقُلْتُ لَهَا : سِيْرِي وَأَرْخِيْ زِمَامَهُ

وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْ جَنَّاكِ الْمَعْلَلِ

وَصَفِ اللَّيْلَ :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سِدْوَلَهُ

عَلِيَّ بِأَنْوَاعِ الْمَهْمُومِ لِيَبْتَلِي .

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ

وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّكَلٍ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِيْ

بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَتَهُ

بِأَمْرَاسٍ كَتَمْنِ إِلَى ضَمٍّ جَنْدَلٍ ^(١)

وَصَفِ الْوَادِي :

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعَتْهُ

بِهِ الذُّئْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيْعِ الْمَعِيْلِ ^(٢)

(١) الجندل : الصخر . (٢) العير : الحمار ؛ وقيل إنه اسم لوادٍ لا يثبت

وصف الفرس :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَايدِ هَيْكَلٌ^(١)

مِكَرٍ مِفْرٍ مُقْبِلٍ مُدِيرٍ مَعاً

كَجَلَمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ^(٢)

فانت ترى ان شعره ، وإن اشتمل بشملة البدواة ، فهو يخطر

في حلل من حسن الديباجة وبديع المعنى . واليك وصف حبيبتيه ،
وقد شبهها بمشية رجلٍ تُرْفَ دُمُهُ حتى صار لا يقدر ان يسرع
بمشيه لما اصابه من الضعف ولا سيما اذا سار في كثيب من
الرمل ؛ قال :

وَإِذَا هِيَ تَمْشِي كَمْشِي التَّزْيِفِ يَصْرَعُهُ بِالْكَثِيبِ الْبَهْرُ^(٣)

بَرْهَرُهُ رُودَةٌ رَخْصَةٌ كَخِرْعُوبَةِ الْبَانَةِ الْمُنْقَطِرِ

فحبيبتيه هذه هي برهرة اي رقيقة الجلد ، شابة كأنها

الفصن اللدن ، تتثنى تشني الفصن في النسيم العليل .

والمعلقة مؤلفة من ثمانين بيتاً ، تقص علينا حادثة وقعت له

فيه شيء . الخليل : المنبوذ . المقل : المهمل .

(١) الوكئات : مجاثم الطير . المنجرد : الفرس السريع . هيكل : عظيم .

قيد الأوايد : انه يقيد الوحوش بسرعه فلا تفرح مكانها .

(٢) مكر : يهجم الى الامام . مفر : ينفر الى الوراء ، وهما من صيغ المبالغة .

من عل : من فوق . (٣) البهر : التعب .

مع صاحبته ابنة عمه عنيزة ، او فاطمة ، وقد استطرد فيها الى شي من الأوصاف التي ذكرناها . ومما يعاب عليه قوله في بعض شعره :

إذا ما الثرياً في السماء تعرّضتْ

تعرّضْ اثناء الوشاح المفصل

فقالوا : ان الثرياً لا تعرض ، وإنما اراد الجوزاء ، فذكر الثريا خطأ .

النابعة الزباني (+ ٦٠٤ م ؟)

هو زياد بن معاوية ، ويكنى ابا أمامة ؛ وهو احسن الناس ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام ، واجزلهم بيتاً ، ليس فيه تكلف . قيل انه نبغ بالشعر بعد ما كبر ، سمي نابعة لانه فجأ الناس بشعر علا فيه على شعراء عصره بماذق لا تنقطع فشبهوه بالماء النابغ .

وهو من اشراف ذبيان ، إلا ان تكسبه بالشعر غض من شرفه . على أن ذلك لم يكن الا في مدح ملوك العرب . وهو احد فحول شعراء الجاهلية ، وحكمهم في سوق عكاظ . اتصل بالنعمان بن المنذر ، فاستخلصه وأسبغ عليه من نعمه ، حتى قيل إنه كان لا يأكل ولا يشرب الا في آنية من الذهب والفضة ؛

فحسده بعضهم متذرّعاً بقصيدة وصف بها المتجرّدة زوج
النعمان ، ومطلعها :

أَمِنْ آلِ مِيَّةَ رَائِحُ أَوْ مَغْتَدِي
عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرِ مَزُودٍ
أَفِدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رُكَابَنَا
لَمَّا تَرَلْ بِرَحَالِنَا وَكَانَ قَدْ

ومنها :

سَقَطَ النُّصَيْفُ ^(١) وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ
فَتَنَّاوَلَتْهُ وَأَتَقَّتْنَا بِأَيْدٍ
بِمَخْضَبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بِنَانَهُ
عَنَّمْ يَكَاذُ مِنَ اللَّطَافَةِ يَعْقِدُ ^(٢)

فغضب عليه الملك ، وتوعده بالقتل ؛ فنجّا النابغة بنفسه ،
وقصد الشام ، ولاذَ بعمر بن الحارث الأصغر ؛ فنزل منه في
جانب خصب وأمن شامل ، ممّا زاد في حقد النعمان عليه ، لأنَّ
عمر بن الحارث الأصغر عدوّ لدود للمناذرة .

وما زال النابغة عند بني غسان يصلهم بغرر القصائد ويصلونه
بالذهب حتى اتّصل به مرض النعمان ، ولم ينسَ فضله ونعمه .

(١) النضيف : خمار المرأة التي تنستر به . (٢) العنم : شجر لين الأغصان ؛

وفي البيت إقواء .

فحنّ الى معاودة العيش في ظلاله ، فأخذ ينظم القصائد معتذراً
اليه ، ويتنصّل ممّا رُميَ به . وما زال ينشد اعتذارياته من قلب
لا ينبض إلا على حفظ الجميل ، حتى أزال ما في قلب النعمان من
حقْدٍ ، وعاد الى ما كان عليه من قبل ، ينعم في بلاط المناذرة .

شعره : لقد جعله اساطين الادب ونقدة الشعر في الطبقة
الاولى ، وذهب غير واحد منهم الى ان شعره هو غاية المدى الذي
بلغه الشعر الجاهليّ جمالاً ورونقاً ؛ ويعده بعض الرواة من اصحاب
المعلّقات ، ويجعلون مطلع معلقته :

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمٍ دَمْنَةَ الدارِ
ماذا تُحْيُونَ من نُؤْيٍ وَأَحْجارِ ^(١)
أَقْوَى وَأَقْفَرٍ من نُعْمٍ وَغَيْرِهِ
هوجُ الرياحِ بهابي التربِ مَوَّارِ ^(٢)
وقفتُ فيها سَراةَ اليومِ أَسأَلُها
عَنْ آلِ نُعْمٍ أَمُوناً عِبرَ أَسفارِ ^(٣)

(١) عوجوا : قفوا . الدمنة : ما اجتمع من آثار الدار . النؤي : حفير
يكون حول الخباء ، يمنع تسرب المطر الى المضرب .

(٢) أقبى واقفر : خلا وصار قفراً . هوج الرياح : جمع هوجاء وهي الرياح
الشديدة . الهابي : السافي . موار : يجيء ويذهب .

(٣) سراة اليوم : وسطه . الامون : الناقة التي يؤمن عثاها . عبر اسفار :

يعبر عليها .

فاستجمعت دارُ نعيمٍ ما تُكَلِّمُنَا

والدارُ لو كَلَّمْتُنَا ذاتُ أحجارٍ

ومن قراءةٍ ما اتَّصلَ بنا من شعره نرى فيه رشاقة اللفظِ

ووضوح المعنى بسبكٍ حسنٍ ، لا تحسَّ بمللٍ ؛ فهو يسير بك
كالجدولِ الرقراق في الروضة الغناء . ولعلَّ التَّكسُّبَ بالشعرِ قد
اغراه لأنَّ يفتنَّ في ضروب المدح ، فقد مدح بالشَّيءِ وضدَّه . وله
قصيدة يمدح بها النعمان ، منها :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ

ويقول في أخرى معتذراً :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

قلنا : إنَّ شعره واضح المنهج ، بديهيٌّ ، دقيق العبارة ،
تستسيغه النفس ؛ ولربَّما لم يكن تقديمه من حكم علماء الشعر
وحدهم ، فقد شارَّهم بذلك شعراء الجاهلية أنفسهم ، فقدَّموه
عليهم في سوق عكاظ ، وأقاموه حكماً يتناشدون إمامه قصائدهم
فيقضي لشاعرٍ على شاعر . وله ديوان شعرٍ شرحه البطليوسي .

وجملة الأغراض التي رمى إليها النابغة تنحصر في مدح الملوك
والمنعمين عليه ، ثمَّ الفخر والهجاء ، ووصف شواعر النفس

كالخوف والاعتذار. ولا يمكننا ان نمرّ بالنابغة دون ان نعرض الى شيء من مدائحها في عمرو بن الحارث ، ملك الغساسنة ؛ قال :

كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ
وَلِيلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكُؤَاكِبِ
وَصَدْرِ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبِ هَمِّهِ
تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

ومنها :

رَقَاقُ النِّعَالِ ، طَيِّبٌ حُجْرَاتِهِمْ ،
يُحَيُّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَابِ
وَلَا يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرٌّ بَعْدَهُ
وَلَا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَا زِبِ

ويقال : إنه كان يقول : إن في شعري عاهة لا أدريها ، حتى سمع مغنيا يغني بأبيات من شعره فيها إقواء ، أي تحريك القافية بحر كتين مختلفتين كما تقدّم آنفاً ، ففطن الى ذلك ولم يعد اليه . ولا نقدر ان نمرّ به دون ان نقدّم نموذجاً من اعتذارياته .

ومن جيدها قوله للنعمان :

أَتَانِي أَيْتَ اللَّعْنِ أَنَّكَ لُمْتَنِي
وَتِلْكَ الَّتِي أَهَمَّتْ مِنْهَا وَأَنْصَبُ (١)

فَبِتُّ كَانَ الْعَائِدَاتِ فَرَشَنَ لِي

هِرَاساً بِهِ يُعَلِّي فِرَاشِي وَيَقْشِبُ^(١)

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً

وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْهَرَمِ مَذْهَبُ

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بَايَعْتَ عَنِّي جَنَایَةً

أُبَلِّغُكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأُكْذِبُ^(٢)

وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ

وَمِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَهْرَبُ^(٣)

مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُمْ

أُحْكِمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرِّبُ

كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَنَعْتَهُمْ

فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا^(٤)

ومنها :

وَأَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تُلْمُهُ

عَلَى شَعَثٍ أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ^(٥)

(١) هِرَاساً : شوكة . (٢) الْوَاشِي : النام . (٣) الْجَانِبُ : الناحية .

مُسْتَرَادٌ : موضع يتردد فيه لطلب الرزق . (٤) أَيْ فَعَلْتَ أَنْتَ بِقَوْمٍ قَرِيبَهُمْ
وَإِكْرَمَتَهُمْ ، فَتَرَكُوا الْمُلُوكَ وَلِزْمُوكَ ، فَلَمْ تَرِ ذَلِكَ ذَنْباً عَلَيْهِمْ . (٥) تَلْمُهُ :

تصلحه . الشعث : الفساد . المهذب : المنقى من العيوب .

فَإِنْ أَكْ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ

وَإِنْ نَكَذَا عُنِيَ فَمِثْلُكَ يُعْتَبُ

هذا هو النابغة . وقد سُئِلَ الأصمعي عن شعره فقال : « ان قلت أَلَيْنَ مِنَ الْحَرِيرِ ، صدقت ؛ وان قلت اشدَّ مِنَ الْحَدِيدِ ، صدقت » . وقيل لبعض الشعراء : مَنْ اشعر الناس . قال : « النابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، وعنترة اذا ركب » .

زهير بن أبي سلمى (٦٣١ م ؟)

هو ثالث فحول الطبقة الاولى من الشعراء الجاهليين ، واسمه زهير بن ابي سلمى ، ربيعة بن رباح المزني . اشتهر بعبقة القول ، وایجاز اللفظ . وهو كثير الحكم . ويقال إنه نشأ في غطفان ، في بيت جلُّ اهلہ شعراء . وقد استفاد الحكمة والشعر والادب من خال ابيه بشامة بن الغدير ، احد اشراف غطفان وهو شاعر مجيد . كان يُرجع اليه في قومه في معضل الامور ، ويقسمون له غنائهم كأفضلهم . ولزم زهير أيضاً أوس بن حجر زوج امه ، وهو شاعر مضر في زمانه . فروى عنه الشعر ، وظهر عليه واخمله .

ومن قراءة المعلّقة نرى انه اختصَّ بمدح هرم بن سنان والحاتث بن عوف فيقول :

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجُدْتُمَا

عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ ^(١)

تَدَارِكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانٍ بَعْدَمَا

تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنَشَمٍ ^(٢)

ومما يروى : ان عُمر بن الخطاب قال لبعض ولد هرم :
« أنشدني بعض مدح زهير أبيك » . فأنشده . فقال : « ان كان
ليحسن فيكم القول » فأجابه : « ونحن ان كنا لنحسن له العطاء »
قال : « قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم » .

وكان الداعي الى مدحه هرم بن سنان والحارث بن عوف ،
انهما سعيًا في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء ؛
وقد تحملاً ديات القتلى التي بلغت على ما يروى ، ثلاثة آلاف
بغير ؛ وقد أشار الى ذلك في معلقته ، ومطلعها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ

بِجُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمَتَشَلِّمْ

وَدَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا

مَرَاجِيعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مَغْصَمٍ

(١) السحيل : المقتول على قوة واحدة . المبرم : المقتول على قوتين .

(٢) منشم اسم امرأة اشتهرت ببيع العطور كان يشتريها المرء قبل ذهابه الى الحرب .

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً
فَلَأَيَّ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ
وَمِنْهَا يُخَاطَبُ مَمْدُوحِيهِ ، وَيُشِيرُ إِلَى مَا بَدَلَاهُ فِي سَبِيلِ
الصِّلَاحِ :

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نُدْرِكَ السَّلَامِ وَاسِعاً
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مَنْأً عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ ، هُدَيْتُمَا
وَمَنْ يَسْتَبِجُ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ
وَتَابِعْ زَهْرٍ مَدَحِهِ فِي هَرَمٍ وَهُوَ يَتَابِعُ عَطَاءَهُ ، وَأَقْسَمُ إِلَّا
يَمْدَحُهُ زَهْرٍ إِلَّا اعْطَاهُ ، وَلَا يَسْأَلُهُ إِلَّا اعْطَاهُ ، وَلَا يَسْلَمُ عَلَيْهِ
إِلَّا أَعْطَاهُ عَبْدًا أَوْ وَلِيدَةً أَوْ فَرْسًا . فِدَا خَلْ زَهْرٍ الْحَيَاءُ ؛ فَكَانَ
إِذَا رَأَى هَرَمًا فِي مَلَأٍ ، قَالَ : « أَنْعَمُوا صَبَاحًا غَيْرِ هَرَمٍ ،
وَخَيْرَ لَمْ اسْتَنْيْتِ » . وَإِنْ نَحْنُ نَظَرْنَا فِي الْمَعْلُوقَةِ ، رَأَيْنَا ، إِلَى جَانِبِ
مَدَحِهِ ، وَرَعَهُ وَتَدِينَهُ ، وَإِيمَانَهُ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .
وَقَالَ يُخَاطَبُ الْمُتَصَالِحِينَ :

فَلَا نَكْتُمَنَّ اللَّهَ مَا فِي نَفُوسِكُمْ
لِيَخْفَى وَمَهْمَا يَكْتُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ

يؤخر فيوضع في كتاب فيؤخر

ليوم الحساب او يعجل فينقم

وعمر زهير ومات قبل الاسلام .

شعره : اجمع ائمة الادب على أن زهيراً أحدُ ثلاثة الشعراء

المقدمين في الجاهلية على مَنْ سواهم . ويفضله غير واحدٍ منهم على صاحبيه امرئ القيس والنابعة الذبياني للأسباب الآتية :

أ — الایجاز ، وحذف الفضول وحشو الكلام ، بحيث

يودع اللفظ اليسير المعنى الكثير كقوله :

فما يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا

تَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

ب — لمدحه الجيد ، وتجنبه الكذب ؛ فما كان يمدح الرجل

الابما عرف من اخلاقه وصفاته كقوله :

عَلَى مُكْثَرِهِمْ رَزَقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ

وعند المقلين السماحة والبذل

ج — ابتعاده عن التعقيد اللفظي والمعنوي ، وحوشي

الكلام وغريبه ، فلا يعاظم فيه ، اي لا يداخل في الكلام ويعقده . ومن جيد قوله :

وَلَوْ أَنَّ حَمْدًا يَخْلُدُ النَّاسَ أَخْلَدُوا

ولكنَّ حمدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ

د — شعره : عفيف ، يقلّ فيه الهجاء والسخف والهذر .
وان أنت تتبعت النظرَ في شعره ، رأيت فيه العفة والصرامة ،
وتلمست الصدق فهو يكثر من الامثال والحكم . ومما يروى عنه
أنه كان ينظم القصيدة في اربعة اشهر ، ويهذبها في اربعة اشهر ،
ويعرضها على المقرّبين اليه في اربعة اشهر ، فلا يظهرها إلا بعد
حول ، ولذلك أطلق على قصائده « الحوليات » . ومما سبق فيه
غيره قوله في مدح هرم :

قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هرمٍ

والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقاً^(١)

مَنْ يَلِقَ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلِقُ السَّمَاءَ مِنْهُ وَالنَّدى خُلُقًا^(٢)
لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرَمَةٍ أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفُّهُ الْأَفْقَا
وَمَنْ جِدَّ قَوْلَهُ

وَأَبْيَضَ فَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تَغَبُّ فَوَاضِلُهُ^(٣)
أَخِي ثَقَّةٌ لَا تُهْلِكُ الْحُرَّ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
وإليك بيتاً اتفق العلماء ، قديماً على أنه امدحُ بيت :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

(١) المبتغون : الطالبون . (٢) على علاته : أي تلقاه على قلة مال وعدم
سمجاً كريماً ، فكيف به وهو على غير تلك الحال . (٣) فياض : كثير
الطاء . معتفيه : الطالب لمعرفه . تغب : الغب هو ان تأتي يوماً وتنقطع
وقتاً آخر .

وقد أُطْلِقَ على زهير أنه قاضي الجاهلية لقوله :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ

يعني بذلك يمينا أو منافرة الى حاكم يقطع بالبيّنات ، او
جلاء ، وهو بيان وبرهان يحلو به الحق وتوضح الدعوى .
ومما يتمثل به من شعره :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيءُ إِلَّا وَشِجَّةً وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَغَارِسِهَا النُّخْلُ

وخير ما نختم به الكلام ما قاله عمر بن الخطاب عنه : « انه
كان لا يعاقل في المنطق ، ولا يتتبع الغريب الحوشي ، ولا يقول
إلا ما يعرف ، ولم يمدح احداً إلا بما فيه » . وقلما نرى زهيراً
أفاض بغير المدح والوصف والحكمة والمثل .

طرف ٧٠ العبد (+ سنة ٥٥٢ م ٩)

هو طَرْفَةُ بن العبد بن سفيان البكري ، اقصر فحول الجاهلية
عمراً ، وأجودهم طويلاً ومطلعيها :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِبَرْقَةٍ تَهْمَدُ

تَلُوحُ كَبَائِكِ الْوُشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ^(١)

(١) خولة : اسم محبوبته . برق : مكان اختلط ثوابه بحجارة . تهمد : اسم
لمكان من ديار بني عامر . تلوح : تلمع . الوشم : النقش ، ويعرف عند العامة
« بالدق » .

وله غيرها شعر حسن ، وليس عند الرواة منه إلا القليل .
 وكان في حسب من قومه ولد في بادية البحرين ، ونشأ فيها يتيماً .
 مات أبوه وهو صغير بعدد ، فمال الى القصف واللاهو ، وقد هجا
 قومه وغيرهم . وكان له اخت تزوجها عبد عمرو بن بشر بن مرثد ،
 وهو سيد اهل زمانه ؛ فشكت الى طرفة شيئاً من أمره ، فقال :

ولا عيبَ فيه غير أنَّ له غنيَّ

وأنَّ له كشحاً اذا قامَ أهضماً^(١)

وإنَّ نساءَ الحيِّ يعكفنَ حوله

يقلنَ عسيبٌ من سرارةٍ ملهًما^(٢)

فاتصل هذان البيتان بعمر بن هند ، ملك العرب على
 الحيرة ؛ فحدث ان خرج يتصيد ومعه عبد عمرو ، فأصاب حمراً
 وحشياً ، فعقره وقال لعبد عمرو : « إنزل اليه ، فنزل اليه ؛ فأعياه ،
 فضحك عمرو بن هند وقال : لقد ابصر ك طرفة حين قال :

ولا عيبَ فيه غير أنَّ له غنيَّ

وأنَّ له كشحاً اذا قامَ أهضماً

ويقال : إنَّ طرفة كان قد قال شعراً بعمر بن هند لكثرة

شروده :

(١) الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع من خلف . عسيب : جريدة النخل .

(٢) ملهه : موضع يكثر فيه النخل .

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قُبَّتِنَا تحور
 فقال عبد عمرو : أبيت اللعن ، ان الذي قاله فيك أشدّ ممّا
 قال فيّ وأنشدّه البيت المذكور ، فاضطغنه عليه ، حتى اذا ما
 جاءه هو وخاله المتلمّس يتعرضان لفضله ، وقد بلغه عن المتلمّس
 مثل ما بلغه عن طرفه ، فأظهر لهما البشاشة وامر لكلّ منهما بجائزة
 وكتب لكلّ منهما رسالة ، وأحالهما على عامله في البحرين ليأخذا
 الجائزة . ويقال إنّ المتلمّس ارتاب في امر الرسالة ، فعرّج على غلام
 فقرأها له واذا فيها امر بالقتل ، فألقى الصحيفة وسار يسمى وراء
 طرفه ، فلم يدركه ، والتجأ المتلمّس الى ملوك غسان . واما طرفه
 فقد مضى في سبيله يقصد عامل البحرين ، فقتل وعمره ست
 وعشرون سنة . ويّزعم الادباء ان هذه رواية موضوعة نسّقها
 خيال الرواة .

شعره : يمتاز شعر طرفه بالوصف ، والاقتصار على بيان
 الحقيقة مع قصدي في الغلو ، ومعاظلة في بعض التراكيب ؛ وقد
 يسترسل في حوشي اللفظ وخفي المعنى . وتنطوي معلقته على
 الامور الآتية : الغزل :

وفي الحيّ أحوى يَنْفِضُ المردّ شادنٌ

مُظَاهِرُ سِمَاطِي لؤلؤ وزبرجد^(١)

(١) الاحوى : الذي في شفتيه سمرة . الشادن : الغزال . السمط : الخيط .

وَتَبَسُّمُ عَنْ أَلْمَى كَانَ مُنَوَّرَا
 تَخْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصُ لَهُ نَدَى ^(١)
 وَوَجْهِ كَانَ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا
 عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ ^(٢)
 عَلَى أَنْ مَطَاعَ مَعْلَقَتِهِ يَبْدَأُهَا بِوصف الدار والأحباء فيقول :
 لِحَوْلَةٍ أَطْلَالٌ يَبْرِقُ ثَمَدِ
 تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
 وَتَوَفَّاءَ بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ
 يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ ^(٣)
 كَانَ حَدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ عُدْوَةٌ
 خَلَايَا سَفِينٍ بِالْمَوَاصِفِ مِنْ دَدِ ^(٤)
 عَدَوِيَّةُ أَوْ مِنْ سَنِينَ بْنِ يَامَنِ
 يَجُورُ بِهَا أَلْمَاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي ^(٥)
 وَيَتَقَدَّمُ إِلَى وَصْفِ النَّاقَةِ ، وَهُوَ خَيْرُ وَصْفٍ وَصَلْنَا عَنْ

تنظم فيه الجواهر .

- (١) أَلْمَى : لون السواد في الشفة . الدِعْصُ : الكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ .
 (٢) التَخَدَّدُ : اضطراب الجلد مع استرخاء اللحم . (٣) تَجَلَّدَ : نصبر .
 (٤) الْحُدُوجُ ، مفردة حُدُج : مركب النساء . الْمَالِكِيَّةُ نسبة إلى بني مالك وهي
 خولة . دَدَ : واد بين البصرة والبحرين . (٥) عَدَوِيَّةٌ ، نسبة إلى عدوى :
 قرية بالبحرين اشتهرت ببناء السفن . ابن يامن : ملاح مشهور من هجر .

الجاهليين في وصفها :

وإني لأمضي الهمَّ عند احتضاره

بعوجاء مرقالٍ تروح وتغتدي^(١)

جنوح دُفاقٍ عندلٍ ثم أفرغت

لها كتفاها في معالي مُصعدٍ^(٢)

كأنَّ غلوب النِّسع في دأياتها

مَواردٍ من خلقاء في ظهرِ قردٍ^(٣)

تلاقى ، واحياناً تبين كأنها

بنائقُ غُرٍّ في قيصٍ مقدِّدٍ^(٤)

وبعد ان يصف الناقة وصفاً دقيقاً ، يتقدَّم الى الفخر بنفسه

وشجاعته وتلبية النداء ، فيقول :

إذا القوم قالوا مَنْ فتى خلتُ أني

عنيتُ فلم أكسل ولم أتبلِّد

ولستُ بجلالِ القلاعِ بخافة

ولكن متى يسترفدِ القومُ أرِفِدٍ^(٥)

(١) عوجاء : صفة للمناقة النشيطة . مرقال : ضرب من السير .

(٢) عندل : كبيرة الرأس . (٣) دأيات : ضلوع الصدر .

(٤) بنائق مفرد بنيقة : قطعة تحاط بالقميص ليتسع .

(٥) يسترفد : يطلب الاعانة .

وإن تبغني في حلقة القوم تَلْقَنِي
وإن تَقْتَصِنِي في الحوانيتِ تَضْطَدِ

* * *

أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفونه
منيعاً اذا أبلتْ بِقائمةِ يدي ^(١)
ولا ينسى وصف مجلس لهوه فيقول :
متى تأتينا أصبحك كاساً رويةً
وإن كنتَ عنها ذا غنى فاغنِ وازددِ
نداماي بيضُ كالنجومِ وقينةُ
تروحُ إلينا بينَ بردٍ ومجسدٍ ^(٢)
اذا نحنُ قلنا : أسمعينا أنبرت لنا
على رسلها مطروفةٌ لم تشددٍ ^(٣)
اذ رجعت في صوتها، خلتُ صوتها
تجاوبَ أظآرٍ على رُبْعٍ ردي ^(٤)

واذا كان قول المرء يحكم على ما يحول في صدره ، ومن

(١) الضرب : الخفيف اللحم . (٢) بيض كالنجوم : اي احرار مشهورون . المجسد : الثوب المصبوغ بالفساد وهو الزعفران . (٣) مطروفة : فاترة النظر . لم تشدد : لم يجتهد ، اي انها تغني عفواً دون تكلف . (٤) أظآر ، مفردة ظئر : التي لها ولد . ربع : ما ولد للناقة في اول انتاجها . ردي : هالك .

فضلة القلب يتكلم اللسان ، فاننا نرى طرفة قد زهدت في الحياة ،
وتردد اليأس في صدره ، فجرى على لسانه شعراً مشفوعاً
بالحكم فقال :

أرى الموت إعداد النفوس ولا أرى
بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غدٍ
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر يُنفد
وينظر الى الحياة نظرة فلسفية ويرى نفسه فيها عابر سبيل :
لعمرك ما الأيام إلا معارة
فما استطعت من معروفها فتزود
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تُرود
ويلوح لنا ان اليأس قد تسرب الى قلبه على إثر ظلم أصابه
من اقاربه ، فقال :
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند
وقيل ان أعمام طرفة أبوا ان يقسموا ما له بعد موت أبيه ،
فقال يخاطبهم :

ما تنظرونَ بِمالٍ وَرَدّةٍ فيكم
صَغُرَ البنونَ وَرَهْطُ وَرَدّةٍ غُيِبُ
قَدْ يَبْعَثُ الأَمْرَ العَظِيمَ صَغِيرُهُ
حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدَّمَاءُ تَصَبَّبُ
وَالظَلَمُ فَرَّقَ بَيْنَ حَيٍّ وَائِلٍ
بَكَرَ تَسَاقِيهَا المَنَايَا تَغْلِبُ
وَالصَّدَقُ يَأْلِفُهُ الكَرِيمُ المُرْتَجَى
وَالكَذِبُ يَأْلِفُهُ الدُّنْيَى الأَخِيبُ

أَمَّا رَأْيُهُ فِي الحَيَاةِ وَالمَوْتِ فَيَتَضَحَّ لَنَا مِنْ قَوْلِهِ :
أَلَا أَيُّهَا ذَا اللَّائِمِي أَشْهَدُ الوَعْيُ
وَأَنْ أَحْضَرَ اللِّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي
فَدَعْنِي أَبَادَرَهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الفَتَى
وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي

وَجَمَلَةٌ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مَعْلَقَتُهُ : قُوَّةُ الكَلَامِ ، وَصَدَقَ العَاطِفَةُ
وَالدَّلَالَةُ عَلَى مَا عِنْدَ قَائِلِهَا مِنْ فَوْرَةِ الشَّبَابِ ، وَقَلَّةُ المِبَالَاةِ ،
وَالْمِيلُ إِلَى اللَّذَّةِ مَعَ شِدَّةِ الإِعْتِدَادِ بِالنَفْسِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَقَدْ
تَحَدَّثَ بِمَجُونِهِ وَأَمَانِيهِ فَقَالَ :

وما زال تشراي الخور ولذتي

وبيني وإنفاقي طريقي ومثلي^(١)

وشعره القليل يكاد يفوق الشعر الجاهلي أمانة وإخلاصاً
وشفوفاً عن شخصية صاحبه البارزة .

عنزة العبسي (+ سنة ٦١٥ م ؟)

هو عنزة بن عمرو بن شداد العبسي ، قد ادّعاء أبوه بعد
الكبر ، وذلك لأنه كان ولداً لأمة سوداء تدعى زبيبة . وكان
العرب في الجاهلية يستعبدون أبناء الإماء . وسبب ادعاء أبي
عنزة آياه وإحاقه به ، ان بعض أحياء العرب أغار على قوم من
بني عبس ، فاصابوا منهم غنائم ، فتبعهم العبسيون ، فلاحقوهم
وقاتلوهم ، وفيهم عنزة ، فقال له أبوه : « كُرّ يا عنزة » ، فقال :
« العبد لا يحسن الكر » ، وأنما يحسن الحلاب والصّر . فقال له
أبوه : « كُرّ وأنت حر » .

فكرّ وقاتل يومئذ ، فأبلى واستنقذ ما في أيدي القوم من
الغنيمة . فادّعاء أبوه بعد ذلك ، وهو أحد أغربة العرب^(٢) ، أي
سودانهم ، من أشدّ أهل زمانه ، وأجودهم بما ملكت يده .

(١) الطريف : المال الحديث . المتلد : المال القديم الموروث .

(٢) أغربة العرب ثلاثة : عنزة ، وخفاف بن نديبة ، والسليك بن سلكة السعدي .

شعره : لقد كان عنتره ، في بادئ نشأته ، لا يقول من الشعر
إلا البيتين أو الثلاثة ، حتى ساء به رجل من قومه ، فذكر سواده
وسواد أمه ، وأنه لا يقول الشعر . فقال عنتره : « والله إن الناس
ليترافدون الطعمة ؛ فما حضرت انت ولا ابوك ولا جدك مرفد
الناس قط . وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم .
فما رأيتك يوماً في خيل مغيرة في أوائل الناس قط ، وإن اللبس
ليكون بيننا . فما حضرت انت ولا ابوك ولا جدك خطرة فصل ،
وإنما انت فقع بقرقر ' ، واني لأحتضر البأس ، وأوفي المغنم ،
وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت يدي ، وأفصل الخطة الصماء .
واما الشعر فستعلم » . فكان أول ما قال ، معلقته ، وتسمى
« المذهبة » :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ

أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ^(١)

وقد ضمناها خصاله ، ومكارم قومه ، ودفاعه عنهم ، وكثرة
جوده ، واتى فيها بأوصاف شتى . وتعد معلقته من الشعر الجميل ،
وسهولة اللفظ ، والحماسة . وغالب ما في سيرته الموضوعات في زمن

(١) الفقع : الكمأة . القرقر : الأرض التي تشق عن الكمأة . وهو مثل

يضرب لمن لا قدر له .

(٢) المتردم : موضع الرقعة من الثوب ، واستعير للمكان المتهدم .^٢

الفاطميين ، وما في الديوان المنسوب اليه ، منحول لا يعتد به .

ومما يستحسن له في الوصف قوله :

وخلا الذبابُ بها فليسَ ببارحٍ

غَرِدَا كَفِعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ^(١)

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ

فِعَلِ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ^(٢)

وما يدلُّ على كرمه وجوده وشرفه قوله :

وَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ

مَالِي ، وَعِزُّي وَإِفْرٌ لَمْ يَكَلِّمْ^(٣)

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى

وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي

وقيل إنه كان يهوى ابنة عمه عبلة ؛ ولذا نرى اسمها يجري

كثيراً على فيه ، فخاطبَ دارها على التجريد . قال :

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي

وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَأُسْلَمِي^(٤)

(١) البراح : الزوال . غرد : صوت الطائر . (٢) هزجاً : مصوتاً .

المكب : المقبل على الشيء . الاجزم : الناقص اليد . (٣) يقول : اذا شربت

الخمر ، فاني اهلك مالي بكرمي ولا أشين عرضي . (٤) الجواء : الوادي الواسع .

حَيَّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ

أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ ^(١)

تَمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ

وَأَيَّتُ فَوْقَ سَرَاةٍ أَذْهَمَ مُلْجَمِ ^(٢)

إِنْ تُغْدِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي

طَبُّ بِأَخَذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْتِمِ ^(٣)

وشهد عنيزة حرب داحس والغبراء ، وحسن فيها بلاؤه ،

وُحِدَتْ مشاهده ، وقد قتل ضمناً المري وهرمأ . قال :

ولقد خشيتُ بأنْ أموتَ ولم تدرْ

للحربِ دائرةٌ على أبنِي ضَمْنَمِ

الشَّائِمِي عِرْضِي ولم أَشْتِمُهَا

وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَقِيَتْهُمَا دَمِي

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا

جزر السباع وكلَّ نَسْرِ قَشْعَمِ ^(٤)

ومما سبق اليه ولم يَنَازِعْ بِهِ ، قوله :

(١) اقوى واقفر : خلا من السكان . ام الهيثم : كنية عبله .

(٢) الحشية : الفراش الناعم . سرارة : ظهر . اذهم : صفة للفرس .

(٣) تغدي : ترخي . القناع البرقع تستر به المرأة رأسها . المستلم : لابس

الدرع . (٤) نسر قشعم : نسر مسن كبير .

إني امرؤ من خير عبس منصباً

شطري وأحمي ساثري بالمنصل^(١)

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت

ألفيت خيراً من ميم نخول^(٢)

وإنك لتجد في شعره حلاوة الغزل ، ومتانة الفخر . غير ان
اكثره ، كما قلنا ، مدخول النسب ، لا يمت اليه الا بقشابه الاسلوب
والغرض . واتفق علماء الشعر على ان معلقته لا دخل فيها ، ولا
دس ، وهي رقيقة ، فخمة ، نظمها دفاعاً على شاعريته واثباتاً
لفصاحته ، كما تقدم وقيل له يوماً : « انت اشجع العرب
واشدّها » . قال : « لا » قيل : « فبماذا شاع لك هذا في الناس ؟ »
قال : كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزمًا ، وأحجم اذا رأيت
الاحجام حزمًا ، ولا أدخل موضعاً لا أرى لي منه مخرجاً ؛ وكنت
اعتمد الضعيف الجبان ، فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب
الشجاع ، فأنشني عليه فأقتله . وطال عمر عنتره حتى ضعف جسمه
وعجز عن الغارات . ومن الرواة من يقول انه مات قتلاً ؛ ومنهم
من يقول انه مات حتف انفه قبل الاسلام .

ومن جيد قوله :

(١) المنصل : حديدة السيف الفاطمة .

(٢) الكتيبة : جماعة من الفرسان . احجمت : تأخرت . ألفيت : وجدت .

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْحَتُوفُ كَأَنِّي
 أَصْبَحْتُ مِنْ غَرَضِ الْحَتُوفِ بِمَغْزِلٍ^(١)
 فَأَجَبْتُهَا : إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ
 لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنَهْلِ^(٢)
 فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَا لَكَ وَأَعْلَمِي
 إِنِّي أَمْرٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أَقْتَلْ
 إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مِثَّلَتْ
 مَثَلِي إِذَا نَزَلُوا بِضَنْكَ الْمَنْزِلِ^(٣)
 وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنَّنِي
 فَرَّقْتُ جَمْعَهُمْ بِضَرْبَةٍ فَيَصَلُ^(٤)
 هَذَا هُوَ عُنْتَرَةٌ ، وَهُوَ أَحَدُ شُعْرَاءِ الْفَرَسَانِ عِنْدَ جَهْرَةِ الْعُلَمَاءِ .

عدي بن زيد العبادي

هو عدي بن زيد بن ايوب بن زيد مناة من بني قحيم ، كان
 يسكن في الحيرة ، ويدخل الارياض ، وبسبب اختلاطه مع الامم
 المجاورة ، كالفرس وغيرهم ، ثقل لسانه بالعربية واحتُمِلَ عنه
 شيء كثير . ويرى علماء اللغة ان شعره ليس حجة لاستعماله اوضاعاً

(١) الحتوف ، مفردة حتف : الموت . (٢) منهل : مشرب .

(٣) ضنك : ضيق . (٤) فيصل : سيف .

فارسية ويونانية . على أن ذلك لا يمنع من ان يكون له قصائد
غرر من انفس الشعر الجاهلي كقوله :

رَوَاحٌ مِنْ بُيُوتَةٍ أَمْ بِكُورُ غَدَا فَاَنْظُرْ لِأَيِّهِمَا نَصِيرُ
ومن قصائده :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعِيرُ بِالْذَّهْرِ أَأَنْتَ الْمُبْرَأُ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ أَمْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ

فمن ابدياته ترى رقة شعره وانتخاب الفاظه ، وتلتمس عاطفة
دينية مؤمنة ؛ فيرى زوال الدنيا ، والخلود فيها محال ؛ فينشد :

مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ^(١)
أَيْنَ كِسْرَى ، كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرُ وَأَنْ ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الْأَصْغَرِ الْكِرَامُ مَلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكَورُ
ومنها :

لَمْ يَهْنَهُمْ رَيْبُ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ فَأَلَوْتَ فِيهِ الصَّبَا وَالْذَّبُورُ^(٢)
وله قصيدة ، يرى فيها أن له الماضي والحاضر ، والمستقبل
للوارث ، ولا يعلم متى يحضره الموت ، فيقول :

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أَمِّ مَعْبَدٍ

نَعَمْ فَرَمَاكَ الشَّوْقُ قَبْلَ التَّجَلُّدِ

(١) المنون : الموت . (٢) الصبا : الريح الشرقية . الذبور الريح الغربية .

ومنها :

أَعَاذُ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِّي
إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى الْغَدِ

ذَرِينِي فَإِنِّي إِنَّمَا مَالِي مَا مَضَى
أَمَامِي مِنْ مَالٍ إِذَا خَفَّ عُودِي

وُحِّمَتْ لِمِيقَاتٍ إِلَيَّ مَنِّي
وَعُودِرْتُ إِنْ وُسِدْتُ أَوْ لَمْ أَوْسِدِ

وَلِلْوَارِثِ الْبَاقِي مِنَ الْمَالِ فَاتْرُكِي

عِتَابِي فَإِنِّي مُصْلِحٌ غَيْرُ مُفْسِدٍ

وله قصيدة في الزبأ وجزيمة ، وقصير الطالب بالشار ، مطلعها :

دَعَا بِالْقُبَّةِ الْأَمْرَاءَ يَوْمًا
جُذَيْمَةُ عَصْرٍ يَنْجُوهُمْ تَبِينَا

وخاتمتها :

وَلَمْ أَجِدِ الْفَتَى يَلْهُو بِشَيْءٍ
وَلَوْ أَثَرِي وَلَوْ وَلَدَ الْبَنِينَا

ولا نرى ما يمنع الاحتجاج بشعره ، وهو جاهلي كغيره ،

وعربي متصرف بالكلام تصرف المالك الحبير .

الرواية والرواة

إنَّ ما وصل إلينا من كلام العرب شعراً ونثراً ، يعزى الى اهل البداوة الاميين . ويزعم جماعة من المؤرخين انه لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه شيئاً منها ، إلا ما رُوي عن هشام بن الكلبي : من أنه استخرج اخبار ملوك الحيرة من بعض صحفهم ، وألا ما قيل من حديث الكراريس التي عثر عليها المختار الشقفي تحت قصر النعمان في الحيرة .

والرواية لا بُدَّ من ان تنقص او تزيد ، والناس لا يضبطون كلَّ ما يسمعون ضبطاً صحيحاً من غير تبديل ، ولهذا كان الشعر الجاهلي مظنة الشك عند غير واحد من علماء الادب والمستشرقين ؛ لانه مهما قويت ملكة الحفظ عند الرواة ، فانه لا يقطع بصحة الرواية لفظاً . وقد يروون على المعنى ، ويقدمون ويؤخرون ، والنسيان صفة لازمة للانسان ، فعلى ذمة الرواة تدرس الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا .

الحُصَا

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد السليمية ، أرقى شواعر العرب ، وأحزن من بكى وندب .

كان أبوها عمرو ، وأخوها معاوية وصخر . وهي من أجل
نساء زمانها ، خطبها دريد بن الصمة فارس جشم ، فرغبت عنه ،
وآثرت التزوج في قومها . كانت تقول المقطعات من الشعر ، فلما
قُتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر ، جزعت عليهما ،
وبكتهما بكاءً مرّاً ؛ وكان وجدها على صخر شديداً لأنه شاطرها
هي وزوجها أمواله . وجاء الاسلام ، فوفدت مع قومها على
النبي واسامت .

وما فتئت تبكي صخرأ ، قبل الاسلام وبعده ، حتى عميت
وبقيت الى ان شهدت حرب القادسية مع اولادها الاربعة ،
فاوصتهم وصيتها المشهورة ، وحضتهم على الصبر عند الزحف ،
فقتلوا جميعاً ، فقالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم » وتوفيت
سنة ٢٤ هـ .

ويقول علماء الشعر على انه لم تكن امرأة ، قبل الخنساء ولا
بعدها ، أشعرَ منها ، وقد غلبت فحول الشعراء ؛ وقد فضلها
الناطقة على الاعشى . وسئل جرير : « من اشعر الناس » ، قال :
« أنا ، لولا الخنساء » ، قيل : « بهم فضلتك » ، قال : بقولها :

إِنَّ الزَّمانَ وما يَفْنَى لَهُ عَجَبٌ

أَبْقَى لَنَا ذَنْباً وَأَسْتُوْصِلَ الرَّاسُ

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا
لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

وَمَنْ جَيَّدَ شَعْرَهَا تَرَّثَى أَخَاهَا صَخْرًا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَانِ الصَّخْرَ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرْيَ الْجَمِيلَ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلَ النِّجَا دِ، مَادَ عَشِيرَتُهُ أَمْرَدَا
إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنْ الْمَجْدِ ثُمَّ انْتَمَى مُضْعَدَا
يَحْمِلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَدَا
وَإِنْ ذَكَرَ الْمَجْدُ الْفَيْتَةَ تَأْزَّرَ بِالْمَجْدِ ثُمَّ ارْتَدَى

وَمَنْ قَوْلَهَا تَرَّثِيهِ :

أَلَا يَا صَخْرُ إِنْ أَبْكَيْتَ عَيْنِي فَقَدْ أَضْحَكْتَنِي زَمَنًا طَوِيلَا
دَفَعْتُ بِكَ الْخُطُوبَ وَأَنْتَ حَيٌّ فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْخُطْبَ الْجَمِيلَا
إِذَا قُبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسْنَ الْجَمِيلَا

العصر الثاني

صدر الاسلام والدولة الاموية

ظهر الاسلام بظهور النبي محمد ، فهدم القبيلة الجاهلية ، ووحد العرب تحت راية واحدة ، وجعلهم في نطاق حكومة منظمة ، وانتشر المسلمون يفتحون الأمصار ، ويدكون عروش ممالك القياصرة والاكاسرة وملوك الهند ، واستولوا على الشام والعراق وفارس ومصر والاندلس وبلاد الهند ، وأدخلوا اليها شرائعهم ، ونشروا فيها دعوتهم ، وأخذوا عنها نظاماً سياسياً كتدوين الدواوين وتنظيم الجيش ، وطبعوها بالطابع العربي .

وجاء الامويون بعد الخلفاء الراشدين ^(١) ، واتخذوا دمشق عاصمة الدولة العربية . ودعا الاسلام الى عبادة الله الواحد الصمد ، وشرع توريث المرأة ، وحدد السلطة الابوية ، ومنع الربا ، وحرّم الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر ، ووضع الشرائع الدينية والقضائية . فانتقل العرب من حياة الى حياة اجتماعية جديدة ، واقتبسوا شيئاً من مدنية الفرس والروم ، من نظم اجتماعية

(١) الخلفاء الراشدون هم : ابو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن

عقاف ، علي بن ابي طالب .

وزراعيّة وصناعيّة . فوفرت اموالهم ، وكثر ترفهم ، ممّا أثر في
الادب الاسلامي : خمود العصبية الجاهليّة . وبعثها في العهد
الاموي ونشوء الروح الدينيّة ، وتغيير العقلية العربيّة ، وتحسين
الاحوال الاجتماعية والاقتصادية ، وظهور الاحزاب السياسيّة ،
واتساع الفتوح ، وتأثير الامم الاجنبية بلغاتها وعاداتها واعتقاداتها
وآدابها ، وأساليب القرآن والحديث والشعر الصحيح والأمثال .
وسنعرض لكلّ ذلك .

القرآن وأثره

لم يتصل بنا كتاب دينيّ أثر في اللغة التي كتب بها مثلما كان
من الاثر العظيم للقرآن في اللغة العربيّة . فهو الكتاب الذي وحّد
اللغة ، وتلاشت الحميريّة لغة اليمن وسائر لغات الجزيرة ، وأصبحت
لغة قريش لغة الأمة العربيّة .

والقرآن : هو كتاب الوحي عند المسلمين ، وفيه مئة وأربع
عشرة سورة ، منها احدى وتسعون مكيّة ، وثلاث وعشرون
مدنيّة . وقد نزل على النبيّ منجّماً بحسب الوقائع ومقتضيات
الأحوال في بضع وعشرين سنة . أمّا السور المكيّة ففيها دعوة
الناس الى الدين الاسلامي ، ورفض عبادة الاصنام ، والتنديد بمن

يقف في سبيل الدعوة والفتح .

وفي السور المدنية : الاشتراع الديني ، في الصوم والصلاة والزكاة ، وحج البيت الحرام على من استطاع اليه سبيلاً .
الاشتراع الاجتماعي : في الزواج والميراث والطلاق .
الاشتراع السياسي : في قتال من يناهض الدعوة ...
وجمع القرآن في العصر النبوي فكان كتبة الوحي يكتبونه في سعف النخل ، وفي ألواح عظيمة ، وفي حجارة رقيقة ، وحفظه الصحابة في صدورهم . وفي خلافة ابي بكر ، جمعت هذه الرقاع المكتوبة ودونت الآيات المحفوظة . وفي خلافة عثمان بن عفان ، جمعت آياته في المصاحف ووزعت على الأمصار .

وللقرآن أسلوب خاص ولهجة تميزه عن كل ما كتب قبله وبعده . ويمتاز بعدوبة الألفاظ وتناسق الكلام ، ووضوح التعبير بدقة التمثيل والتشبيه ، وغنى المعاني والحكم . وهو مسجع ، قصير الآتي في السور المكينة عندما يهدد ، ومرسل ، طويل الآتي عندما يعد بالرحمة والعدل في السور المدنية . وفضله عظيم على اللغة العربية : فقد هذبها ، وحررها من خشونة الجاهلية ، وزادها بلاغة ورقياً فقد أدخل عليها الاغراض الدينية والسياسية والاجتماعية ، كالصوم والزكاة والحج والزواج والطلاق والميراث

والركوع والسجود والدعوة والبيعة ، الى غير ذلك من الألفاظ التي جددها الاسلام وغير معناها .

وقد نشر الكتّابة ، وحفظ اللغة من الضياع ، وما زال يحفظها . وقد أحدث في العربية علوماً ، كالفقه والتفسير ورسم الحروف والمعاني والبيان واللغة والبديع . قبس من تعاليمه :
 « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ،
 اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

« مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ » .

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اِتِّبَاعًا مَرْضَاةَ اللَّهِ ، وَتَشْدِيدًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ، أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضَعْفَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ . وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » .

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريماً ، وأخفص لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

الحديث

الحديث هو الكلام المأثور عن النبي وأعماله؛ حفظها الصحابة، وساعدتهم على تفسير القرآن . فتوارثوه خلفاً عن سلفٍ حتى تجرد لجمعه العلماء ، ودونوه بحسب علم مصطلح الحديث في القرن الثاني للهجرة ، وألفوا فيه الكتب العديدة . وهو عند الاسلام في المنزلة الثانية بعد القرآن ، بحسن ايجازه ، وروعة بيانه ، وتناسق أسلوبه ، وعظم أثره في توسيع اللغة ونشرها .

مثال منه : « لا خير في صحبة من لا يرى لك ما لا يرى له » . « ما هلك امرؤ عرف نفسه » . « ارحموا عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر » . « يد الله مع الجماعة » . « إن اكرمكم عند الله اتقاكم » . « ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى » .



النثر الاسلامي

قلنا ان العرب خرجوا من بلادهم على أثر الفتوح ، وامتدوا في رقاع بعيدة الآفاق من الامصار التي استولوا عليها ، فاستوطنوها وخالطوا اهلها . فوجدوا انفسهم امام اللغة القبطية والحضارة المصرية والآداب اليونانية ، وامام اللغة السريانية

والحضارة الفينيقية واليونانية في الساحل اللبناني ، وآداب
بيزنطية في الشام وسوريا . فاقتبسوا من هذه الآداب المختلفة ،
والحضارات الحديثة والموروثة ، ما رأوا انفسهم أنهم بحاجة اليه
من فنّ وفلسفة . وقد طبعوا ذلك كله بالطابع العربي ، وزاحموا
اللغات المنتشرة ، وقضوا على البعض منها ؛ وأخذوا ما كان
ينقص اللغة العربية من مادة وأسلوب ، فاغتنمت وترقت ، وانتشرت
في سائر اقطار الدولة العربية الجديدة .

وبقي العرب في الجزيرة يكتبون مثلما يتخاطبون ، وقد
زاد القرآن على فصاحة ألفاظهم ورصانة اساليبهم ، بلاغة تعابيره
ودقة تشابيهه ، وغنى ألفاظه واغراضه ، فجاء النثر مرصعاً بآياته ،
ومتبعاً اساليبه . ثمّ تسرّبت اليه الاغراض الدينية والادارية
والحضرية ، فاتسعت غاياته ، ووضعت له الاصول والقواعد ،
وأصبح فناً من الفنون الادبية أيام الدولة الاموية .

الخطابة

الخطابة واسطة للتأثير والاقناع . وتكثر الحاجة اليها عند
الانقلابات القومية . وقد احدث الاسلام انقلاباً دينياً وسياسياً
 واجتماعياً . والعرب ، كما رأينا في العصر الجاهليّ ، مفطورون على

فصاحة اللسان وحبّ القول والعناية به ، فلا بدع ان نحن رأينا تعدّد دواعي الخطابة في هذا العصر ، وقد رقت اساليبه ، فكان حظّ العرب منها عظيماً ، ما بلغه قبل العرب غير الرومان واليونان في أعصرهم الذهبيّة .

ويمكننا اجمال دعاوي الخطابة في ما يأتي :

- ١ — الانقلاب الديني والاجتماعي والسياسي .
 - ٢ — انصراف الناس الى النثر بعد ان نهى القرآن عن اللهو بالشعر .
 - ٣ — ظهور الفتن وتعدّد الشيع الدينيّة بعد مقتل عثمان .
 - ٤ — نشأة الاحزاب السياسيّة في ايام الدولة الامويّة .
- وعرفت الخطابة في هذا العصر بسهولة العبارة ، ومتانة التراكيب ، وجزالة الالفاظ مع ايجاز شديد الروعة ، قويّ التأثير ، مرصعاً بأيّ القرآن . وقد رمت الى تأييد الآراء والمذاهب السياسيّة ، وتوحيد الاحزاب وتأليف الجماعات ، وتوطيد اركان الملك والسلطان ، واستنهاض الهمم للفتح ، وقع الفتن وارهاب الاعداء .

بعض مشاهير الخطباء

علي بن أبي طالب (٦٥٦ - ٦٦١)

هو رابع الخلفاء الراشدين ، شبّ علي حبّ المبادئ الإسلامية ، وجاهد محارباً في سبيلها . وبويع الخلافة بعد مقتل عثمان ، وامتنع معاوية عن بيعته ، وثارت الفتن ، وانقسم المسلمون احزاباً ، وقتل عليّ في مسجد الكوفة ، وصارت الخلافة الى معاوية في الشام .

كان عليّ شجاعاً فصيح اللسان ، قويّ الحجّة في رسائله وخطبه ، بعيد المغزى في حكمه . وقد خطب في الحثّ على الجهاد والقتال ، وفي ذمّ الدنيا وأباطيلها . وله رسائل في العتاب والنصح الى عمّاله وولاته ، ولاسيما الى معاوية . وله كذلك حكم وامثال ومواعظ في غرور الدنيا وسرعة زوالها . واليه ينسب كتاب « نهج البلاغة » .

نموذج من خطبه :

« امّا بعد : فان الدنيا قد أدبرت ^(١) وآذنت بدواع ؛ وإنّ الآخرة قد اقبلت وأشرفت باطلاع . وان المضمار ^(٢) اليوم ،

(١) ادبرت : ولّت ، انقضت . (٢) المضمار : الميدان وهنا بمعنى المنافسة .

والسباق غدا . ألا وإنكم في أيام أملٍ من ورائه أجل . فمن
اخلص في أيام أملة ، قبل حضور أجله ، فقد نفعه عمله ، ولم يضره
أملة ؛ ومن قصر في أيام أملة ، قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله ،
وضرّه أملة . ألا فاعملوا لله في الرغبة ، كما تعملون له في الرهبة .
ألا وإني لم أرَ كالجنة نام طالبا ، ولا كالنار نام هاربا . ألا وإنه
من لم ينفعه الحق يضره الباطل ؛ ومن لم يستقم به الهدى ، يجذبه
الضلال الى الردى . ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ^(١) ودلتم على
الزاد ؛ وإنّ اخوف ما أخاف عليكم ، اتباع الهوى وطول الامل .
فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحززون به انفسكم غدا .

نموذج من حكمه :

« المرء مخزي بما اسلف ، وقادم الى ما قدّم - ينام الرجل على
الشكل ، ولا ينام على الحرب ^(٢) . اكثر مصارع العقول تحت
بروق المطامع . من صارع الحق صرعه . - المرأة شرُّ كلِّها ، وشرُّ
ما فيها انه لا بدّ منها . - ثلاث من كنوز الجنة : كتم العلة ،
وكتم الصدقة ، وكتم المصيبة . - مسكين ابن آدم ، مكتوم
الاجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقّة ، وتقتله
الشرقة » .

الحجاج ٧ يوسف (٦٦٢ - ٧١٥ م)

نشأ في الطائف ، وعلم فيها الأولاد ، ثم قدم الشام ، واتصل
بروح بن زنباع ، وزير الخليفة عبد الملك بن مروان الاموي . وما
لبث حتى ظهرت مواهبه ، فعينه الخليفة على شرطته ، ثم نقله الى
ولاية الحجاز سنة ٦٩٢ م ، والحجاز يومئذ مضطرب بثورة
عبد الله بن الزبير . فأخذ الثورة فيه ، ثم ولي العراق ، وكان فيه
فتنة الشيعة والخوارج فقمعها بجرأته .

كان فصيح اللسان ، ثابت الجنان ، كثير التهديد ، قوي
الحجة ، شديد الارهاب ، سفاحاً ، سفكاً ، يرفع من يطيعه ،
ويذل من يعصيه . ومما قاله عن نفسه : « انا لجوج ، حقود ،
حسود ، ومتى كانت هذه الصفات في متسلط اهلك الحرث والنسل
إلا ان يدين له الناس ويذللوا » .

نموذج من خطبه :

قيل ان الحجاج خرج يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع
تكبيراً في السوق ، فراع ذلك ، فصعد فحمد الله ، وأثنى
عليه وقال :

« يا اهل العراق : يا اهل الشقاق والنفاق ومساوى
الاخلاق ، وعبيد العصا واولاد الاماء والنقع بالقرقرة ^(١) ، إني

(١) النقع : الماء المستنقع . القرقرة : الارض المطننة اللينة .

سَمِعْتُ تَكْبِيرًا لَا يُرَادُ بِهِ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ ، وَإِنَّمَا مَثَلِي
وَمَثَلُكُمْ مَا قَالَ ابْنُ بُرَاقَ الْهَمْدَانِي ^(١) :

وَكُنْتُ ، إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْهُمْ ،

فَهَلْ أَنَا فِي ذَا ، يَا لَهْمْدَانِ ظَالِمٌ ؟

مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِمًا

وَأَنْفًا حَمِيًّا ^(٢) تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ

أَمَّا وَاللَّهِ لَا تُقَرِّعُ عَصًا بَعْصًا إِلَّا جَعَلْتُهَا كَأَمْسِ الدَّابِرِ .

وخطب أهل العراق قبل تسييره أحد البعوث ، قال :

« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ! إِنِّي لَمْ أَجِدْكُمْ دَوَاءً لِدَائِكُمْ مِنْ هَذِهِ

الْمَغَازِي وَالْبُعُوثِ لَوْلَا طِيبُ لَيْلَةِ الْإِيَابِ وَفَرَحَةُ الْقَفْلِ ^(٣) ، وَإِنَّمَا

تَعْقِبُ رَاحَةً . وَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى الْفَرَحَ عِنْدَكُمْ وَلَا الرَّحْمَةَ بِكُمْ ،

وَمَا أَرَاكُمْ إِلَّا كَارْهِينَ لِمَقَالَتِي . أَنَا وَاللَّهِ لَرُؤَيْتَكُمْ أَكْرَهُ ، وَلَوْلَا مَا

أُرِيدُ مِنْ تَنْفِيذِ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ ، مَا حَمَلْتُ نَفْسِي

مُقَاسَاةَكُمْ وَالصَّبْرَ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْكُمْ . وَاللَّهِ أَسْأَلُ حُسْنَ الْعَوْنِ

عَلَيْكُمْ . »

زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ (+ سَنَةِ ٦٧١ م)

هُوَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الْمُثَنَّى ، وَاسْمُ أُمِّهِ سَمِيَّةٌ ، أَحَدُ دُهَاتِ الْعَرَبِ

(١) شاعر بَاطَنِي ، مَنْسُوبٌ إِلَى قَبِيلَةِ هَمْدَانَ فِي الْيَمَنِ . (٢) سَمِيٌّ أَنْفُهُ : كَانَ

شَدِيدَ الْإِبَاءِ . (٣) الْقَفْلُ : الرَّجُوعُ .

وخطبائها وساستها وقادتها . ولد في الطائف ، ونبغ منذ حداثة سنّه ، فاستكتبه ابو موسى الاشعري والي البصرة ، وعمل لعلّي ابن ابي طالب في إمارة فارس . وكانت نائرة فاحمد الثورة فيها . ثم استرضاه معاوية بن ابي سفيان بعد مقتل عليّ ، واستلحقه بنسبه ، وولاه البصرة والكوفة . وكان فصيح اللسان ، شديد الذكاء . واليك نموذجاً من بعض خطبه :

خطبة البتراء :

خطبها في البصرة ، حين قدم اليها والياً عليها من قبل معاوية . وسميت بتراء لأنها لم تبدأ بذكر الله تعالى ، شأن الخطب ، قال : « أمّا بعد فإنّ الجهالة الجهلاء ^(١) ، والضلالة العمياء ^(٢) ، والغبيّ الموفيّ باهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ^(٣) ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الامور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما اعدّ الله من الثواب الكريم لاهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمديّ ^(٤) الذي لا يزول . أتكفون من طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ^(٥) ، واختار الفانية

(١) الجهلاء : الشديدة . (٢) العمياء : التي لا هدى معها .

(٣) سفهاء ، مفردة سفيه : سيء الخلق . (٤) السرمديّ : الدائم .

(٥) سدت مسامعه الشهوات : تملكته .

على الباقية ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه، من ترككم الضعيف يقهر، ويؤخذ ماله؟ ما هذه المواخير^(١) المنصوبة، والضعيفة المساوبة في النهار المبصر، والعدد غير قليل؟ ألم يكن منكم نهاية يمنعون الغواة عن دلج الليل^(٢) وغارة النهار؟ قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس. كل امرئ منكم يذب^(٣) عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عاقبة، ولا يرجو معاداً. ما انتم بالعلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون، من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً من مكانس^(٤) الرّيب. حرام عليّ الطّعام والشراب، حتى أسويها بالارض هدماً وإحراقاً. إني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح إلا صلح به أوّله: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف. وإني أقسم بالله، لا أخذن الولي بالمولي، والمقيم بالطاعن والمقبل بالمدير، والمطيع بالعاصي، والصحيح بالسقيم. يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد^(٥) او تستقيم قناتكم. إن كذبة الامير ببقاء مشهورة، فاذا تعلقتم عليّ بكذبة، فقد حلت

(١) المواخير: بيوت الدعارة والفحش. (٢) دلج الليل: المسير ليلاً؛ والمراد هنا التناصص والفتك. (٣) يذب: يدافع. (٤) مكانس الريب: مكانها المقصرة. (٥) مثل يضرب في تنابح الشر وروى سعيد.

لكم معصيتي ، فاذا سمعتموها مني فاغتمزوها في^(١) واعلموا
أنَّ عندي امثالها . مَنْ نُقِبَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ ، فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْ
ماله ، فايأي ودلج الليل ، فَإِنِّي لَا أُوتِي بِمُدْلَجٍ إِلَّا سَفَكَتَ دَمَهُ ،
وقد اجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبرُ من الكوفة ويرجع
اليكم^(٢) .

ومنها :

« نَسُوْكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَذُوْدُ عَنْكُمْ بِفِيءِ
اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا . فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ
عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلَيْنَا ؛ فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفَيْئَنَا بِمَنَاصِحِكُمْ لَنَا ،
وَأَعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَرْتُ عَنْهُ ، فَلَنْ أَقْصِرَ عَنْ ثَلَاثٍ : لَسْتُ
مُحْتَاجِباً عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ ، وَلَوْ أَتَانِي طَارِقاً بَلِيلٍ ؛ وَلَا
حَاسِباً عَطَاءٍ وَلَا رِزْقاً عَنْ إِبَّانِهِ ؛ وَلَا بِحِجْرٍ أَلَيْكُمْ بَعْثاً^(٣) . فَادْعُوا
اللَّهَ بِالصَّلَاحِ لِأَثْمَتِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ سَاسَتَكُمْ الْمُؤَدِّبُونَ لَكُمْ ، وَكَهَفَكُمْ الَّذِي
إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يَصْلَحُوا تَصْلَحُوا ... »^(٤) .



(١) عدوها من عيوي . (٢) الكوفة : بلدة في العراق .

(٣) تجمير الجند أو البعث حسبهم في أرض العدو . (٤) وهي خطبة طويلة

نخترى بهذا القدر . فمن شاء الاطلاع عليها ، فليطلبها في كتاب « العقد » لابن عبد ربه ،
أو كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ .

البصرة والكوفة

هما مدينتان : تقع الاولى منهما اي البصرة ، على شطِّ العرب المتكوّن من اتحاد الفرات ودجلة ، وتبعد عن خليج العجم ما يقرب من مئة ميل .

وتقع الثانية ، وهي الكوفة ، الى الجانب الغربي من الفرات على مقربة من موضع الحيرة . أنشأهما الفاتحون العرب بقيادة سعد بن ابي وقاص في السنة ٦٣٨ م . وكانت كلُّ منهما في بادئ الامر مخيماً للجيش العربيّ ، فتمتا سريعاً وأصبحتا مركزين عظيمين للتجارة والعلوم العربيّة . وفيهما نشأ اشهر النحاة وعلماء اللغة . وقد اشتدّ الخلاف بين علماء المدينتين ونحاتها على مسائل الصرف والاعراب . وكان العلماء في سائر الاقطار العربيّة طائفتين : طائفة تتبع البصرة ، والاخرى تتبع الكوفة وتأخذ برأي علمائها . وما زال جماعة اللغويين كذلك الى يومنا هذا .

وانتقلت الحركة العلميّة منهما الى بغداد . ويقول ارباب العلم : إنّ علم العربية كان في البصرة ، ورواية الشعر كان في الكوفة . وقد وضع عبد الرحمن بن ابي سعيد الانباري كتاباً سماه « الانصاف في مسائل الخلاف » ، جمع فيه نحواً من مئة وعشرين

مسألة يقابل فيها بين رأي البصريين ورأي الكوفيين. وقد وضعه
تلبية لطلاب تلامذته في المدرسة النظامية في بغداد .



الشعر الاسلامي وتقدمه

قلنا ان الاسلام احدث انقلاباً كبيراً في الشعر ، وذلك
للتأثير الذي كان له بذلك في الشعر ، وقد نهى النبي عنه ، لأنه من
عوامل التفرقة ، وقد انزلت الآية : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ،
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .
وطعن بالشعراء وبعض العادات الجاهلية المخالفة لتعاليم القرآن ،
فانحط الشعر قليلاً وقل عدد الشعراء فمنهم من توقف عن قوله
مثل لبيد بن ربيعة فيما يُقال ، ومنهم من قاله بما يطابق روح
الكتاب كحسان بن ثابت و كعب بن زهير ، ومنهم من تمسك
بالادب القديم كالخطيئة . غير أننا نرى أن النبي لم ينة عن الشعر
كله لقوله : « ان من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً » .
وقد ابدى اعجابه ببعض الشعراء ، وحرّض على هجاء اعدائه
وذلك عند اشتداد الخصومة بينه وبين آل قريش ، وقد شجّع
حسان بن ثابت على هجو الاعداء ، فنصب له منبراً في المسجد كان

يصعبه حسان وينشد هجاء اعداء النبي بحضرته؛ والنبي يدعو له .
 وبسبب هذا نهض الشعر من سباته بعض النهوض ، وتسربت
 اليه بعض الألفاظ القرآنية ، فكانت الخطوة الاولى نحو الشعر
 الاسلامي الجديد . ثم نرى ان الشعر رقد أيام الخلفاء الراشدين .
 فقد نشطوا من يعدل عن الشعر الى تلاوة القرآن وحفظه ، وقد
 أشار علي بن ابي طالب على ابي الفرزدق ان يعلم ولده القرآن ،
 واستعملوا الشدة والسجن لمن يهجو الاسلام والمسلمين من
 الشعراء ، وانصرف الناس الى قراءة القرآن وتلاوته ، والى الحرب
 والفتوح . ولما قتل عثمان وانتشرت الحرب الاهلية ، اخذ الخلفاء
 يستخدمون الشعر لأغراضهم الدينية أو لاثم لأغراضهم الحزبية ،
 فيروى لابي بكر قصائد حماسية ، ولعمر حكم شعرية رائعة ، ولعلي
 ابن ابي طالب قصائد منها :

تَغَيَّرَتِ المودَّةُ والاخاءُ وقلَّ الصدقُ وانقطعَ الرجاءُ
 وأسلمني الزَّمانُ الى صديقٍ كثيرِ الغدرِ ليس له رِعاءُ
 وليسَ بدائمٍ ابدأً نعيمٌ كذاك البؤسُ ليس له بقاءُ

وان نحن تصفحنا كتب الادب الموثقة التي بين ايدينا ،
 نرى اندفاع الشعراء بعد انقطاع عنه ، قد شحذوا قرائنهم
 واقتبسوا من القرآن بلاغته ، ومن الحضارة الجديدة رقيها ،
 وأصبح الشعر دينياً حزبياً في الكثير من اغراضه ودواعيه ؛

وهي ظهور الاحزاب والشيعة الدينية ، منها :

- ا - الحروب الاهلية بين المسلمين والحروب الخارجية .
 - ب - الدفاع عن الاسلام والمذاهب المختلفة - الشيعة الاسلامية .
 - ج - التحمس للقتال والحث على الجهاد والتباهي بالنصر .
 - د - وصف المعارك الحربية وحصار المدن وفتحها .
- ويعرف الشعراء الذين ولدوا في الجاهلية وادر كوا الاسلام بالشعراء المخضرمين ، وقد اشتهر منهم لبيد . ومطلع معلقته :

عفت الديار محلها فمقامها

بمى تأبد غولها فرجامها ^(١)

رُزِقَتْ مراييعَ النجومِ وصابها

وَدَقُ الرواعدِ جَوْدُها فرهامها ^(٢)

والخطيئة . ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار قوله :

يَسْوَ سُونَ أَحْلَاماً بَعِيداً أَنَاثُها

وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الحَفِيطَةُ والجِدُّ ^(٣)

(١) عفا : امحى . مفى : ام مكان او جبل . تأبد : توحش . الفول والرجام :

جبلان . (٢) مراييع النجوم : الانواء الربيعية . الودق : المطر . الجود : الكثير . الرهام : القليل . (٣) احلام : عقول . أناة : حلم ، غضب وهي من

الاضداد . الحفيظة : الغضب .

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا آبَا لِأَيِّكُمْ
 مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
 أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا إِلَيْنَا
 وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
 وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَةُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا
 وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا
 وَمِنْ أَقْوَالِهِ :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُعَدُّ جَوَازِيَهُ
 لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 وَالنَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ الْعَامِرِيُّ ، وَقَدْ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ وَأَنْشَدَهُ
 قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ ، وَالِيكَ بَعْضُ ابْيَاطِهَا :
 خَلِيلِي عَوْجَا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا
 وَنُوحَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا^(١)
 وَلَا تَجْزَعَا إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ
 فَخَفَا لِرُوعَاتِ الْحَوَادِثِ أَوْقِرَا
 وَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تَطِيقَانِ دَفْعَهُ
 فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَأَصْبِرَا

(١) عَوْجَا : قَفَا . تَهَجَّرَا : سَبَرَا فِي الْهَاجِرَةِ ، أَيِ فِي وَقْتِ انْتِدَادِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ .

ومنها قال مفتخراً :

وإِنَّا لَقَوْمٌ مَا تَعَوَّدَ خَيْلُنَا
إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا أَنْ تَحْمِدَ وَتَنْفِرَا
وَتُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا
مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجُونَ أَشْقَرَا^(١)
بَلَعْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدُودُنَا

وإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

وكعب بن زهير أحد فحول المخضرمين وصاحب « بانة
سعاد » في مدح النبي . ومطلعهما :

بَانَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ
مُتِمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ^(٢)
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ أَلْيَنِ إِذْ رَحَلُوا
إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ^(٣)

ومنها :

كُلُّ ابْنِ أُنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءُ مَحْمُولُ

(١) الجون من الخيل : الادم . والاشقر منها : الاحمر .

(٢) بانة : بعدت . متبول : دب اليه السقام .

(٣) أغن : صفة لمحذوف وهو الظي .

نَبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
وبينا ينشد النبي قصيدته ، وصل الى قوله :

إِنَّ الرِّسُولَ كَسِيفٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ
مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْأُولُ
مَهْلًا هَذَا الَّذِي اعْطَاكَ نَافِلَةً مِ الْقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ
خلع عليه برده ، ولما ملك معاوية اشتراها من آل كعب
بعشرين ألفاً ، ثم ابتاعها المنصور العباسي بأربعين ألف دينار ،
وأخذها التتر من بعد الخلفاء ، وكانوا يطرحونها على كتافهم .

مبعث الشعر في أيام الأمويين

انتصر معاوية ، وبويع له بالخلافة ، واستتب له الأمر ،
 واجتمعت الكلمة على طاعته ، بعد مقتل علي في الكوفة ، وجعل
 الخلافة ملكية وراثية ، بعد ان كانت دينية شوروية ، أيام الخلفاء
 الراشدين . وتأيداً لسلطانه ، عزز الادب ، وقرب الشعراء ،
 وأجزل لهم العطاء . وكان يستميل اعداءه بكرمه وحلمه ، وما
 قرب وقت موته حتى اشتدت الخصومة حول الخلافة ، وكثرت
 الاحزاب السياسية ، وزادت المنازعات الخارجية والداخلية ،

وهب الشعراء للمناضلة عنها . فنشيع لبني امية من الشعراء مسكين الدارمي ، والاخلط وجريز والفرزدق ، وابو العباس الاعمى ، وغيرهم .

وما زالت الخصومة ناشبة ، حتى استتب الحكم الى المروانيين . فاهتموا بأداب اللغة ، وأخذوا يسعون في ترقيةها ، وارسلوا اولادهم يتخرجون في البصرة والكوفة ، حيث حل سوق المربد محل سوق عكاظ . وجمعوا الشعراء حولهم في الشام ، وأجزلوا لهم العطاء ، واكرموا وفادتهم ، وبالغوا اشد المبالغة في إكرام البعض منهم . وأوقدوا بين الشعراء نار التنافس ، ليلهم بها افكار الناس عن مراقبة اعمالهم . وبعثوا روح العصبية ، ليصرفوا الرعية عن الاشتغال بالسياسة . فرجع الشعر الى سابق زهوه وازدهاره ، وزخرت بحوره ، واجتمعت فيه اساليب الجاهلية وبلاغة القرآن وجمال الحضارة ، واصبح حزبياً سياسياً غزلياً . فكان لنا من هذا الادب ، الشعر الاسلامي ؛ وغدت دمشق وفيها الخلافة ، والعراق وفيه الشيعة ، والحيجاز وفيه الانصار ، مراكز لهذا الادب الجديد . واصبح الشعر صناعة مستقلة ، ومتجرأ راجحاً . وغدا الشاعر في ذلك العصر كصحفي هذه الايام ؛ ينشر الاخبار ويذيع الحسنيات منوهاً بالسيئات ، وتنوعت دواعي الشعر ، وتبدلت أغراضه وفنونه .

أما دواعيه فتناولت أحياء العصبية الجاهلية بين القبائل .
فتنافس الشعراء ، والخلفاء يغدقون الأموال على من كان من
حزبهم . وتعددت الأحزاب السياسية ، وانتشرت الشيعة الدينية .
وأما أغراضه فكانت مدح الأمويين وهجو أعدائهم ، والتنافس
الادبي بين الشعراء . فكانت النقائض بين جرير والفرزدق ،
ونشر الآراء السياسية ، والفخر بالحسب والنسب ، والغزل
والنسيب ووصف مظاهر الحياة الجديدة .

وان نحن عدنا بالذاكرة إلى العصر الجاهلي ، رأينا الشاعر
منهم لم يكن يمدح أو يهجو إلا عن اعتقاد وإباء ، لا يعرف التزلف
ولا يقصد الكسب ، ولا يخشى العقاب . أما في هذا العصر ،
فقد صار الشعر صناعة للكسب ، وواسطة يتقرب به إلى الخلفاء .
فبالغ الشعراء في مدحهم وأقذعوا في هجوهم . وتميز الشعر ، في
هذا العصر ، بسهولة الألفاظ الجزلة والفخمة ، وقلت الألفاظ
الغريبة إلا قليلاً ، وذكرت الأغراض الدينية كالجنة والنار . أما
أوزانه فلم يطرأ عليها تغيير ، فنظموا المطولات ، ومالوا إلى
الأوزان القصيرة كقصيدة الكميت في مدح بني أمية :

اليوم صرت إلى أمية م والامور لها مصائر
وظل الشعر على متانته ، في السبك وقوة التعبير وبلاغة
القول ، كما كان في الجاهلية ؛ غير أنه استمد من القرآن رقة

الاسلوب وسلاسته وروعته ، ومن الحضارة اليونانية والفارسية
وغيرهما ، تفننه وزخرفه . فظهرت عليه الصناعة ، وأخذ الشعراء
يتكلفون له ، ونرى ظاهرة التكلف في المدح والرثاء ، وفحش
القول والاقذاع في الهجاء ، مع دقة في الوصف وتصوير الحياة ،
ونرى العقبة تهيم على الغزل والتشبيب ووصف الجمرة .

أمّا النثر والانشاء فمنه اسلوب التصنيف ، اي تأليف
الكتب من اديبة وعلمية ، ولم يصلنا منه في هذا العصر شيء
يذكر . ومنه الترسل ، وهو كتابة الرسائل على انواعها ، وإمامه
في هذا العصر عبد الحميد الكاتب ، وهو أول من فتح اكمام
البلاغة وسهل طرقها ، ويغلب في كلامه التوازن والتبسط
والرشاقة ، وقد تبعه المترسلون في العصور التالية ، فتأنقوا
وأطالوا ، وتجاوز بعضهم المدى .

أمّا الاسلوب الخطابي ، فهو كالعصر النبويّ ألا ما تلاه من
الايجاز والمتانة وبلاغة التعبير . وقد تقدّم معنا ذلك في البحث
عن الخطابة .

عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ ولأب والشاميّ داراً ،
أول من اطال الرسائل . وتخرّج في البلاغة والكتابة على ابي
العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وكاتب دولته وأحد

البلغاء والنقلة من اليونانية .

اتفقت كلمة البلغاء واهل الادب على ان عبد الحميد هو الاستباز الأول في كتابة الرسائل ، وهو أول من مهد سبلها ، وميز فصولها ، واطالها في بعض الشؤون وقصرها في البعض الآخر ، واطال التحميدات في صدرها ، وجعل لها صوراً خاصة ببدنها وختمها على حسب الاعراض . ومما كتبه عبد الحميد موصياً بشخص : قال :

« حق موصل كتابي عليك ، كحقه عليّ ، اذ جعلك موضعاً لأمله ، ورآني اهلاً لحاجته ، قد انجزت حاجته فصدق أمله » .
ومات قتلاً بامر السفاح سنة ١٣٢ هـ .

عمر ٧٠ الي ربيعة (+ سنة ٩٣ هـ)

هو عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي ، شاعر قریش ، باعث الغزل والمتصرف به ، ويكنى ابا الخطاب . كان يتعرض للنساء الحواج ، يتشَبَّب بهنَّ ، وبسكينة بنت الحسين ، وفيها يقول :

قَالَتْ سُكَيْنَةُ وَالْدُمُوعُ ذَوَارِفُ

مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجَلْبَابِ

لَيْتَ الْمَغِيرِيَّ الَّذِي لَمْ يُجْزِهِ فِيمَا أَطَالَ تَصِيدِي وَطِلَابِي

كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا الْمُنَى أَيَّامُهُ إِذْ لَا يُلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَايِي
أَسْكَيْنُ مَا مَاءُ الْفَرَاتِ وَطِيبُهُ مِنَّا عَلَى ظَمَأٍ وَحُبِّ شَرَابِ
بِالَّذِ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَّمَا تَرَعَى النِّسَاءَ أَمَانَةَ الْغِيَابِ
فَسَيَّرَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الدَّهْلَكِ ، ثُمَّ غَزَا فِي الْبَحْرِ ،
فَأَحْرَقَتِ السَّفِينَةُ الَّتِي كَانَ فِيهَا ، فَأَحْتَرَقَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ .

وَمِنْ قِرَاءَةِ شَعْرِهِ ، نَرَى أَنَّهُ بَلَغَ غَايَةَ بَعِيدَةِ الْغَزْلِ وَالتَّشْبِيبِ ،
يَمِيلُ إِلَى الْمَجُونِ وَالْمَرْحِ ، وَهُوَ فِي أَكْثَرِهِ مَدْلٌ بِشَبَابِهِ ، حَيْثُ يَجْعَلُ
نَفْسَهُ الْمَحْبُوبَ الْمَطْلُوبَ ، بَدَلَ الْحُبِّ الْمَشْتَقِ ، مُخَالَفًا بِذَلِكَ طَرِيقَةَ
الشُّعْرَاءِ وَالْغَزَلِيِّينَ . وَتَحْسُ بِشَعْرَةِ رَقَّةَ وَرِشَاقَةَ ؛ وَلَا عَجَبٌ ، فَقَدْ
قَالَ فِيهِ جَرِيرٌ : « هَذَا الَّذِي أَرَادَتْهُ الشُّعْرَاءُ ، فَأَخْطَأَتْهُ وَتَعَلَّمَتْ
بوصف الديار » .

وَكَانَ الْعَرَبُ يَقْرَوْنَ لِقْرِيشَ بِالتَّقَدُّمِ عَلَيْهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَّا
فِي الشَّعْرِ ، حَتَّى ظَهَرَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَأَقْرَتْ لَهَا الشُّعْرَاءُ بِهِ .
وَهُوَ أَرَقُّ أَصْحَابِ الْغَزْلِ وَأَوْصَفَ الشُّعْرَاءَ لِأَحْوَالِ النِّسَاءِ . وَمِنْ
قَوْلِهِ الْبَيْتَانِ الْمَشْهُورَانِ مِنْ مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِيدُ

وَتُظْهِرُ لَنَا رَقَّتَهُ ، وَرِشَاقَةَ الْفَاضِهِ ، وَحُبَّهُ الشَّدِيدَ ؛ مِنْ قَوْلِهِ ،

وقد بعث به الى الثريا : ^(١)

كُتِبْتُ اليكَ مِنْ بِلَدِي كِتَابَ مَوْلَى كَمَدٍ
كُنَيْبٌ وَكِفُ الْعَيْنَيْنِ بِالْحُسْرَاتِ مِنْفَرِدٍ
يُورِّقُهُ لَهَيْبُ الشَّوْقِ قِ ، بَيْنَ النَحْرِ وَالْكَبِدِ
فِيْمَسِكُ قَلْبَهُ بِيَدٍ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدٍ

وَمِنْ جَيِّدِ قَوْلِهِ ، وَفِيهِ يَتَرَاءَى لَكَ أَنَّهُ الْمَحْبُوبُ الْمَطْلُوبُ :

هَيَّجَ الْقَلْبَ مَغَانٍ وَصِيرَ
دَارِسَاتٍ قَدْ عَلَاهُنَّ الشَّجَرُ ^(٢)

وَرِيَّاحُ الصَّيْفِ قَدْ أَزَوَّتْ بِهَا
تَنْسِجُ التُّرْبِ فَنَوْنًا وَالْمَطَرُ ^(٣)

ظَلَّتْ فِيهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَاقِفًا
أَسْأَلُ الْمَنْزِلَ هَلْ فِيهِ خَبْرٌ
لِّتِي قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا
قُطِفَ فِيهِنَّ أَنْسٌ وَخَفَرٌ ^(٤)

(١) هي بنت علي بن عبدالله بن الحارث .

(٢) المغاني : المنازل . الصير : حظائر الغنم ، مفردتها صيرة .

(٣) يقول : ان رياح الصيف قد ازرت بترك المنازل التي تنسج التراب اشكالاً
تحت الامطار المتساقطة .

(٤) اتراب : صواحب . قطف : بطيئات السير . خفر : حياء .

قَدْ خَلَوْنَا فَتَمَنَيْنَا لَنَا

إِذْ خَلَوْنَا الْيَوْمَ نُبْدِي مَا نُسِرُّ
فَعَرَفْنَا الشُّوقَ فِي مُهْجَتِهَا

وَحَبَابُ الشُّوقِ يُبْدِيهِ النَّظَرُ ^(١)

قُلْنَ يَسْتَرِضِينَهَا مُنَيَّتَا لَوْ أَنَا الْيَوْمَ فِي سِرِّ عُثْمَرَ
بَيْنَمَا يَذْكُرُنِي أَبْصَرَنِي

دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَعْدُو بِي الْأَغْرُ ^(٢)

قُلْنَ تَعْرِفْنَ الْفَتَى ؟ قُلْنَ نَعَمْ

قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ

ذَا حَبِيبٌ لَمْ يُعْرِجْ دُونَنَا

سَاقَهُ الْحَيْنُ إِلَيْنَا وَالْقَدَرُ

وَرِضَابُ الْمِسْكِ مِنْ أَثْوَابِهِ

مَرْمَرِ الْمَاءِ عَلَيْهِ فَضَضَ ^(٣)

ولم تسلم من شعره بنات الخلفاء ، فقال متغزلاً بعنت عبد

الملك بن مروان :

أَقْبَلِي بِالْأَسِيرِ أَحَدِي ثَلَاثَ وَأَفْصِيهِنَّ ثُمَّ رُدِّي جَوَابِي
أَتَسْوِي قَتْلًا سَرِيحًا ثَمًّا لَا تَكُنِي عَلَيْهِ سَوْطَ عَذَابٍ

(١) حباب الشوق : شدة الشوق . (٢) الاغرة : الفرس . يعدو : يركض .

(٣) رضاب المسك : فئات المسك . مرمر الماء : سال خفيفاً .

أَوْ أَقِيدِي فَإِنَّمَا النَّفْسُ بِالنَّفْسِ قَضَاءٌ مُفَصَّلًا فِي الْكِتَابِ
 أَوْ صِلِيهِ وَضَلًا تُقَرُّ بِهِ الْعَيْنُ ، وَشَرُّ الْوَصَالِ الْكِذَابُ
 فَمَا تَقَدَّمْ ، تَرَى أَنَّ فِي شَعْرِهِ نَوَاطَةَ يَحْسُهَا الْقَلْبُ ، وَرَوَاعَةً
 تَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا النَّفْسُ لِسَهولَتِهِ وَأَنَاقَةِ لَفْظِهِ وَحَسَنِ وَصْفِهِ ، وَمَلَأَتْهُ
 فِي نَعْتِ الْجَمَالِ وَوَصْفِ الْمَرَاةِ . وَأَنَّ خِلَا مِنْ الشُّعُورِ الْعَمِيقِ
 وَوَصْفِ الْحُبِّ الدَّقِيقِ ، فَلِأَنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ قَلْبَهُ لَوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ، بَلْ
 كَانَ تَبَعَ نِسَاءً . وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَ لِي :
 أَلَمْ تَتَّقِ الْأَعْدَاءَ وَالْأَيْلُ مُقَمِّرُ
 وَقُلْنَ أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِرًا ؟

أَمَا تَسْتَحْيِ أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تَفَكِّرُ^(١)
 إِذَا جِئْتَ فَأَمْنَحَ طَرَفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا

لَكَ يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ
 هُنَيْئًا لِبَعْلِ الْعَامِرِيَّةِ نَشْرُهَا
 اللَّذِيذُ وَرَيَّاهَا الَّذِي أَتَذَكَّرُ

وَكَانَ ابْنُ جُرَيْجٍ يَقُولُ : « مَا دَخَلَ الْعَوَاتِقُ فِي خَدُورِهِنَّ
 شَيْءٌ أَضَرَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ شَعْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ » . وَكَانَ يُقَالُ فِيهِ :

(١) سَادِرٌ : الْمَتَحَبِّرُ ، اللَّامِي الَّذِي لَا يَجْتَمِعُ بَشْيٌ . تَرْعَوِي : تَنْتَبِهِي .

«أَيُّ حَقٍّ رُفِعَ وَأَيُّ بَاطِلٍ وُضِعَ» ، لانه ولد ليلة مات عمر
ابن الخطاب .

هذا هو ابن ابي ربيعة . عاش متغزلاً عاشقاً ، ومات
سنة ٩٣ هـ و ٧١٣ م ، عَنْ تَوْبَةٍ صَادِقَةٍ وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ لِأَخِيهِ
الْحَارِثُ : « وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنِي رَكِبْتُ فَاحِشَةً قَطُّ » .

الافضل (٦٤٠ - ٧٢٨ م

هو غياث بن غوث من بني تغلب ، مسيحي ، ويكنى أبا
مالك ؛ شاعر الامويين وأمدح ثلاثة شعرائهم المتقدمين ، والمتفرد
بوصف الحمرة . نشأ بين قومه بني تغلب النازلين بسقي الفرات
من ارض الجزيرة . قال الشعر صبيّاً ، وزاحم شاعر تغلب ؛
وهو كعب بن جعيل ، فهجاه وظهر عليه واخمله .

وما يدلّنا على علوّ كعبه في الشعر ، وتقدّمه على صاحبيه
الفرزدق وجريز ، قول سايان بن عبد الملك : « ثلاثة لا أسأل عنهم ،
وانا اعرف العرب بهم ، جريز والفرزدق والافضل : امّا الافضل :
فانه يجيء ابدأ سابقاً ، وامّا الفرزدق فانه يجيء مرّة سابقاً ومرّة
ثانياً ، وامّا جريز فانه يجيء مرّة سابقاً ومرّة ثانياً ومرّة سَكَيْتاً ^(١) .

(١) السكيت من الخيل : السابق الذي يأتي عاشراً في آخر الخيل ، وما جاء

ويشبهه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذبياني ، مدح بني امية
ومدح يزيد بن معاوية ، وهو الذي سهل له الاتصال بالامويين ،
وذلك أن يزيد طلب من كعب بن جعيل ان يهجو الانصار ، لأن
شاعرهم عبد الرحمن بن حسان قد تغزل باخته رملة ، فقال له
كعب : « أرادي انت الى الشرك ؟ أهجو قوماً نصر وارسول الله
وآووه ؟ ولكني أدلك على غلام منّا نصراني ، كأن لسانه
لسان ثور ، لا يبالي ان يهجوهم » . فدلّه على الاخطل ، وكان
يريد به شراً ، فبعث اليه يزيد وامره بهجاء الانصار ، فقال له :
« أو ضامني انت ؟ » قال : « اني ضامن » ، فانشد :

ذَهَبْتُ قَرِيْشٌ بِالسَّاحَةِ وَالنَّدَى وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عِمَائِمِ الْاَنْصَارِ
فَدَعَوْا الْمَكَارِمَ لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا وَخُذُوا مَسَاحِيَكُمْ بَنِي النِّجَارِ ^(١)

وبلغ الشعرُ النعمان بن بشير ، فدخل علي معاوية ، وأخذ
عمامته عن رأسه ، وقال : « هل ترى لؤماً ؟ » قال : « بل أرى
كرماً وحسباً ، فما ذلك ؟ » فانشده قول الاخطل ، واستوهبه
لسانه ، فوهبه له ؛ وبلغ ذلك الاخطل ، فاستجار بيزيد بن معاوية
فدخل على ابيه ، فقال : « يا امير المؤمنين ! أتهب لسان من غضب
لك وردّ عنك ؟ » قال : « وما ذلك ؟ » فانشده قول عبد الرحمن

(١) مسأحي ، مفردها مسحاة : مجرفة .

ابن حسان في رملة :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون^(١)
واذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون^(٢)

قال معاوية : « صدق والله » ثم انشده :

ثم خاصرته الى القبة الخضراء ، تمشي في مرمر مسنون^(٣)

قال : « كذب » ، وأخذه الفيض ، وعفا عن الاخل ، وأخفق
بشير بما طلب . ويعدُّ الاخل من اصحاب الملاحم ، وكان يقف
بين يدي الخليفة والصليب في عنقه .

ويمتاز شعره بحسن اللفظ والابتعاد عن التكلف في المعاني ،
وقد أجاد المدح . فمن قوله في عبد الملك .

خف القطين فراحوا منك وابتكروا
وأزعجتهم نوى في صرفها غير^(٤)

نفسى فداء امير المؤمنين إذا
أبدى النواجذ يوماً عارم ذكر^(٥)

(١) مكنون : محفوظ ، مخبوء . (٢) سناء : نور .

(٣) مرمر : من الحجارة الكريمة . (٤) خف : ارتحل . القطين :

الساكن في بلد . صرف النوى : قلبها وحدثاتها . (٥) النواجذ ، مفردة ناجذ :

اقصى الاضراس . عارم : الخبيث ، الشرير .

الخائض الغمرة الميمون طائرُهُ

خليفة الله يُستسقى به المطرُ^(١)

حُشدٌ على الحقِّ عيافو الخنا أنفُ

إذا أَلَمْتُ بهم مَكروهةٌ صَبَرُوا^(٢)

ومنها :

يا قاتِلَ الله وصل الغاياتِ اذا

أَيَقُنْ أَنَّكَ يَمُنْ قَدْ زَهَا الكِبَرُ

أَعَرْضْ لِمَا حَتَّى قَوْسِي مُوتَرُهَا

وَابْيَضَ بَعْدَ سَوَادِ اللَّيْمَةِ الشَّعْرُ^(٣)

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ

وَأَوْسَعُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدِرُوا^(٤)

بَنِي أُمَيَّةَ نَعْمَا كُمْ مُجَلَّةٌ

نَمَتْ فَلَا مِثَّةَ فِيهَا وَلَا كَبْدَرُ

وكذلك نراه قد اجداد في وصف الخمرة ؛ ومن قوله فيها :

(١) الغمرة : الحرب . الميمون : المبارك .

(٢) عيافو : كارهون . الخنا : الفحش وصغارة النفس .

(٣) اللمة : ما جاور شحمة الاذن .

(٤) شمس ، مفردا شمس : عسر في عداوته . يستقاد لهم : يوليهم الناس

إذا ما نديمي عليّ ثمّ عليّ
ثلاث زُجاجاتٍ لهنّ هديرٌ ^(١)
خرجتُ أجرُ الذيلِ ولها كأنني
عليك ، أمير المؤمنين أميرُ

ويستجاد قوله ايضاً :

وكأسٍ مثل عين الديكِ صرفٍ
تُنسي الشاربين لها العقولَ
إذا شرب ألفي منها ثلاثاً
بغيرِ الماءِ حاول أن يطولا
مشى قُرشيّة لا شكّ فيها
وأزخى من مآزره الفضولا

واليك وصفه للسكران وقد جعله صورة يتمثلها قارىء
أبياته كأنه امام سكرانٍ عريبد ، يتهادى في مشيه ضعفاً :

صريعٌ مُدام يرفعُ الشربُ رأسه
لتحيا ، وقد ماتت عظامٌ ومفصلُ
تهاديه أحياناً وحيناً تجرّه

وما كان إلا بالحشاشة يعقلُ

إِذَا رَفَعُوا عُضْوًا تَحَامَلْ صَدْرُهُ وَآخِرُ مِمَّا نَالَ مِنْهَا مُخْبَلُ
تَدَبُّ دَيْبًا فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهَا دَيْبُ نِجَالٍ فِي نَقَا يَتَهَيَّلُ^(١)

أما المهاجاء ، فقد قصر فيه عن صاحبيه الفرزدق وجرير .
فمنه قوله :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَبْدًا تَيْمًا وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمْ الْعَبِيدُ
لَتَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
وقد تعرض في قصيدته « خف القطين » الى هجو بني كليب
ابن يربوع :

قَوْمٌ تَنَاهَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْزِيَةٍ وَكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُّ
إِلَّا كَلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحَدَّهُمْ وَالسَّائِلُونَ بَظْهَرِ الْغَيْبِ مَا الْخَبَرُ
وان نحن تعمقنا في دراسة شعره ، يبين لنا أنه سياسي محنك :
فقد استدرج الخليفة الى قضاء مصالحته ، ومصلحة قبيلته ؛
وسياسي بتغلغله في الدالة على الخليفة ؛ وسياسي لوقوفه برأس
المجاهدين عن رغبة دينية سياسية ، لا يهمة منها شيء ، بل كل ما
يطمع به هو اكتساب رضا الخليفة ، ونيل جوائزه وتعزيز
قبيلته .

أما دخوله في المهاجاة بين جرير والفرزدق ، فسببه أنه عرض

بتفضيل هذا حينما سُئِلَ أيُّهما اشعر ، فلما بلغت حكومته جريراً
غضب وهجاه بأبياتٍ ، منها :

يا ذا الغباوةِ إنَّ بشرأَ قد قَضَى ألا تجوزَ حكومةَ النشوانِ

فردَّ عليه الاخطل ردّاً ضعيفاً لتقدم سنّهِ وفتور طبعه ؛ وقد
اعترف بذلك جرير حيث قال يخاطب ابنه : « ادر كتبه وله ناب
واحد ، ولو ادر كتبه وله نابان لأكّاني » . وبقي في كنفِ بني اميّة
الى أن اقصاه عمر بن عبد العزيز . وكان يقضي عيشه تارة في دمشق
وحيناً بالجزيرة ، في سقي الفرات . وتوفي في أول خلافة الوليد ،
وسنّهُ خمس وتسعون سنّةً . ومن قوله في الغواني :

يا قلَّ خيرُ الغواني كيف رُعنَ به فشرُّهُ وشلَّ فيهنَّ تصرّيدٌ^(١)

أعرَضَنَ مِنْ شَمَطٍ في الرأسِ لاحَ به

فهنَّ مِنِّي اذا أبصرَني جيدُ

قد كُنَّ يعهدنَ مِنِّي مُضحكاً حسناً

ومعزّفاً حَسِرَتْ عنه العناقيدُ

فهنَّ يَشْدُونَ مِنِّي بعضَ مَعْرِفَةٍ

وهنَّ بالوصلِ لا بُجْلٌ ولا جودُ

(١) يا : حرف نداء ، والمنادى محذوف تقديره يا قوم . رعن : خفن .

الوشل : الماء القليل يتقاطر بين الصخور . التصريد : الشرب دون الري .

لَنْ يَرْجِعَ الشَّيْبُ شَبَابًا وَلَنْ يَجِدُوا
عَدْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ مَا أَوْزَقَ الْعُودُ
وَنَحْنُمُ الْإِخْطَلُ بِبَيْتَيْنِ قَالَهُمَا وَفِيهِمَا حِكْمَةٌ وَمَوْعِظَةٌ :
وَالنَّاسُ هُمْ هُمُ الْحَيَاةُ وَلَا أَرَى
طَوْلَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَبَالٍ
وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
ذَخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

الفرزدق († سنة ٧٠٨ م)

هو همام بن غالب الدارمي ، ويكنى أبا فراس ، وهو أفخر
في شعره من صاحبيه ، واجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء .
ولد سنة ١٩ هـ ونشأ في البصرة ، بين فصحاء آبائه وقومه من
أول تمصيرها . وكان جده صمصمة عظيم القدر في الجاهلية ، قد
اشترى ثلاثين مؤودة ، وقد أشار إلى ذلك مفتخرأ :

وَجَدِّي الَّذِي مَنَعَ الْوَأْدَاتِ
وَأَحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ يُوَادِّ

وكان الوأد عادة عند بعض العرب ، فيدفنون بناتهم أحياء
مخافة املاق وخشية عار . ولما جاء الاسلام حرم هذه العادة .
واخذه أبوه برواية الشعر ونظمه ، فنبغ فيه . ويروى أنه

أتى به يوماً الى امير المؤمنين ، علي بن ابي طالب ، وقال : « هذا ابني يوشك ان يكون شاعراً مجيداً » . فقال له علي : « أقرئه القرآن فهو خير له » . فما زالت كلمته في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه بقيد ، وآلى على نفسه ألا يفكّه حتى يحفظ القرآن ، فما فكّه حتى حفظه .

وكان يتردد على بني امية في الشام ، فيمدحهم ويأخذ أعطيائهم . وحصل بينه وبين جرير خصام ، كان سبباً لمهاجاة دامت اربعين سنة ، وذلك لان جريراً كان يهاجي شاعراً اسمه البعيث ، نصره الفرزدق وتفوق على جرير بالفخر وسيادة آبائه في الجاهلية والاسلام ، وضعة جرير . وكان الفرزدق يتشيع لعلي سرّاً ، وقد صرح بذلك في آخر حياته عندما مدح علي بن الحسين بقصيدة مشهورة ، منها :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته
والبيتُ يعرفُ والحلُّ والحرمُ (١)
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهم
هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

وَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هَذَا ؟ بِضَائِرِهِ

الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ

إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا :

إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ وَبُغْضِهِمْ

كُفْرُ وَقُرْبِهِمْ مَنَجِي وَمُعْتَصِمُ

وَبَسْبِهَا حَبْسُهُ هَشَامُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ خَوْفًا مِنْ لِسَانِهِ . وَאוّل

صفة نلمسها في شعره ، صلابة الاسلوب وفخامة اللفظ ؛ يكثر

من الكلام الغريب الحشن ، ويعتمد الى غلاظة المعاني ودقتها ؛ له

غزل فيه شيء من الرقة ، ولكن فيه اقذاع ، كما ان هجاءه

خبث فيه فحش وفجور . وقيل لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث

لغة العرب . ويفضل على صاحبيه : الاخطل وجري ، بفخره .

قيل انه اغضب زياد بن ابيه والي البصرة منذ السنة ٦٦٥م ،

فشدّ زياد في طلبه ، فهرب الى الحجاز ، فاشاع زياد : لو آتاه

الفرزدق تأبياً ممتدحاً لعفا عنه . فبلغه ذلك ، فقال قصيدة ، هذا

بعض منها :

دعاني زيادٌ لِلْعَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ

لِأَقْرَبِهِ مَا شَاقَ ذُو حَسْبٍ وَفِرَا (١)

وعند زيادٍ لو يُريدُ عطاءَهُمْ

رجالٌ كثيرٌ قد يرى بهم فقرا

فعودٌ لدى الأبوابِ طُلابُ حاجةٍ

عوانٍ من الحاجاتِ او حاجةٍ بكرا

فلما خشيتُ ان يكونَ عطاؤه

أداهمَ سوداً او مُحدِرجةً سُمرا^(١)

فزعيتُ الى حرفٍ ، أضرتُ بذيها

سرى الليلِ واستعراضها البلدَ القفرا^(٢)

وبينا هو هاربٌ ، لقي اسداً ، فتنجى عنه وقال :

ما كُنتُ أحسبني جباناً قبلَ ما

لأقيتُ ، ليلةَ جانبِ الأنهارِ

ليثاً كانَ على يديه رِحالةٌ جسدَ البرائِ مُوجدَ الاظفارِ^(٣)

لما سمِعتُ له زمازِمَ ، أجهشتُ

نَفسي إليّ ، وقلتُ : أينَ فراري ؟

فَضربتُ جِرونها ، وقلتُ لها : أصبري

وشددتُ في ضيقِ المقامِ إزارِي^(٤)

(١) اداهم ، مفردة ادم : القيد . محدِرجة : السياط المحكم جدلها .

(٢) الحرف : الناقة الضامرة الصلبة . (٣) جسد . ما يبس من الدم .

مُوجد : قوي . (٤) ضربت جِروتها : تهيئ يرا د به العزم على الامر وتوطن النفس .

فَلَأَنْتَ أَهْوَنُ مِنْ زِيَادٍ جَانِباً
فَأَذْهَبْ، إِلَيْكَ مُخَرِّمَ السُّفَارِ^(١)

ومجمل شعره يتناول فيه الفخر وتعداد مآثر آبائه . وقد تألم
من صلابة شعره ، وتمنى لو كانت له رقعة جرير . وهو ، ان اجاد
الوصف والمدح ، فهو مقصّر في الرثاء غير مجيد . ومن أبياته
السائرة :

فيا عجباً حتى كليبٌ تَسْبِيحِي
كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلُ وَجُجَاشِعُ
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ
ضَرْبَنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخَادِعُ

تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ
وَيَهْرُبُ مِنَّا جُهْدُهُ كُلُّ ظَالِمٍ

جرير (٦٤٩ - ٧٢٨ م)

هو جرير بن عطية بن الخطفي التميمي ، اليربوعي ، ويكنى
أبا حذرة ، أحد فحول الشعر الثلاثة في العصر الاموي ، وبلغاه

(١) مخرم : مهلك . السفار مفردة السافر : المسافرين .

المدّاحين ، الهجّائين . وينتمي الى بني يربوع احد احياء تميم . ولد في اليمامة من بيتٍ اشتهر بالشعر ، ونشأ في البادية ، وفيها قال الشعر ونبغ فيه .

قيل انه كان يختلف الى البصرة ، يمتار لعيالته ويمدح الكبراء وينزل على من يسكن البصرة من قومه . فرأى الفرزدق وما له من المنزلة الكبرى لدى الامراء والولاة ، وقد صار له ذلك كله بسبب شعره ، وهو تميمي مثله وشاعر ، فاغراه قومه للتنويه بشأنهم وتفخيم امرهم ، والشعر يومئذٍ وسيلة الاشادة بالشرف وكريم الخصال .

وحدثت بينه وبين الفرزدق مهاجاة وملاحاة ، وكان مقيماً في البادية ، والفرزدق في البصرة مصر العرب ، يملأ عليه الدنيا هجاءً وسباً ، فما زال به بنو يربوع حتى اقدموه البصرة واتصل بالحجّاج ومدحه ، وبلغ شعره الخليفة عبد الملك بن مروان ، فحسد الحجّاج بن يوسف عليه ، فأوفده الحجّاج مع ابنه محمد الى الخليفة في دمشق ليصل بذلك الى مدحه . فلما دخل عليه مع الوفد استأذن في إنشاده ، فأبى الخليفة وقال : « إنما انت للحجّاج » . فما برح يتوسّل اليه حتى قبل مدحه ، فأنشده جرير قصيدة بدأها بالتشكي من الشيب ، ذاكرآ السفر ، مشيراً الى فقره وحاجته الى كرم الخليفة ، منتهياً الى المدح ، ومطلعها مع بضعة ابيات ، منها :

أَتَصَحُّوْا امْ فَوْءَاذَكَ غَيْرَ صَاحٍ
 عَشِيَّةٌ هُمْ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ
 يَقُولُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَاكَ شَيْبٌ
 أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاحِي
 يَكْلَفْنِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ
 (١) ظَعَانٌ يَحْتَرَعْنَ عَلَى رَمَاحٍ

ظَعَانٌ لَمْ يَدِينَ مَعَ النَّصَارَى
 (٢) وَلَا يَذَرِينَ مَا سَمَكَ الْقَرَّاحُ
 فَبَعْضُ الْمَاءِ ، مَاءُ رَبَابٍ مُزْنٍ
 وَبَعْضُ الْمَاءِ مِنْ سَبَخٍ مِلَاحٍ

ومنها هذا البيت الذي سُرِّيَ به عن الخليفة ، وكان غاضباً
 من مطلع القصيدة :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَاحِيَا
 وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ

(١) يحترعن : يقطعن . الطعان النساء ما دمن في الهودج ، مفردها طعينة ؛ يريد
 ان يقول : ان الطعان تقصد الخليفة على نياق راححة ، اي شائلة يسميها ؛ ورماح صفة
 لموصوف محذوف اي نياق رماح . (٢) سمك : علو . المعنى : ان الطعان نساء
 مسلمات ، ما دينَ بدين النصارى ، ولا عرفن علو ماء المعمودية - تنصير المولود عند
 النصارى - وكان يتم قديماً بالتغطيس كما هي العادة اليوم عند الملكيين : الروم
 الارثوذكس والكاثوليك . القراح : الماء العذب ؛ وفي البيت تعريض بالاخطل .

ونال من الخليفة مالا كثيرا ، فحسده المزاحمون على أبواب
بني امية . وحصل بينه وبينهم مهاجة شديدة ، فأخرسهم ولم يقف
امامه إلا الاخطل والفرزدق . ولما مات الاخطل ، بقي هو
والفرزدق يتسابان حتى آخر حياتهما . وقد تفوق جرير على خصمه
في الهجاء .

وميزة شعره تنحصر في جمال اللفظ ، ولين الاسلوب ، ورقّة
الغزل وعفّته . على أن هجاءه لا يخلو من إقذاع . وكانت وفاته
سنة ١١٠ هـ و ٧٣٣ م .

ويذهب بعض الادباء المتقدمين أن اغزل بيت قالته العرب
هو قوله :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا^(١)
يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ
وَهُنَّ أضعْفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا

وَأَنَّ أمدح بيت قوله :

الَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا
وَأندى الْعَالَمِينَ بَطُون داح

وَأَنَّ أفخر بيت قوله :

(١) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياضها .

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا

وَأَنْ أَهْجَى بَيْتٍ مَعَ التَّصَوُّنِ عَنِ الْفَحْشِ قَوْلُهُ :

فَغِضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا^(١)

وَأَنْ أَصْدَقَ بَيْتٍ قَوْلُهُ :

إِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ

وَأَنْ أَشَدَّ بَيْتٍ تَهْكَمًا قَوْلُهُ :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا

أَبَشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ^(٢)

وَيَقَالُ : إِنَّ جَرِيرًا لَعَبَ وَجَدَّ فِي قَصِيدَةٍ هَجَا بِهَا الْأَخْطَلَ

التَّغْلِبِي بِمَا لَوْ أَرَادَهُ غَيْرُهُ لَا مَتْنَعُ عَلَيْهِ . فَفِي لَعْبِهِ يَقُولُ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَّوْا بِلَيْكَ غَادَرُوا

وَشَلَا يَمِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا^(٣)

غِيْظُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي

مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا^(٤)

وَفِي جِدِّهِ يَقُولُ :

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ وَالنُّبُوَّةَ فِينَا

(١) غَض : اخْفَضَ . (٢) مَرْبَع : اسم رجل هوراءية جرير .

(٣) الوشل : الماء القليل المتدفق من الصخور . مَعِينًا : جاريًا غير منقطع .

(٤) غِيْظُنْ : اذهبن .

مُضَرُّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَيْنَا ^(١)
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَقْكُمُ إِلَيَّ قَطِينًا ^(٢)

قيل : عندما بلغ عبد الملك هذا الشعرُ قال : « ما زاد ابن المراغة ^(٣) ان جعلني شرطياً » . اما أنه لو قال : « لو شاء ساقكم اليَّ قطينا » لسقتهم اليه كما قال .

ومن جيد شعره قصيدة يرثي بها امرأته خالدة أم حزره ، وهي التي نُدبت بها نوار امرأة الفرزدق . ورثاء الزوجة نادر في الادب العربي . ولهذا نرى الفرزدق نقض هذه القصيدة ، وردَّ على جرير ردًّا شائناً بديناً ، معيراً آياه حزنه على زوجته . واليك بعض ابيات منها :

لَوْلَا أَلْحِيَاءُ لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ وَلَزْتُ قَبْرِكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ ^(٤)
وَأَهْتِ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كِبَرَةٌ وَذُووُ التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكَ صَغَارُ ^(٥)
لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يُخَيَّرُوا وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ
فَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتٍ أَحْسَنَ مَنَظَرُ وَمَعَ أَجْمَالِ سَكِينَةٍ وَوَقَارُ

(١) الخزر : ضيق العيون وصفرها . (٢) قطينا : خداماً يقيمون عندي .

(٣) المراغة : الاتان ، وهي كنية كنى بها الفرزدق ام جرير .

(٤) استعبرت عبرته : جرت دموعه . (٥) كبرة : الضعف . وله :

احزن حزناً شديداً . التائم ، مفردها تيممة : خرزة تعلق في عنق الولد دفوعاً للاخطار .

هذا هو المثلث الأموي . وقد اتفق نقدة الشعر وعلماء
الادب على أنهم اشعرُ شعراء العرب في بدء العصر الأموي .
وتصعب المفاضلة بينهم ، ولكننا نقول : لقد امتاز الاخطل بالمدح
ووصف الحمرة وبشيء من الهجاء ؛ وامتاز الفرزدق بالفخر وجزالة
اللفظ والتعمية في بعض الاحيان ؛ وامتاز جرير بالرقّة ولين
الاسلوب والغزل الرصين المؤثر مع تعفّف ، ولذلك نقل اليّنا الرواة
ان الفرزدق حسده على رقة شعره ، فقال ما معناه : « ما احوج
جريراً مع عفافه الى صلابة شعري ، وما احوجني مع شهواتي الى
رقة شعره » .

وعصر المثلث الأموي كان فيه حركة أدبيّة سياسية
نضجت فيه الآداب الجاهليّة ، وتفتحت الاعين على ما عند الامم
التي ادخلها الفتح في حوزته من علوم ، فبدأت العلوم الاسلاميّة
وبدأ النقل من العلوم الاجنبية .

العصر العباسي الاول

الدولة العباسية

عرفنا ان معاوية هو مؤسس الدولة سنة ٤١ هـ ، ودام ملك الامويين في الشرق العربي الى سنة ١٣٢ هـ (٦٦١ - ٧٥٠ م) ، واصبحت الخلافة في ايامهم ملكاً موروثاً ، بعد ان كانت دينية في عهد الخلفاء الراشدين . وكان حكمهم استبدادياً مما اثار عليهم حفائظ القلوب ، واليك ذلك :

العباسيون هم سلالة ابي العباس عم النبي ، كانوا يتحسّنون الفرص ، ويجمعون الاحزاب لمناوأة الامويين سرّاً . فقام ابو مسلم الخراساني حليفهم ، واشعل نار الحرب ، فكان له من انصار العباسيين والغاضبين على الامويين رجال يعملون تحت رايته ، لارجاع الخلافة الى آل البيت ، عترة النبي وهم ابناؤه علي بن ابي طالب ، زوج فاطمة الزهراء ابنة الرسول .

جيش العباسيون جيوشهم ، وشعارهم السواد - عكس الامويين وكانت رايتهم بيضاء - وتغلّبوا على الامويين في نهر الزاب ، وهو ساعد دجلة ، وسارت جيوشهم تأتمر بإمرة عبد الله ابن

خال السفّاح الخليفة العبّاسي الأوّل . ففتحت الشام ، وفرّ الخليفة مروان الثاني الى مصر وتعلّقه الخرسانيون وقتلوه سنة ٧٥٠ م ، وبويع للسفّاح بالخلافة في جامع الكوفة سنة ٧٤٩ م .

ونقلت العاصمة الى بغداد ، وبقيت مدّة خمسة قرون (٧٥٠ — ١٢٥٨ م) ثمّ انتزعها منهم هولاء الكو التتري . وبانتقال العاصمة الى بغداد نرى اختلافاً كبيراً بين الدولتين : فالامويّة كانت عربيّة بنزعتها وروحها وعمّالها وتقاليدها .

والعبّاسيّة وقد قامت على اسنّة الاعاجم والفرس خصوصاً ، اصطبغت بالصبغة الفارسيّة ثمّ التركيّة . وبذلك سقط النفوذ العربيّ ، وتعاظم نفوذ الاعاجم . ويعدّ العصر العبّاسي العصر الذهبيّ ، وفيه بلغ المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل . فاثرت فيه الفنون ، وزهت الآداب العربيّة ، وترجمت العلوم الاجنبيّة ، ونضجت العقول .

الادب العربي واثره

في الدولة العباسية

تقدّم معنا ان العرب بلغوا قمة مجدهم ، وانتقلت كرسى الخلافة من الشام الى بغداد ، على اطراف البلاد العربية ، بجوار الفرس . فقوي العنصر الاجنبي ، وامتزجت المدنية السامية بالمدنية الآرية ، وتسامح الخلفاء بكل ما لا يمس الدولة والخلافة ، واطلقوا الحرية الفكرية والدينية . فكثرت المذاهب ، وتعددت الشيع ، واستسلم الخلفاء الى ضروب الرفاهية والمجون ، وتأنقوا في طعامهم ولباسهم ، وشادوا القصور ، وجعلوا فيها النفائس من الرياش . وقلّد هم الشعب ، وتفشّت الخلاعة والتسرّي ، وترك العرب كثيراً من عاداتهم الموروثة واخلاقهم البدوية وترفعهم العربي ، وامتزجوا بغيرهم من الامم ، كالفرس والترك ، بالمصاهرة والمجاورة ، وامتزجت الحضارة العربية بالحضارة الفارسية واليونانية .

وأحبّ الخلفاء العلم ومالوا اليه ، ونشّطوا الادباء والعلماء والشعراء ، وأغدقوا عليهم العطاء ، وجعلوهم في مناصب الدولة العالية ، وازدحم حولهم الشعراء والادباء والفقهاء ، والنحاة

واللغويون ، والمنشؤون والمؤرخون ، والمترجمون والفلاسفة .
ومال الخلفاء الى التخلص من العرب ، فقرّبوا اليهم الفرس
انصارهم ، واحتقروا اهل البداوة ، ونشّطوا الحركة الشعبيّة ،
فضعفت العصبية العربيّة والحزبيّة الدينيّة ، وحلّت محلّها الحضارة
الاجنبية ، وأصبح لهذا الانقلاب تأثير كبير في العقول ، فتحول
الادب العربيّ الى ادب عربي ممزوج بالفكر الآريّ . وأدخل
نبتاء الاعاجم الذين تضلّعوا من العلوم العربيّة كثيراً من الالفاظ
والأخيلة ، فكثرت الألفاظ العلميّة والسياسيّة والاقتصاديّة ،
واقتبست التراكيب الاعجميّة ، واتسعت اللّغة . فوضعت المعاجم
لحصرها وتسهيلها وفهمها ، وكان من أثر ذلك ان ترجمت العلوم
عن اليونانيّة والسريانيّة والفارسيّة والهنديّة ، وأثمرت العلوم
الاسلاميّة ، ونضجت العقول ، فبلغت آداب اللّغة العربيّة
أعلى رقيّها .

وكانت بغداد التي بناها المنصور سنة ٧٦٩ م قاعدة الخلافة
ومحطّ رحال الادباء والعلماء ، وانشأ فيها المأمون بيت الحكمة ،
فكان موئل العلوم العقلية والنقلية ، ومجتمع الشعراء والكتّاب
والادباء ، ومورد العلم والثروة .

النثر العباسي

عرفنا ممّا تقدّم ان الانشاء في الجاهلية وصدر الاسلام كان محصوراً في بعض الخطب والعظات وبعض الرسائل . ولما جاء العصر الاموي كان العرب قد فتحوا كثيراً من الامصار ؛ فنشأ في الدولة ، فضلاً عن الخطب ، فنّ المراسلة ، وذلك لا احتياج الخلفاء وعمل الامصار اليها .

وكانت الرسائل في الغالب مختصرة مفيدة . أمّا في هذا العصر فصار أثر التأنق ظاهراً . وان نحن نظرنا الى الاسلوب الكتابي في الصدر الأوّل مع هذا العصر ، رأينا أنّ العبارات فيه تميل الى التوازن مع عدم التقيد في السجع . وإمام الكتابة في هذا العصر هو عبد الله بن المقفّع ، واسلوبه يظهر واضحاً جلياً في كتاب كليلة ودمنة .

ابن المقفّع (٧٢٤ — ٧٥٩ م)

هو عبد الله ابن المقفّع ، ويكنى أبا محمّد . نشأ في البصرة من اصل فارسيّ ، وخدم في دواوين العراق ، ثمّ استكتبه عيسى عمّ المتصور ، فترجم له الكتب الاعجميّة ، وأسلم على يده . واتهم بالزندقة والكيد للاسلام ، فقتل بامر سفيان امير البصرة .

كان ابن المقفع ذكياً فصيحاً ، مطلعاً على ادب الفرس واليونان ، اديباً وفيّاً ، صابراً على كوارث الدهر . واسلوبه الكتابي يعرف بالسهل الممتنع . أهمّهما :

كتاب كلیلة ودمنة : وهو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس ، وضعه فيلسوف هندي ، اسمه بيدبا ملك من ملوك الهند ، اسمه دبشليم ، قيل انه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى . فأراد بيدبا إصلاحه وتدريبه ، فألف هذا الكتاب ، وجعل النصيح فيه على السنة البهائم والطيور ، على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة .

وترجع مواضيع النصيح في هذا الكتاب الى ما يحتاج اليه الناس في معاملاتهم ، كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنمّام ، ورداءة عاقبة الاشرار ، ومنافع الاصحاب ، والحذر من كيد العدو ومضار الإهمال ، والغفلة ، وآفة التعمّيل ، وفائدة الحزم ، والحذر من الاعتماد على أصحاب الحقد .

ترجمه ابن المقفع عن الفهلوية ، لغة الفرس قديماً . وصدره بمقدمة سمّاه « عرض الكتاب » . ويقال ان الترجمة الفهلوية والاصل الهندي فقدّا ، ولم يبق غير الترجمة العربية ؛ وقد ترجم الى كثير من اللغات .

مؤلفاته :

كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ وفلسفة الاجتماع .

كتاب الدرّة اليّيمة ، ويسمّى ايضاً « كتاب الادب الكبير » : وهي نصائح وإرشاد .
رسالة في الاخلاق .

وله كتب أخرى ادبيّة واخلاقيّة نقلها عن الفارسيّة ، منها كتاب التاج في سيرة انوشروان ، وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها ، ولكنّ ابن قتيبة نقل منها نتفاً في كتاب « عيون الاخبار » .

الجامع (٧٧٥ ؟ — ٨٦٨ م)

هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء ، من أهل البصرة ، ولُقّب « بالجاحظ » لجحوظ عينيه ، وقد اشتهر بقبح الخلقة . وكان جدّه أسود اللون جمّالاً لعمر بن قلع الكناني وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القرينة وقوّة المعارضة والتفكير ما جعله من كبار أئمّة الادب .

نشأ في البصرة وهي آهلة بالأدباء والنحاة واصحاب اللغة ، فأخذ عن كثير منهم ، ونبغ . وبلغ خبره المتوكل ، وكان بحاجة الى من يؤدّب ولده ، فاستقدمه اليه في « سرّ من رأى » . فلما

رآه استبشع منظره ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وصرفه . وله اخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . وأصيب في آخر أيامه بالفالج النصفي . وذاع صيته في العالم العربي ، فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه . وكان ، اذا طلب احد ان يراه ، يقول : « وما تصنع بشقّ مائل ، ولعاب سائل ولون حائل » . توفي بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

والجاحظ يعدّ بالاجماع إمام الادباء في العصر العباسي الثاني . وله اساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة ، واشتهر بطريقة في الانشاء تنسب اليه ، تحدّاه بها الناس وعرفت باسمه . فهو قدوة المنشئين وإمامهم في هذا العصر ، كما كان ابن المقفّع إمامهم في العصر الأوّل .

الجاحظيّة

كان الجاحظ من فضلاء المعتزلة ، جماعة المفكرين في ذلك العهد ، تلقّى العلم على ابي اسحاق ابراهيم بن سيّار البخاري المعروف بالنظام ، وهو متكلم مشهور . وكان علم الكلام قد نشأ على اثر نقل الفلسفة والتبحر فيها ، فطالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة ، وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعة بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه : ان المعارف كلّها ضرورية ، وليس فيها شيء من أفعال العباد ، وانما هي طبيعة ، وليس للعباد كسب

سوى الارادة ؛ وان العباد لا يخلدون في النار بل يعبرون من طبيعتها ، الى غير ذلك .

مؤلفاته : هي كثيرة ، وأهمها :

كتاب البيان والتبيين : في الادب والانشاء والخطابة ، وأنجاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنسأك والزهاد ، وامثلة من خطب النبي والخلفاء ، وفي اللحن والاحائين واحاديث ونوادير وغير ذلك . وهو أصدق مثال للانشاء في اواسط القرن الثالث الهجري .

كتاب الحيوان : هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية ، ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بانه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس ، ويتخلل ذلك فوائد ادبية واجتماعية وتاريخية . وله غير ذلك ، مثل كتاب البخلاء والمحاسن والاضداد وغيرها .

واليك نموذجاً من كتابته . قال في مقدمة كتاب الحيوان ، في الرد على من انتقد كتبه :

« جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً ، وبين الصدق سبباً ، وحبب اليك التثبت ، وزين في عينيك الانصاف ، واذقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك

عزّ الحقّ ، وادع صدرك البرّ واليقين ، وطرّد عنك ذلّ اليأس ،
وعرّفك ما في الباطل من الذلّة ، وما في الجهل من القلّة ، ولعمري
لقد كان غير هذا الدعا. أصوب في امرك ، وأدلّ على مقدار وزنك ،
وعلى الحال التي وضعت نفسك فيها ، ووسمت عرضك بها ،
ورضيتهما لعرضك حظاً ولمروءتك شكلاً .

واليك قصّة في بنجل اهل مرو ننتخبها من كتابه
« البخلاء » . قال :

قال ثمامة : « لم أر الديك في بلدة قط ، إلّا وهو لا قط ، يأخذ
الحبّة بمنقاره ، ثمّ يلفظها قدّام الدجاجة ، الا ديكة مرو . فاني
رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبّ .
قال : فعلمت أنّ بنجلهم شيء في طبع البلاد ، وفي جواهر الماء ، فمن
ثمّ عمّ جميع حيوانهم »



القصّة ROMAN

القصّة رواية نثرية ، تختلف طولاً وقصرأ ، يمازجها شيء من
الافصاف ، يعرفها الفرنج بكلمة « رومان » Roman ، ولها
عندهم شأن كبير ، وهي غير الرواية التمثيلية ، ولم تظهر عند
العرب إلّا في هذا العصر . قلّدوا بها قصص الفرس والهند ، ونقل

منها ابن المقفع وغيره ، ثم تكلفوا لها فوضعوا بعض أخبار عن
شجاعة الجاهليين ؛ كانوا يتلونها على الجند تحميساً لهم ، فتوسعت
مع الزمن زيادة وشرحاً . ولكي يزيدوا قيمتها ، نسبوها الى
بعض الرواة كأبي عبيدة والاصمعي . واهم القصص هي « قصة
عنتر » و « الف ليلة وليلة » .

قصّة عنتر

بطل هذه القصّة عنتر . تكونت حوادثها حول هذا الفارس
الشاعر ، منذ صدر الاسلام ، فكان القوادر يستفزون بسالة
جندهم بإنشاد اشعار عنتر . ويروى ان شبيب بن عتاب طاف
قبل معركة هائلة يصرخ : « اين من يروي اشعار عنتر » . ثم
عبروا يجعلون لكل قصيدة او شعر حادثة . وقد اختلفوا في
واضعها ، ويظهر انها وضعت بالتدريج ، فتوسعوا بها وأضافوا
اليها شيئاً بعد شيء ، حتى بلغت ما هي عليه الآن .

فكانوا يروون اشعار عنتر للتحميس ، ثم صاروا يجمعون
اخباره واحاديثه ، ويتناقلونها رواية عن الاصمعي ، وهي تتسع
حتى جمعت في مصر ، بأواخر القرن الرابع للهجرة ، في زمن
الخليفة العزيز بالله الفاطمي . وذكروا بسبب جمعها وتدوينها ، ان
رجلاً اسمه الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بباب العزيز

بالله ، فاتفق ان حدثت ربيعة في دار الخليفة لهجت الناس بها في
 المنازل والاسواق ، فساء العزيز ذلك و اشار الى الشيخ يوسف
 ان يطرف الناس بما يشغلهم عن الحديث . وكان الشيخ المذكور
 واسع الرواية في اخبار العرب ، كثير النوادر والاحاديث ،
 وكان قد اخذ روايات شتى عن ابي عبيدة ، ونجد بن هشام ،
 وجهنية الاخبار والاصمعي وغيرهم . فشرع يكتب قصة عنتر
 ويوزعها في الناس . فاعجبوا بها واشتغلوا بها عن سواها . وقد
 قسمها الى اثنين وسبعين كتاباً ، والتزم في آخر كل كتاب ان
 يقطع الكلام في المكان الذي يشтаقه القارئ او السامع للوقوف
 على تمامه ، فلا يلبث ان يطلب الكتاب الذي يليه ، فاذا وقف
 عليه انتهى به الى مثل ما انتهى في البدء ، وهكذا الى نهاية
 القصة . وقد اثبت فيها ما ورد من اشعار العرب المذكورين فيها .
 وتداول النساخين لها افسد روايتها . وقد طبعت مراراً وترجمت
 الى كثير من اللغات . ونهج الرواية ممل ، يجعل عنتر بطلاً خيالياً
 اكثر منه حقيقياً بما ينسب اليه من الحوادث التي تفوق مقدرة
 البشر . وقد احدثت في العامة هوساً كبيراً .

فصل الف ليلة وليلة

ان اصل الف ليلة وليلة فارسي ، نقلها العرب في القرن الرابع

للهجرة ، وزادوا عليها ، وغيروا فيها وبدّلوا ، فصارت جديدة يضيع فيها الاصل الفارسي . وقد انجز وضعها على الصورة التي بين ايدينا في عصر الانحطاط اي حوالي الجيل السادس عشر للمسيح ، وتمّ تبديلها النهائي في مصر ، وطبعت مرات عديدة على اختلاف الحجم والتبويب ، وترجمت الى اللغات الاوربية في شيء من الاجاز واطراح الكلام البذي ، الذي تسرّب اليها .

اما موضوعها فهو مجموع قصص متسلسلة . وحكايتها : ان ملكاً فارسياً كان يتزوج المرأة ويقتلها بعد يومٍ من زواجه . فحدث ان تزوج امرأة ذكية وهمّ ان يقتلها ، فاخذت تقصّ عليه قصصاً مشوقة تقطعها كل ليلة في موقف حرج ، يحمل الملك على استبقائها حية الى الغد لتتمّها له . فمضى عليها الف ليلة وليلة وهي تقصّ عليه هذه الاخبار الغريبة ، ثمّ عرّفته خدعتها فعجب منها واستبقاها وأعزّها . ولكنّ هذه النواة الصغيرة ، ضاعت بين مئات الحوادث والاعبار المتأخرة من تاريخ الادب . وقد تضمنت حوادث خيالية غريبة . وفيها حكايات عربية ، كقصّة حاتم الطائي ، والبرمكي يحيي ، واسحاق الموصلي ، والخليفة هارون الرشيد . وفيها بعض الاخبار المنسوبة الى الحيوانات . ولغتها تتراوح بين الاتقان والركاكة ، حسب الروايات وعصرها ، وفيها قصصٌ بذيئة اغفلتها كثيرٌ من النسخ التي طبعت حديثاً في بيروت ومصر .

الشعر في هذا العصر

ما ان اطلق الخلفاء حرية الفكر والنقد ، وعزّزوا شأن
الفرس وانصارهم ، حتى هجر الشعراء طريقة القدماء ، وأولهم
ابو نواس ، فقال :

صَفَةُ الطَّلُولِ بِلَاغَةُ الْفِدْمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابْنَةِ الْكَرَمِ

وبتسرّب الحضارة الاجنبية الى مراكز العلم والادب ، انتقل
الشعر من هدوء البادية الى جلبة المدينة ، ومن الصحارى الجدباء
الى الرياض الفيحاء والقصور الشام ، ومن الانفة والحشمة
الجاهلية الى الانغماس بالملاهي الحضرية . وعرف هذا العصر بعصر
النهضة العلمية ، وصارت اللغة العربية لغة الادب والسياسة في
العالم العربي . فتعرب كثير من الفرس واليونان وغيرهما وأدخلوا
الى الادب العربية افكاراً جديدة . فنبغ كثير من الشعراء
والمفكرين ، على ابعدا غاية واوسع نظراً في الحياة . وقد رأينا
الشعر الاموي وما فيه من المنافسات العصبية والسياسية الى
غير ذلك . واما هذا العصر ، فأننا نظفر بشعر التائق العمراني
ومظهر التقدم الفكري في الكثير من نواحيه . فرقت اساليبه
وهجرت الألفاظ البدوية ، والكلمات الغريبة ، وكثرت

المفردات الاعجمية ، واستحدثت فيه محسنات للبديع كالجناس
وانواعه ، وكثر استعمال البحور القصيرة ، ووفق بين الوزن
والمعنى ، واخترعت اوزان جديدة كالمستطيل والممتد والموشح ،
وكررت المعاني المبتكرة والدخيلة ، وعُرف شعراء هذا العصر
« بالمولدين » بعد طبقة المحدثين .

وأهمل الشعر السياسي لعدم الحاجة اليه ، إلا ما كان في المفاخرة
بين شيعة آل ابي طالب وآل العباس ، كما في شعر مروان بن حفصة
والسيد الحميري وغيرهما . وعُدل عن الشعر العذري ، فما مال اليه
احد من الشعراء ، وذلك لحياة المرح والحرية في ذلك العصر .
ولم يعد النسيب بالديار والاطلال ملتزماً في مطلع القصائد ، بل
حلَّ محله ذكر القصور ، ونعيم العيش ، وصحبة اخوان الطرب ،
وغناء القيان ، والرحلة الى الممدوح على السفن ، ونحو ذلك ؛
او يستبدل به ذكر الخمر وأوصافها ، والحث على اصطباحها
واغتباقها . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل تعداه الى التنديد
بالنسيب بالاطلال ، وتهجين من يلهج بذكرهما ، كما سنبين ذلك
في شعر أبي نواس .

وعمد الشعراء الى ترتيب الافكار ، واخذ بعضها بحجز بعض ،
بحيث قلَّ الاقتضاب وشذوذ الانتقال من معنى مباين له ، كما كان
يقع كثيراً في الشعر القديم ، واختراع الاخيلة الجميلة التصوير في

التشبيه والاستعارة والأوصاف وحسن التعليل ، واستعمال طرق الحكمة وقواعد الفلسفة وشعائر الدين ، كما في شعر أبي العتاهية وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء ، إلى غير ذلك من ضروب محاولة الاقتناع .

وقد بولغ في المدح إلى آخر حد الاعتدال طلباً للكسب ، كقول منصور النمرى في مدح الرشيد :

مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللَّهِ مُعْتَصِماً فَلَيْسَ بِالصَّلَواتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
وعلى الجملة ، فإن اشتراك الإمام في حياة العبث واللهم جهراً ، وتسلب الغلمان على الرؤساء والسادة ، وانتشار المذاهب الفلسفية كان سبباً في ظهور أدب جديد ، ومظهراً للتقدم الفكري في بعض مناحيه .

بشار ابن برد (٧١٤ — ٧٨٤ م)

هو مولى لبني عقيل ، ويقال لبني سدوس ، ويكنى أبا معاذ ويلقب بالمرعث ^(١) وكان يرمى بالزندقة . وهو من الشعراء المطبوعين الذين لا يتكلفون الشعر ، ولا يتعجبون في قرضه ، واحد البلغاء المكفوفين ^(٢) . قال الشعر ولم يبلغ الحلم أي ابن

(١) المرعث : الذي جعل في أذنيه الرعاث أي القرط « الخلق » .

(٢) المكفوف : الأعمى .

عشر سنوات ، واجمع رواة الشعر ونقده على ان بشاراً هو رأس
المحدثين واسبقهم الى معاطاة البديع . وطرق ابواب المجون
والخلاعة والغزل الرقيق الحضري ، والهجاء المقذع . وقد جمع في
شعره بين جزالة العرب ورقّة المحدثين ، وفتق عن المعاني الدقيقة
والاخيلة اللطيفة ، فعُدَّ شعره برزخاً بين القديم والحديث ، وبجازاً
يعبر عليه الشعر من رابع البداوة الى قصور الحضارة . ويتميز
شعره : بالهجاء والتشبيب بالنساء ، والخروج عن الحدِّ المألوف عند
اهل زمنه . وقد انكره عليه العلماء والمتورعون عندما رأوا تأثير
شعره في شبّان البصرة ، حتى ان المهديّ نهاه عن التشبيب ؛ فكان
اذا مالت له نفسه ، يذكر منه ما يشاء ويقول : ان الخليفة منعه
من كذا وكذا وإنه له مطيع . وعمر ما يقرب من تسعين سنة ،
وقتل سنة ١٦٧ هـ .

كان تارة يمدح الخلفاء ، وطوراً يهجوهم ، كقوله :

بني أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَمِسُوا

خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الزَّقِّ وَالْعُودِ

وقد وصفه مؤرخو الادب بأنه كان بشع المنظر ، ضخَمَ
الجلّة ، مجدور الوجه . وأماً هو فيزعم أنه ناحل الجسم بدليل قوله
يخاطب عبدة حبيبته :

لَمْ يَطْلُ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْتُمْ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمْ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا : جُودِي لَنَا خَرَجْتَ بِالصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمْ
نَفْسِي يَا عَبْدَ عَنِّي وَأَعْلَمِي أَنِّي يَا عَبْدَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ
إِنَّ فِي بُرْدِي جِسْمًا نَادِلًا لَوْ تَوَكَّاتُ عَلَيْهِ لَأَنْهَدُمُ
خَتَمَ الْحُبِّ لَهَا فِي عُنُقِي مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَمِ

وفي البيت الاخير هذا اشارة الى ورقة الذمة التي كان يجبر
على حملها النصراني واليهود او مَنْ ليس بمسلم .
ومن جيد عتابه قوله :

يَا لَيْلِي تَرْدَادُ نَكْرًا مِنْ حَبٍّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكَرًا
حَوْرًا إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَمْتُكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا
وَكَاَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا قِطْعُ الرِّيَاضِ كُسِينِ زَهْرًا
وفي الابيات الآتية ، يصفها بطيب الحديث وحسن الاناقة
وجمال الهندام :

وَكَاَنَّ تَحْتَ إِسَانِهَا هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا^(١)
وَتَحَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا ،
وَكَاَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَابِ صَفَا وَوَافَقَ مِنْكَ فِطْرًا^(٢)
جَنِيَّةٌ إِنْسِيَّةٌ أَوْ يَبْنَ ذَاكَ أَجَلٌ أَمْرًا

(١) هاروت : احد ملكي السحر في بابل ، واسم الثاني ماروت .

(٢) الفطر : الاكل والشرب بعد الصيام .

وكفاك أني لم أخط بشكاة من أحببت خبراً^(٢)

ومن شعره في المشورة والنصائح :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة

فإن الخوافي قوة للقوادم^(٤)

وما خير كف أمسك الغل أختها

وما خير سيف لم يؤيد بقائم^(٥)

وخل أهويني للضعيف ولا تكن

نؤوماً فإن الحر ليس بنائم

ومن جيد قوله :

وكننت إذا ضاقت علي محلة تيممت أخرى ما علي مضيق

وما خاب بين الله والناس عامل

له في الثقي أو في المحامد سوق

وما ضاق فضل الله عن متعفف

ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقد هاجى بشار الشعراء ، ونصب له منهم حماد عجرد ،

(٣) الشكاة : المرض . (٤) غضاضة : مذلة ونقيصة . الخوافي : ريش

تحت جناح الطائر . القوادم : الريش الظاهر في مقدمته . (٥) الغل : حديد أو

حبل تشد به اليد الى العنق .

واحتدم بينهما اللجاج والتقاذف بالاقوال المقذعة ، وظهر حماد عليه في بعض اهاجيه وآله ولكنه لم يسقط منزلته ، ولم يكن فيما هجاه به شيء أشد من قوله :

ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد

ويستجاد لبشار من التشبيه قوله :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ مَنًا وَمِنْهُمْ وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

وبسبب البيتين اللذين هجا بهما الوزير يعقوب بن داود ، وقد اشرنا اليهما ، بعث المهدي اليه صاحب الزنادقة ، فضربه حتى مات ، ولم يخرج في دفنه احد لأنه مات وخصمه الخليفة .

ابو نواس (٧٦٢ — ٨١٤ م)

هو ابو علي الحسن بن هاني ، الشاعر المبدع ، فارسي الاصل ولد في الاهواز ، ونشأ يتيماً ، فجاءت به امه البصرة ، بعد سنتين من مولده ، فتعلم العربية ورغب في الادب . واسلمته امه الى عطار في البصرة يخدمه ويكتسب رزقه ويعول امه ، وهو لا يفتر عن معاطاة الشعر . فصادفه والبة بن الحباب الشاعر الماجن الكوفي ، فأعجب كل منهما بالآخر ، فخرج به والبة الى الكوفة حيث أخذ بمعاشرة الخلفاء ، فتخرج عليهم في الشعر وبذهم جميعاً . وقدم بغداد وهو ابن ثلاثين سنة ، فاتصل ببعض الامراء

ومدحهم . واتصل خبره بهارون الرشيد ، فأذن له بمدحه ، فأنشد قصائد طنانة . وقد قصد الخصيب في مصر ومدحه ثم انقطع الى محمد الامين . ويقال انه كان جميل الخلق ، فصيح اللسان ، يحب الهزل ويجاهر بالفسق والمجون . وله الفضل الاكبر في تغيير طريقة الشعر والتوسع في معانيه . وقد امتاز بتصرفه في الشعر عن طريقة القدماء ، فتجاوز ما كان عندهم من الفاظ محدودة واساليب معينة . واتبع طريقة جديدة تمثل بيئة عصره ، فوصف الحمرة بغير ما قال الاعشى الجاهلي والاخلط في العصر الاموي ، وهي ميزة شعره ، فقال :

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سُرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ
وقوله ايضاً :

مُدَامُ تَبَدَّتْ مِنْ مَقَامٍ مُشْرِفٍ تَلُوحُ لَنَا أَنْوَارُهَا ثُمَّ تَخْتَفِي
وَلَمَّا شَرِبْنَاَهَا وَدَبَّ دَيْبُهَا إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِي
بِخَافَةٍ أَنْ يَسْطُوا عَلَيَّ شُعَايَا فَيَطْلُعُ جُلَاسِي عَلَى سَرِّي الْخَفِي
وفي الحمرة يقول ايضاً :

مَا زِلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الدِّنِّ فِي لُطْفِ أَسْقِنِي دَمَهُ مِنْ جَوْفِ مَجْرُوحِ
حَتَّى أَنْشَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِي جَسَدِي وَالْدَّنُّ مُنْطَرَحُ جِسْمًا يَلَا رُوحِ

وله كذلك في التشبيب قول مستحسن ، جيد تخلص فيه
الى المدح :

تقولُ غداةَ البينِ إحدى نسايمهم
ليَ الكَيْدُ الحَرَى فسيرُ وَلَكَ الصَّبْرُ
وَقَدْ خَضَّبَتْهَا عِبْرَةٌ فَلِدَمْعِهَا

عَلَى خَدَّهَا حَدٌّ وَفِي نَحْرِهَا نَحْرُ^(١)

وَقَالَتْ : إِلَى الْعِبَاسِ ، قُلْتُ : فَمَنْ إِذَا ؟

وَمَالِي عَنِ الْعِبَاسِ مَعْدَى وَلَا قَصْرُ^(٢)

فَهَلْ يَكْفَلُنْ إِلَّا بِرَاحَتِهِ النَّدَى

وَهَلْ يَزْهَوْنَ إِلَّا بِأَوْصَافِهِ الشُّكْرُ

وقوله في لوم دمع عينيه وامتداح لسانه :

لَا جَزَى اللَّهُ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا وَجَزَى اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي

نَمْ دَمْعِي فَلَيْسَ يَكْتُمُ شَيْئًا وَرَأَيْتُ اللِّسَانَ ذَا كِتْمَانٍ

كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيُّ

فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنْوَانِ

وانظر اليه وقد نقم على القديم ، واراد ان يتخلص منه الى

شيء آخر يمثّل عصره ، فهو لا يرغب في الرجوع الى الصحراء

والعيش تحت المضارب ، وله القصور الانيقة في بغداد والعيش

(٢) معدى : مصدر ميجي بمعنى تجاوز .

(١) حدّ : شق .

الرغيد على ضفاف دجلة وهو عربيّ اللسان ، فارسيّ الاصل ،
شعوبيّ يعمل في مثالب العرب . قال :

عَاجَ الشَّقِيّ عَلَى رَسْمِ يَسَائِلِهِ

وَعَجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَّارَةِ الْبَلَدِ ^(١)

يَبْكِي عَلَى طَلَلِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسَدٍ

لَا دَرَّ دَرُّكَ قُلْ لِي مَنْ بَنُو أَسَدٍ

وَمَنْ تَمِيمٌ وَمَنْ قَيْسٌ وَلَقُّهُمَا ؟

ليس الاعاريبُ عند الله مِنْ أَحَدٍ

لَا جَفَّ دَمْعُ الَّذِي يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

وَلَا صَفَا قَلْبُ مَنْ يَصْبُو إِلَى وَتِدِ

كَمْ بَيْنَ نَاعَتِ خَمْرٍ فِي دَسَاكِهَا

وَبَيْنَ بَالٍ عَلَى نُؤْيٍ وَمُنْتَضِدٍ ^(٢)

ويروى انه تاب قبل وفاته ، فقال :

دَبَّ فِي الْفَنَاءِ سُفْلًا وَعُلُوًّا

وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَمُضُوا

لَيْسَ مِنْ سَاعَةٍ مَضَتْ لِي إِلَّا

نَقَّصَتْنِي بِمَرِّهَا بِي جَزْوًا

(١) اراد بالشقي الشاعر الذي يبكي الطلول كما في الشعر الجاهلي .

(٢) النؤي : حفرة حول الخيمة . تمتع تسرب الماء للداخل . منتضد : ما مضى

من متاع البيت .

ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوَا
 قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْأَسَاءَةِ فَاللَّهُمَّ صَفِّحْنَا عَنَّا وَغْفِرْنَا وَغَفِرْنَا
 وَعَلَى الْجَمَلَةِ فَإِنَّ أَبَا النَّوَاسِ تَرَكَ لَنَا شِعْرًا يَحْفَظُ لِحْفَةَ رُوحِهِ ،
 وَجَمَالَ وَصْفِهِ ، وَرَقَّةَ الْفَاضِلِ ؛ وَهُوَ يُمَثِّلُ لَنَا حَيَاتِهِ وَنَاحِيَةَ وَاسِعَةَ
 مِنَ الْعَصْرِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ أَحْسَنَ تَمَثِيلٍ .

أَبُو الْغَنَاهِيَّةِ (٧٤٨ — ٨١٦ م)

هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ سُؤَيْدٍ . وَلَدَ بَعِينَ التَّمَرِ ،
 وَنَشَأَ فِي الْكُوفَةِ . كَانَ يَشْتَغِلُ فِي صِنَاعَةِ الْجَرَارِ ، ثُمَّ وَفَدَ إِلَى
 بَغْدَادَ ، وَمَدَحَ الْمُهَدِيَّ بِقَصِيدَةٍ ، قَالَ مِنْهَا :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مِنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرُّرُ أَذْيَالِهَا
 فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
 وَلَوْ رَامَهَا وَاحِدٌ غَيْرَهُ لَزَلَّتِ الْأَرْضُ زِلْزَالِهَا

وَكَذَلِكَ مَدَحَ الْهَادِيَّ وَالرَّشِيدَ فَأَجَازَاهُ وَأَكْرَمَاهُ ؛ وَقَدْ تَرَهَّدَ فِي
 آخِرِ حَيَاتِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ سَيِّءِ السَّيْرِ فِي طِفْلُولَتِهِ ، مُتَرَدِّدًا فِي دِينِهِ
 وَعَوَاطِفِهِ وَافْكَارِهِ . وَمِمَّا يَرُوى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ شِئْتُ لَجَعَلْتُ
 كَلَامِي كُلَّهُ شِعْرًا . وَقَالَ أَيْضًا : « أَنَا فَوْقَ الْعُرُوضِ » . وَلِذَا زَاهِ
 قَدْ اسْتَحْدَثَ أَوْزَانًا لَاتَتْ إِلَى عُرُوضِ الْخَلِيلِ بِشْيءٍ . فَهُوَ مِنَ
 مُؤَسَّسِي الْأَنْقِلَابِ الشَّعْرِيِّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ . أَطْلَقَ نَفْسَهُ مِنْ

التقليد بالمعاني والألفاظ ، وأتى بمعانٍ جديدة . قيل إنه قعد ذات يومٍ عند قصَّار ، فسمع صوت المدَّة ، فحكى ذلك شعراً قال :

لَمَنُونُ دَارًا تَ يَدْرُنَ صَرْفَهَا

هُنَّ يَنْتَقِينَنَا وَاحِدًا فَوَاحِدًا

وكان قد شغف بحبِّ جارية للمهدي ، اسمها عتبة ، فنظم فيها كثيراً من قصائد الغزل ؛ ومما قال فيها :

كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ أَخْرَجَهَا أَلِيمٌ إِلَى السَّاحِلِ

كَأَنَّهَا فِيهَا وَفِي طَرْفِهَا سَوَاحِرُ أَقْبَانٍ مِنْ بَابِلِ

لَمْ يُبْقِ مِنِّي حُبُّهَا مَا خَلَا حَشَاشَةً فِي بَدَنِ نَاحِلِ

والى جانب غزله هذا ، يحسن بنا ان نحدثك عن زهده ، وكان ممن يخلون انفسهم من قيود الدين ، وينظرون فيه نظر ناقدين ، واستقر رأيه اخيراً على التمسك بالاسلام والزهد عن الدنيا . وقد رأى أَنَّ لغز الحياة لا يحلّ ، ولا مندوحة للانسان عن الدين والايان بالله ايماناً صادقاً لا يشوبه رياءٌ . قال وهو من مخترعائه في المعاني :

النَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ

وقوله :

هَبِ الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ

وذكر واه أرجوزة حكيمية في بضعة آلاف بيت ، منها :
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوتُ مَا أَكْثَرَ الْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكِفَافَا مَنْ أَتَقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

ومن اقواله السائرة مسير المثل :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ
وقد اشتهر انه كان واعظاً مؤنباً في شعره ، يميل الى الحكم .
واليك شيئاً من قوله :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْتُقْ مِنَ الْمَالِ نَفْسَهُ
تَمَلَّكَهُ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ
أَلَا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْفِقُ
وَلَيْسَ لِي الْمَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ

وان نحن أخذنا بدراسة شعره ، رأيناه ذا وترٍ واحدٍ ، ينقر
عليه نغمات متماثلة مؤثرة ، ولا سيما في الزهد والموعظة ، غير أنها
خالية من سعة الخيال والنفوذ الى مناطق الحياة الحقيقية . وقد
جمع في شعره بين السمو والاسفاف ، والبلاغة والركاكة التي ما
بعدها ركاكة كقوله :

مَاتَ وَاللَّهِ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ رَحِمَ اللَّهُ سَعِيدَ بْنَ وَهَبٍ
يَا إِبَا عَثْمَانَ أَبَكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عَثْمَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي
وَأَيْنَ قَوْلُهُ هَذَا مِمَّا نَقَلْنَاهُ لَكَ ؟ أَلَا تَقُولُ مَعِيَ أَنَّهُ مُنْتَهَى

الركاكة والذوق المريض ؟ هذا هو ابو العتاهية الشاك في بدء حياته، الزاهد المنقطع لعبادة ربه كهلاً وشيخاً . مات سنه ٥٢١١ هـ .

ابو نعام (٨٠٤ + - ٨٤٥ ؟)

هو حبيب بن أوس الطائي ولأء ، ويكنى « ابا تمام » ، وهو اسبق الشعراء الثلاثة الذين سارت بذكرهم الركبان ، وخلد ذكرهم الزمان ، ثانيهم البحتري وثالثهم المتنبى . قيل إن أباه كان نصرانياً اسمه تدوس . ولد في بلاد الشام بقرية اسمها جاسم ، ونشأ في مصر يسقي الماء في الجرّة . ومال الى الادب وتعلّم العربية ، وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبع في القول . ثم ذهب الى بغداد ومدح المعتصم ، فأجازه وفضّله على سائر الشعراء .

تأثر ابو تمام بالحضارة اليونانية والفارسية ، فاستكثر من الحكم والامثال في قصائده ، والاستدلال بالأدلة العقلية على الامور الجارية في الحياة ، والكنائيات الخفية ، ولو قاده ذلك الى التعقيد . غير أنه كان يستره بنوع من البديع كالجناس ، والطباق ، والاستعارة . وقد ظهر أثر الصناعة في كثير من شعره ، على ان الجيد من شعره الذي لا يبارى مهد الحكم والامثال للمتنبى وابي العلاء المعري وغيرهما . وقد قيل : إن ابا تمام والمتنبى حكيما ، والشاعر هو البحتري .

ويتميز شعره بدقة المعاني وغنى الافكار المبتكرة ، كقوله :
 وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حُود
 لولا اشتعال النار في ما جاوت ما كان يُعرف طيب نشر العود
 وكقوله :

وإذا رأيت من الهلال نُموه أيقنت أن سيكون بَدْراً كاملاً
 ومن أبياته السائرة قوله :

فلو صوّرت نفسك لم تَرُدّها على ما فيك من كرم الطّباع
 وله في صدق الولا ، ومعرفة الجميل قوله :

أولى البرية حقاً أن تراعيه
 عند السُّرور الذي آسأك في الحزن
 إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَوْطِنِ الْحَشِينِ
 وقوله في الغزل ، وهو مما يتمثل به :

نقل فواءك حيثُ شئت من الهوى
 ما الحبُّ إلا للحبيب الأوّل
 كم منزل في الارض يألّفه الفتى

وحينه أبداً لأوّل منزل
 ومن افخم قصائده ، قصيدة هنأ بها الخليفة المعتصم بفتح
 عمورية ، وفيها يسخر من المنجّمين الذين اشاروا على الخليفة ألا

يهاجها في وقت عَيْنُوه له . فخالقهم وتم له النصر ، فأنشده أبو تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ منَ الكُتُبِ

في حَدِّه الحدُّ بَيْنَ الجدِّ واللَّعبِ

وَالْعِلْمُ في شُهْبِ الْأَزْمَاحِ لَامِعَةٌ

بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ^(١)

أَيُّ الرِّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا

صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ

وختامها :

أبَقَّتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَرَاضِ كَأَسْمِهِمْ

صَفَرَ الْوُجُوهُ وَجَلَّتْ أَوُجُهُ الْعَرَبِ^(٢)

وله من القصائد المشهورة قصيدة رثى بها محمد بن حميد

الطائي ، قال في مطلعها :

كَذَا فَلْيَجْلُ الْخُطْبُ وَلِيَفْدَحِ الْأَمْرُ

فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ

تُوَفِّيتِ الْآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ

وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ

(١) الخميسين : الخميسين . السبعة الشهب : سبعة نجوم متقاربة تعرف ببينات نعش .

(٢) بني الأصفر : كناية عن الروم .

وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِّنْ قَلٍّ مَّالُهُ
وَذُخْرًا لِّمَنِ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
وَمَا كَانَ يَذْرِي مُجْتَدِي جُودٍ كَفَّهُ
إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ

ومنها :

فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ
فَقِي بَأْسُهُ شَطْرُ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةً
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مُضْرِبُ سَيْفِهِ
مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمُرُ
وَقَدْ كَانَ فُوتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ
إِلَيْهِ الْخِفَافُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ

ومنها :

فَتَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحِ لَا مِّنْ غَضَاضَةٍ
وَلَكِنَّ كِبْرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرُ
فَتَى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ وَهُوَ جَمَى لَهَا
وَبَرَزَتْهُ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا جَمْرُ

عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ وَقَفَا فَإِنِّي

رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يمدح بها الحسين بن رجا ، وهو من رؤساء

الكتاب في دولة المأمون والمعتصم :

لَا تُنْكَرِي عَظْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى

فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي ^(١)

وَتَنْظَرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنْصُهَا

مُحِي الْقَرِيضِ إِلَى مُمَيَّتِ الْمَالِ ^(٢)

ومن قوله في الحجاب :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي يَنْفُرْتُهُ

وَجُودُهُ لِمُرَجِّي جُودِهِ كَثَبٌ ^(٣)

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَدٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا

إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ

وله وصية في كيفية النظم ، اوصى بها أبا عبادة البحراني ،

بين فيها أحسن الوسائل لإجادة النظم ، قال : « تخير الأوقات

وانت قليل المموم ، صفر الغموم . واعلم ان العادة في الأوقات

ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر . وذلك

(١) حرب : محارب . (٢) خبيب : سرعة . ينصها : يسوقها .

(٣) كَثَبٌ : قريب

ان النفس قد أخذت حظّها من الراحة وقسطها من النوم ، فان
اردت النسيب فأجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقيّاً ، وأكثر فيه من
بيان الصبابة وتوجع الكتابة ، وقلق الاشواق ولوعة الفراق . . . ؛
واحذر ان تشين شعرك بالألفاظ الزرّية ، وكن كأنك خياط
يقطع الثياب على مقادير الاجسام . واذا عارضك الضجر ، فأرح
نفسك ، ولا تعمل إلا وانت فارغ القلب . . . » وبمثل هذا يقول
علماء التربية في عصرنا الحاضر ، وقد تنبّه اليه ابو تمام .

هذا هو ابو تمام ، في شعره طابع من الجزالة والفخامة ،
ولكنّه خليط بين الجيّد والردّي . والعين النادر بالردل الساقط ،
والصواب بالخطأ . وقد وصف شعره ابن الاثير في قوله : « كأنّها
رجال قد ركبوا خيولهم واستلّاموا سلاحهم وتأهبوا للطراد » .
وقد امتاز بمذهب في الطباق ، وهو من ابواب البديع ، قد سبق
به الشعراء ، وان كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه فان له
فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه . وهو من المقدّمين
بحسن الديباجة ورقّة العبارة . وله ديوان شعرٍ شرحه كثيرون ؛
وله كتاب الحماسة وقد جمع فيه كثيراً من أشعار العرب القدماء .

البحري (٨١٩ — ٨٩٧)

هو ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ، اشهر من استحق لقب

شاعر بعد ابي نواس . ولد سنة ٢٠٦ هـ بناحية منبج في قبائل
طيّ ، الضاريين خيامهم في شواطىء الفرات ، ونشأ بينهم ، فغلبت
عليه فصاحة العرب . واتصل بابي تمام ، وتخرج عليه ، واتبع
طريقته ، ولكنه لم يفرط مثله بالاتيان في البديع . وقال هو عن
نفسه وعن ابي تمام ، « انني والله تابع له ، آخذ عنه ، لا ائذبه ،
نسيمي يركد عند هوائه ، وأرضي تخفض عند سمائه » . وقال في
محل آخر : « جيده خير من جيدي ، وردبي خير من رديته » .

وكان يختلف الى الخلفاء والامراء والروساء يمدحهم ، وكان
على فضله وفصاحته ورقة كلامه ، وبديع خياله ، من أبجل خلق
الله وأرسخهم ثوباً ، وأبغضهم انشاداً ، وأكثرهم فخراً في شعره
حتى كان يقول ، إذا اعجبه شعره : « أحسنت والله » ، ويقول
للمستمعين : « مالكم لا تقولون احسنت ؟ هذا والله ما لا
يحسن احد ان يقول مثله » .

وميزة شعره : انه بدهي ، صقيل اللفظ ، سلس الاسلوب ،

سهل الفهم ، دقيق المعاني ، كقوله :

أَقْوَى الْعَوَاقِبِ يَأْسُ قَبْلَهُ أَمَلٌ

وَأَعْضَلُ الدَّاءِ نِكْسٌ بَعْدَ إِبْلَالِ

وَالْمَرَةِ طَاعَةُ أَيَّامٍ تُنَمِّلُهُ

تَنْقُلُ الظِّلَّ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

وهو مع بديع خياله ، قليل التَّمَنُّق بالمعاني الفلسفية ؛ أما
خياله في جودة الوصف ، فيظهر لنا في قوله من قصيدة في بركة
بناها المتوكِّل :

يَا مَنْ رَأَى الْبُرْكَهَ الْحَسَنَاءَ رُؤْيَيْهَا
وَالْأَنْسَاءَ إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا

* * *

تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُفْجَلَةً
كَالْخَيْلِ جَارِيَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا
كَأَنَّمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ

مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي تَجَارِيهَا
إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَنَا حُبَّكَ

مِثْلَ الْجَوَاشِنِ مَضْفُولًا حَوَاشِيهَا^(١)
فَحَاجِبُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا يُضَاحِكُهَا

وَرَيِّقُ الْغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِهَا
إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا

لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءَ رُكِبَتْ فِيهَا
تُغْنِي بِسَاتِنِهَا الْقُصُوى بِرُؤْيَيْهَا

عَنِ السَّحَابِ مُنْعَلًا عَزَالِيهَا^(٢)

(١) حَبْلُ الْمَاءِ : المتكسر منه . الْجَوَاشِنُ ، مفردة جوشن : الدرع .

(٢) عَزَالِي ، مفردة عزلاء : مصب الماء من القرية ونحوها .

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدْفُتِهَا
يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وادِيهَا

ومن قوله في الحكمة :

إِذَا مَا تَسَبَّتِ الْحَادِثَاتِ وَجَدْتُهَا
بَنَاتِ زَمَانٍ أَرْضِدَتْ لِبَنِيهِ
مَتَى أَرَتِ الدُّنْيَا نِبَاهَةً خَامِلٍ
فَلَا تَرْتَقِبْ إِلَّا نُحُولَ نَبِيهِ

ومن جَيْدِ قوله :

دَنَوْتُ تَوَاضِعاً وَعَلَوْتُ مَجْداً
فَشَأْنَاكَ انْجِدَارٌ وَأَرْتِفَاعُ
كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامِيَ
وَيَدْنُو الضُّوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

وقد وصف سُرى اللَّيْلِ ومطلع الفجر في قوله :

وَلَقَدْ سَرَيْتُ مَعَ الْكَوَاكِبِ رَاكِباً
أَعْجَازَهَا يَعْزِيمَةُ كَالْكَوْكَبِ
وَاللَّيْلِ فِي لَوْنِ الْغَرَابِ كَأَنَّهُ

هُوَ فِي حُلُوكَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْعَبْ^(١)

والعيسُ تنصلُ من دُجَاهُ كَمَا انْجَلَى

صَبَغُ الخَضَابِ عَنِ الْقَذَالِ الْأَشْيَبِ ^(١)

حَتَّى تَبْدَى الْفَجْرُ مِنْ جَنَابَتِهِ

كَأَلْمَاءٍ يَلْمَعُ مِنْ خِلَالِ الطُّحْلَبِ ^(٢)

ويذهب جماعة من الادباء الى أنه لم يأت بعد ابي نواس مَنْ هو أشعر من البحرى ، ولا بعده ، من هو اطبع منه على الشعر ، ولا ابداع منه في الخيال .

وله كتاب حماسة على مثال حماسة ابي تمام ، جمع فيه كثيراً من اشعار العرب ؛ وله ديوان مشهور ، اهتم بشرحه ابو العلاء المعري ، ويقول الباقلاني : « ألا ترى أن كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره ، والخروج من باب الى سواه ، حتى إن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحرى مع جودة نظمه وحسن وصفه ، في الخروج من النسيب الى المديح وأطبقوا على أنه لا يحسنه ولا يأتي فيه شيء ، وإنما اتفق له في مواضع معدودة خروجٌ يُرتضى ، وتنقلٌ يستحسن ^(٣) » وقال عنه ابن الاثير في كتابه المثل السائر : « انه اراد ان يشعر فغنى ، وورقي في ديباجة لفظه الى الدرجة العليا » . ويذهب الآمدي الى

(١) العيس الابل . تنصل : تخرج . القذال : شعر في مؤخر الرأس .

(٢) الطحلب : ما يطفو على وجه الماء الآسن من الخضار . (٣) اعجاز القرآن ص ٢١

« انه اعرابي الشعر ، مطبوع ، وانه على مذهب الأوائل ، ما
فارق عمود الشعر المعروف » .

وكفى انه تميز بقوة التصور ، فهو يصور اخلاق الممدوح
تصويراً لم يسبقه احد الى مثله . وما زال شعره غير مرتب حتى
جمعه الصولي ابو بكر ، ورتبه على الحروف ، وجمعه ايضاً حمزة
الاصبهاني ورتبه على الانواع ، ولا تكاد قصيدة من القصائد
المدحية تخلو من الاستهلال بالغزل .

ابو الرومي (٨٤٠ — ٩٨٦)

هو علي ابن العباس بن جريج الرومي ، مولى بني العباس ،
ويكنى ابا الحسين ، شاعر مكثر . طبع على الشعر ، وله فيه
التوليد الغريب ، والمعاني المخترعة ، والالاهجي المقذعة .

ولد في بغداد سنة ٢٢١ هـ نشأ واقام فيها ، كان كثير التطير
وله فيه اخبار غريبة ، منها ان اصحابه اذا ما ارادوا ان يعجبوا
به ، أرسلوا اليه من يتطير من اسمه ، فلا يخرج من بيته طيلة يومه .
قضى حياته في مدح السراة والولاة وهجوهم ، فكانوا
يكرمونه ، إماً خوفاً من لسانه ، وإماً رغبة في مديحه . ومنهم
القاسم بن عبيد وزير المعتضد الذي دس له سماً فيما يقال ، فقتله
به وكان سبب موته ، وقيل بل مرض فوصف له الطبيب دواء

فيه سمّ فغلط في مقداره ، واكثر منه فئات ؛ وقد تكون هذه
الرواية اصحّ من الأولى بدليل قوله وهو يجود بنفسه الاخير :
غَلِطَ الطَّبِيبُ عَلَيَّ غَلْطَةُ مُورِدٍ عَجِزَتْ مَوَارِدُهُ عَنِ الْأَصْدَارِ
وَالنَّاسُ يُلْحُونَ الطَّبِيبَ وَإِنَّمَا غَلِطَ الطَّبِيبُ إِصَابَةً الْأَقْدَارِ
وكان ، في ما نقل عنه ، شرهاً أكلوا ، حادّ الطبع ، ضيق
الخلق . وبالرغم من هذا فان اللفظ الصقيل والجزالة والمعاني
النادرة المبتكرة تبدو في شعره ، كقوله :

وَإِذَا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرَأَةً لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ ، فَقَدْ أَطَالَ هِجَاءُهُ
لَوْ لَمْ يَقْدِرْ فِيهِ بَعْدَ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوُرُودِ لَمَّا أَطَالَ رِشَاءُهُ ^(١)
وقد امتاز ايضاً بالوصف ودقة التصوير . واليك ما قال في
الشباب ، ويُعدّ من الروائع :

رَأَيْتُ سَوَادَ الرَّأْسِ لَلْهُوَ تَحْتَهُ كَلِيلٌ وَحِلْمٌ بَاتَ رَائِيهِ يَنْعَمُ
فَلَمَّا اضْمَحَلَّ اللَّيْلُ زَالَ نَعِيمُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَهْدُهُ الْمُتَنَعِمُ
واليك ما قال في خبّازٍ ، وفيه صورة رائعة ، ومنه ومما تقدّم
وما ننقله نجد انه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارئ تمثيلاً :
ما انسَ لا انسَ خبّازاً مررتُ به

يدحو الرقاقة مثل اللحم للبصر ^(٢)

(١) رشاء : جبل . (٢) ماشرطية . وانسَ : فعل الشرط مجزوم ؛ ولا

انسَ جوابه . يدحو : ييسط .

مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كِفِّهِ كُرَّةٌ (١) وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا قَوْرَاءٌ كَالْقَمَرِ (٢)
إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَنَدَّاحُ دَائِرَةٌ فِي لُجَّةِ الْمَاءِ يُلْقَى فِيهِ بِالْحَجَرِ (٣)

وَمِنْ جِدِّ وَصْفِهِ أَيْضاً ، مَا قَالَهُ فِي الشَّمْسِ وَهِيَ تَلْمَسُ حِبَالَ
أَشْعَتِهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ :

وَقَدْ ضَرَبْتُ فِي خُضْرَةِ الرُّوضِ صَفْرَةً

مِنَ الشَّمْسِ فَأَخْضَرَ أَخْضِرَاراً مُشْعِشَعَا

وَأَذْكَى نَسِيمِ الرُّوضِ رِيْعَانَ ظِلِّهِ

وَعَنَى مُعْنَى الطَّيْرِ فِيهِ فَشَجَعَا

وَعَرَّدَ رَبْعِي الدُّبَابِ خِلَالَهُ

كَمَا حَثَّ النَّشْوَانُ صَنْجاً مُشْرِعاً (٤)

فَكَانَتْ أَرَانِي الدُّبَابَ هَنَاقَ

عَلَى شِدَوَاتِ الطَّيْرِ ضَرْباً مُوقِعاً

وَقَوْلُهُ فِي قَوْسِ الْغَنَامِ :

وَقَدْ نَشَرْتُ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفاً

عَلَى الْجَوِّ دُكْنًا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ (٥)

يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَخْضَرِ

عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَصْفَرٍ إِثْرٌ مَبْيَضٌ

(١) قوراء : واسعة . (٢) تنداح : تعظم وتبسط . (٣) حثث :

حرك . (٤) مطارف : أبواب . دكن : سود .

كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلْتُ فِي غِلَاثِلِ

مُصَبَّغَةٍ وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضٍ

وَمِمَّا يَسْتَجَادِلُهُ فِي الْوَصْفِ ، قَوْلُهُ فِي أَحَدِهِ :

قَصُرْتُ أَخَادِعُهُ وَغَارَ قَدَالُهُ فَكَأَنَّهُ مُتَرَبِّصٌ أَنْ يُصَفَّعَا ^(١)

وَكَاثِمًا صَفَعْتُ قَفَاهُ مَرَّةً وَأَحْسُ ثَانِيَةً لَهَا فَتَجَمَّعَا ^(٢)

وَلَهُ فِي الْهَجَاءِ شَعْرٌ لَا يَقِلُّ جَمَالًا عَمَّا تَقْدَمُ . وَالِيكَ مَا قَالِ

فِي هَجَاءِ شَاعِرٍ :

رُقَادَكَ ، لَا تَسْهَرْ لِيَ اللَّيْلِ ضِلَّةً

وَلَا تَتَجَسَّمُ فِي حَوْكِ الْقَصَائِدِ

أَبِي وَأَبُوكَ الشَّيْخُ آدَمُ تَلْتَقِي

مُنَاسِبُنَا فِي مُلْتَقَى مَنْهُ وَاحِدٍ

فَلَا تَهْجِنِي ، حَسْبِي مِنَ الْخِزْيِ أَنِّي

وَأَيَّاكَ ضَمَّنِي وَلَادَةُ وَالِدِ

فَهَوَ ، إِذَا اخْتَرَعَ الْمَعْنَى أَوْ وَلَدَهُ مِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ ، لَا يَزَالُ

يَسْتَقْصِي فِيهِ وَيُنْظِمُهُ بِوُجُوهِ مُخْتَلِفَةٍ حَتَّى لَا يَدَعَ فِيهِ بَقِيَّةً .

وَيَكْفِيهِ فَضْلًا أَنْ يَكُونَ الْمُتَنَبِّي أَحَدَ رَوَاةِ دِيَوَانِهِ الْآخِذِينَ عَنْهُ .

(١) الْإِخَادِعُ ، مُفْرَدُهُ أَخْدَعُ : عَرَقَ فِي صَفْحَةِ الْعُنُقِ ، وَهُوَ شَعْبَةٌ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .

الْقَذَالُ : مَا بَيْنَ الْأُذُنَيْنِ مِنْ مُؤَخَّرِ الرَّأْسِ . (٢) صَفَعْتُ : ضَرَبْتُ بِالْيَدِ .

الْقَفَا : مُؤَخَّرُ الْعُنُقِ .

وان نحن نظرنا في مطولاته ، رأيناه يكثر القول دون تكرير
ولا سقط ، فهو من الذين يفضلون المعنى على اللفظ ، فيطلب
المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجئة اللفظ وخشونته . ومع
هذا كله فانك تجد في نظمه سهولة ومتانة ، فقصيدته قطعة
مؤلفة تأليفاً منطقياً فنياً ، لا عوج فيها ولا ضعف . وله في الغزل
ما لا يقل عما بيناه ؛ من ذلك قوله :

يَا عَلِيلاً جَعَلَ الْعِلَّةَ مِفْتَاحاً لِظُلُمِي
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَلِيلٌ غَيْرُ جَفْنِيكَ وَجِسْمِي
ومن قوله في الحكم :

أَرَى فَضْلَ مَالِ الْمَرْءِ دَاءٌ لِعِرْضِهِ

كَمَا أَنَّ فَضْلَ الزَّادِ دَاءٌ لِيَجْسَمِهِ ^(١)

فَلَيْسَ لِدَاءِ الْعِرْضِ شَيْءٌ كَبْدُهُ

وَلَيْسَ لِدَاءِ الْجِسْمِ شَيْءٌ كَحَسَمِهِ ^(٢)

وله في الرثاء ما لا يقلّ جملاً عن وصفه واختراعاته . وقد
مات له ثلاثة أولاد ، فقال في كلٍّ منهما ما يفطر القلب ويجري
الدمع . فقال في الأوسط منهما ، وقد بدأها بمخاطبة عينيه :

(١) عرض : شرف .

(٢) الحسم : القطم .

بُكَائُهُمَا يَشْفِي ، وَإِنْ كَانَ لَا يَجْدِي ،

فَجُودًا ، فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِي ^(١)

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ أَلْمَنِيَا وَرَمِيهَا

مِنْ الْقَوْمِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمْدٍ

تَوَخَّى حِمَامَ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَبِيَّتِي

فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ

وَيُخْتَمُهَا بِقَوْلِهِ :

وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارٍ وَحْشَةٍ

فَإِنِّي بِدَارِ الْأَنْسِ فِي وَحْشَةِ الْفَرْدِ

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّةً

وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ

وَكَانَ شَعْرُهُ غَيْرَ مَرْتَّبٍ ، رَوَاهُ عَنْهُ الْمُتَنَبِّي ، وَجَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ

الضُّوْلِيُّ وَرَتَّبَهُ عَلَى الْحُرُوفِ ، وَجَمَعَهُ أَيْضاً وَرَاقُ بْنُ عَيْدُوسٍ ،

وَزَادَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ نَحْوُ الْفِ بَيْتٍ .

هَذَا ابْنُ الرُّومِيِّ الَّذِي عَاشَ وَمَاتَ فِي الْبُؤْسِ ، وَكَانَتْ

وَفَاتُهُ فِي بَغْدَادَ سَنَةِ ٢٨٣ هـ .

الثقافة العلمية

عندما اتسعت رقعة الخلافة الاسلامية ، واصبحت امبراطورية عربية بعيدة الآفاق ، جمعت تحت لوائها امماً متحضرة . فانتدب نخبة من العلماء انفسهم لجمع ما كان مدوناً في الصحف المبعثرة ، يرتبونه وينظّمونه ، ويجعلونه في كتب جامعة ، والخلفاء يشجعونهم ويبذلون لهم الاموال الطائلة ؛ ممّا دعا الادباء والعلماء والفلاسفة لمدارسة العلوم المترجمة والتبحر فيها . فنضجت العلوم اللسانية والدينية والتاريخية ، تدويناً علمياً ، وتكونت العلوم الطبيعية والفلسفية ، وقد تصرف بنقلها الترجمة ، فانتسع مضمار العلم ، وزخرت بحوره ، وتوافد جماعة المفكرين ، من ادباء وحكّاء وعلماء ، الى بغداد ، وقد اصبحت دار الحكم وموئل العلم .

العلوم اللسانية

يراد بالعلوم اللسانية ، اللغة ، وهي علم معرفة معاني مفردات اللغة . وقد دعت الحاجة اليه . وذلك عندما ابتدأ الاعاجم يتكلّمون اللغة العربية ، ويحرّفون معاني ألفاظها ، مازجين فيها

الكلمات الغريبة التي ليست بعربيّة . فخشي اصحاب اللغة ان
تتسرّب الى العربيّة رطانة الاعاجم فتضيع الفصحى ، فوضعوا
لضبطها المعاجم العامّة . وفي مقدّماتهم الخليل بن احمد ، صاحب
كتاب « العين » ، وابو بكر بن دريد صاحب « الجمهرة » . ثمّ جاء
بعدهما من اخذ عنهما ، ووضعوا المعاجم التي بين ايدينا .

العروض

العروض علم يعرف به صحيح الاوزان الشعرية . وأوّل من
نظر فيه ودوّنه الخليل بن احمد المتقدّم ذكره ، فحصر البحره في
خمسة عشر بحراً ، ثمّ استدرك عاينه الاخفش بحراً واحداً ، سماه
« المتدارك » .

علم النحو

يعود الفضل في هذا العلم من حيث تعليله وضبط قواعده
الى العلماء الأولين ، وأشهرهم ابو الاسود الدؤليّ في صدر الاسلام .
غير ان هذا العلم لم يستقلّ عن سائر علوم اللغة الا بعد ان اشتدّت
لنازعات بين البصريين والكوفيين . فجاء سيبويه وهذبه

ورتبَ أبوابه ، ووضع فيه كتابه الشهير « الكتاب » .

وقد اشتغل علماء البصرة بعلم النحو قبل علماء الكوفة ، واعتمدوا في ضبط قواعده على كلام الأعراب الفصحاء لقربهم من البادية . وكانوا لا يأخذون بالقياس إلا في حال الاضطرار . وأشهر علماء البصرة : عمرو بن العلاء ، وتلميذه الخليل بن أحمد ، ثم سيبويه تلميذه ، ثم الاخفش تلميذ سيبويه .

وأما اهل الكوفة فقد اخذوا معارفهم في النحو عن البصريين وكانوا يعتمدون في ضبط قواعده على القياس . وكان الخلفاء العباسيون ينصرونهم على البصريين لاسباب سياسية ، ويأخذون من علمائهم مذهبين لأولادهم . وأشهر علماء الكوفة : معاذ الهراء اقدم نخاة الكوفة ، وواضع علم الصرف ، الكسائي تلميذ الهراء والرؤاسي ، والفراء تلميذ الكسائي .

ومما لا ريب فيه ان البصريين كانوا أرسخ قدماً ، واوسع علماً وأولى بالثقافة من الكوفيين . وبقي الخلاف والنزاع بين علماء البصرة والكوفة ، الى ان اشتدت الفتن في البلدين ، فلجأ علماءها الى بغداد حيث تألف من مذهبيهم مذهب جديد عُرف بالمذهب البغدادى .

الخليل (٧١٨ — ٧٨٦)

هو الخليل بن احمد الفراهيدي ، ويكنى ابا عبد الرحمن .
وُلد في البصرة ونشأ فيها ، وأخذ النحو والقراءة والحديث عن
أئمة اللغة وأكابر الرواة ، منهم عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ،
وقصد البادية ، وسمع الفصيح ، وجمع غريب الكلام ، ونبغ
في اللغة ؛ وأخذ عنه سيديويه والنضر بن شميل ومؤرج السدوسي ؛
وعاش فقيراً ومات فقيراً .

وكان على جانب عظيم في تصحيح القياس ، واستخراج
مسائل النحو وتعليقه ، فبسطه وفرّع أصوله ، وجعله علماً
مضبوطاً . وإليه ينسب وضع الشكل في ضبط الحروف ، وإليه
ينسب وضع العروض كما تقدّم معنا . وابتكر المعاجم ، وكان
على معرفة بالموسيقى ، وهو لا يعرف لغة اجنبية ، ولا يضرب
على آلة .

ويذهب مؤرخو الادب الى ان كتاب « سيديويه » في النحو
معمودا كثره بلفظ الخليل . توفي سنة ١٧٠ هـ ، ويقال في سبب
موته انه اراد ان يعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية الى
البقال فلا يظلمها ، فدخل المسجد وهو يُعمل فكره ، فاصطدم
بسارية صدمة شديدة كانت داعية الى اعتلاله وموته .

سيبويه (+ سنة ٧٦٩)

هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، ويكنى ابا بشر ، إمام البصريين و حجة النحاة ، فارسي الأصل ، وأول من بَوَّبَ علم النحو . اخذاً علمه عن الخليل بن احمد ، ووضع كتابه المسمّى « بالكتاب » . وقال فيه ابو عثمان المزني : « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه ، فليستح . » قصد بغداد ، وناظر فيها الكسائي ومشاهير النحاة في عصره ؛ غير ان الخلفاء نصروا علماء الكوفة عليه ، فنفرَ منهم وعاد الى بلاد الفرس حيث مات في قرية اسمها البيضاء سنة ١٧٧ هـ .

الكسائي (+ ٨٠٥)

هو علي بن حمزة ويكنى ابا الحسين ، ويلقب بالكسائي ؛ إمام الكوفيين ، احد القراء السبعة . اخذ النحو عن أئمة الكوفة كبيراً ؛ ولما أنفذ ما عندهم ، خرج الى الخليل بالبصرة ، وجلس في حلقة ، واعجبه علمه ، ورحل الى البادية وأخذ عن أهلها ، ثم قدم بغداد واقامه الرشيد مؤدباً لابنه الامين . فارتفعت منزلته عند الخلفاء ، وتعصبوا له ولعلماء الكوفة ، ضد سيبويه وعلماء البصرة . قيل انه كان يروي الشعر ولكن ليس له فيه نظر جيد .

علوم البلاغة

المعاني والبيان والبديع

بعد ان فرغ العلماء من تدوين العلوم التي تحفظ الكلام العربي ، من حيث اعرابه وتصريفه ومادته ، مالوا الى البحث في بلاغة الكلام ، وأول كتاب دوّن بهذا العلم هو كتاب « مجاز القرآن » لابي عبيدة تلميذ الخليل ، ثم تبعه العلماء .

وأول من دوّن علم البديع عبدالله بن المعتز وقدامة بن جعفر . ومشت العلوم البلاغية ، مع الزمن ، جارية على ألسن البلغاء ، الى ان جاء عبد القاهر الجرجاني ، المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، فألف كتابه « دلائل الاعجاز في المعاني واسرار البلاغة في البيان » . وجاء بعده السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، فألف كتابه « مفتاح العلوم » . ثم ما زالت هذه العلوم آخذة بالتقدم ، وقد بلغت انواعها في خزانة الادب لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٨ هـ ، مئة واثنين واربعين نوعاً . وما زالت هذه العلوم بعيدة عن الكمال لنشوتها في زمن استضعاف العرب واستعجام اللغة .



الأدب

عرفنا مما تقدّم ، ان الادب في صدر الاسلام كان عبارة عن جمع اقوال العرب وأخبارهم ، للاستعانة بها على تفسير القرآن وضبط ألفاظه وشرح معانيه واساليبه . واما في هذا العصر ، فقد أصبح مجموعة معارف لكلّ العلوم المدوّنة ، والتضلع منها ، للاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم ، وعلى هذا ، صار الفرق بين الاديب والعالم .

فالأديب هو الذي يأخذ من كلّ علم احسنه فيألفه ؛ او ، كما قيل : هو الآخذ من كلّ علم بطرف ، فتقول مثلاً : ان الجاحظ اديب .

والعالم هو الذي يتضلع من علم خاص فيتقنه ، فتقول مثلاً : ان سيبويه نحوي ، اي عالم بالنحو .

وكان الخلفاء العباسيون يحضرون المناظرات الادبيّة ، ويغدقون العطاء على الادباء والعلماء والشعراء فكثرت التدوين والتأليف ، وصارت بغداد ملتقى رواة الادب وطلاب العلم . وغلب امران عظيمان على عبارة اللغة العربيّة ، هما : السهولة والمحسّنات البديعيّة ، وانتخاب الألفاظ الرشيقّة ، السهلة ، المألوفة المعنى والاستعمال .

العلوم الدينية

المراد بالعلوم الدينية ، علم تفسير القرآن وعلم الحديث وروايته ودرايته وعلم الفقه . وكانت هذه كلها علماً واحداً في زمن الامويين . واما في هذا العصر ، فقد استقل كل علم عن الآخر ، واجتهد الأئمة بتنظيمه ووضع القواعد لكل منها ، فكثر التأليف ، وأصبح كل منها علماً بأصول ، له قواعد توصل اليه .

التفسير

أخذ العلماء من أئمة المسلمين يتدارسون القرآن ويتفهمونه ويفسرونه ويشرحون آياته بالعلوم الموصلة . وقد اشتهر من بين المفسرين ابن جرير الطبري في كتابه « جامع البيان في تفسير القرآن » ، وقد اشتهر بالتاريخ ايضاً ؛ وله كتاب « أخبار الرسل والملوك » . توفي سنة ٣١٠ هـ ، ٩٢٣ م .

الحديث

عني علماء المسلمين يجمع الحديث ، وكان قد تفرق بموت الصحابة ، فدوّنوه وامتحنوا مصادره وشكّوا في صحّة الكثير منه ، فجعلوا له علماً خاصاً بروايته ودرايته . وقد اشتهر من علمائه مالك بن أنس ، وله كتاب الموطأ ؛ ومحمد البخاري ، وله كتاب « صحيح البخاري » ؛ ومسلم بن الحجاج ، وله كتاب « صحيح مسلم » .

الفقر

نشأ هذا العلم في صدر الاسلام ، ودوّنت أحكامه في هذا العصر . وانقسم الفقهاء الى قسمين : اهل الرأي والقياس ، وزعيمهم ابو حنيفة ، وقد شكّ بكثير من الاحاديث ، وكان يعتمد على الرأي والقياس في استخراج الاحكام من القرآن ، وانتشر مذهبه في العراق وفارس والهند ؛ وأهل الحديث والتقليد ، وزعيمهم مالك بن أنس ، وكان يسعى جهده في تحصيل الاحاديث ليستنبط منها الاحكام ، وقد انتشر مذهبه في الحجاز ، وذلك لكثرة رواة الحديث في ذلك الصقع . ثم جاء فريق آخر وجمع بين المذهبين ، فتولّد مذهب الشافعي وابن حنبل ، فاستقامت

المذاهب لاربعة من الأئمة ، هم : ابو حنيفة ، مالك ، الشافعي ،
وابن حنبل .

العلوم التاريخية

بدأ تكوين علم التاريخ في أيام بني أمية ، فوضع عبيد بن
شربة كتاباً للمعاوية ، وأما التدوين فقد كثر في العصر العباسي ،
وكان الداعي الى ذلك علم الحديث والتفسير . فقد احتاج المؤلفون
الى تحقيق الاوقات التي قيلت فيها الاحاديث وسبب التنزيل
وامكنة ازال الآيات ، أهي مكية ام مدنية . وتطرقوا بعد ذلك
الى البحث في سيرة النبي العربي ، وصحابه الأولين والتابعين ؛
ثم الى تنظيم دولتهم ، وتعيين الخراج والجزية والمرتببات ،
وتدوين الفتوح ومعرفة الانساب . فكان هذا كله سبباً لنهضة
تاريخية ، دونت في اثنائها التواريخ الخاصة ، ثم التواريخ العامة .
واستقل التاريخ عن سائر علوم اللغة ، فكانت له اغراض يمكن
حصرها بما يأتي : جمع السير والمغازي ، وتاريخ فتوح البلدان ،
وأشهر المؤرخين محمد بن جرير الطبري ، وقد تقدم ذكره .



العلوم الجغرافية

ان حج بيت الله الحرام كان الاساس الأول لوضع الجغرافية عند العرب. أضف الى ذلك بحثهم في الفتوح والانساب، وتنظيمهم الأمصار العربية الجديدة. فقد اضطروا الى الرحلة بانفسهم الى دنيا جديدة، افتتحوها. فركبوا البحار، وجابوا الاقطار، ودونوا ما شاهدوه في البلدان المترامية الاطراف في الامبراطورية العربية، وكانوا قد ترجموا الى اللغة العربية كتب الجغرافية، وفي جملتها كتاب بطليموس، واخذوا ينسجون على منوالها. ومن قَدَّبَعَ الرحلات وما كُتِبَ بهذا الشأن، نعلم أن هذا العلم لم ينضج إلا في العصر العباسي الثاني. وممن اشتهر من مؤلفي الجغرافية الخاصة «ابن الخائك» في كتابه «صفة جزيرة العرب الخاصة»؛ وفي الجغرافية العامة اليعقوبي في كتاب «البلدان».

العلوم الدخيلة

يقصد بالعلوم الدخيلة، الفلسفة والطبيعيات والرياضيات، وقد ترجم شيء ضئيل لا يذكر في عصر بني امية. ولما جاء المنصور وبني بغداد، استقدم اليها كثيراً من المترجمين، فأكرمهم وأغدق

عليهم العطاء الوفير ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهند
والسريان ؛ وهو واضع اساس النهضة العلمية العربية . وجاء هارون
الرشيد من بعد المهدي ، فثبتت اركانها وأتم كل ذلك ولده المأمون
الذي بنى دار الحكمة ، وأرسل جماعة من المترجمين الى بلاد الروم
ليختاروا الكتب ويرسلوها الى بغداد . فكثر الترجمة وغصت
بيت الحكمة بالعلماء ، وأخذ العرب يتفهمون هذه العلوم
ويتدارسونها ويشرحونها . ولم يمض زمن قليل حتى ظهر الحكماء
والفلاسفة ، وذهب دور الترجمة ، وتلاه طور التأليف والإبداع ،
وظلت هذه الحركة العلمية تسير بقدم ثابتة وتقدم الى آخر العصر
العباسي الثاني . وأشهر المترجمين : آل بنخيشوع ، وآل نوبخت ،
وابن البطريق ، ويعقوب الكندي الخ ...

العصر العباسي الثاني

عرفنا مما تقدم ان الاتراك انخرطوا في سلك الدولة العباسية ،
وصارت الدولة في يدهم ، فاستبدوا بشؤونها ، وضعف امر الخلفاء
حتى اصبحوا آلة بأيديهم ، وانقسمت تلك الامبراطورية الواسعة
الى امارات ودويلات عديدة . وقد استقل كل عامل بالبلاد التي

كان يحكمها، فأسس الفرس الدولة السمانية في خراسان وتركستان،
والدولة الزيارية في طبرستان، والدولة البويهية في العراق وفارس.
وأسس الترك الدولة الغزنوية في افغانستان، والدولة السلجوقية
في تركستان، وقد استولت هذه على بغداد سنة ١٠٤٩ م،
وُضعت اليها سائر الدول الشرقية، وأسس العرب الدولة الحمدانية
في حلب والموصل، والدولة الفاطمية في مصر، التي حلت محلها
الدولة الايوبية سنة ١١٧٣ م.

وأسس عبد الرحمن الداخل الاموي الدولة الاموية في
الاندلس سنة ٧٥٥ م، فتقسمت الدولة العباسية الى ممالك مستقلة
استقلالاً سياسياً، واما الخلافة فبقيت في بغداد اسماً لغير مسمى،
ليس في يده من الحكم شيء. وكان من جراء هذه الدويلات،
اختلاط المسلمين بالاعاجم، وانتشار الفلسفة وتعدد الاحزاب
والشيع والزندقة. وكان من الطبيعي بعد هذا الامتزاج ان تحف
النصرة العربية والتباهي بكرم الاصل والنجار، وتتاثر اللغة
العربية وآدابها. فبعد ان كان الخليفة نصير العلم في العصر العباسي
الأول، اصبح نصرائه جملة من الملوك والوزراء والامراء، في
كبريات المدن، وأخذت النهضة العلمية تمتد من اقصى تركستان
في الشرق الى اقصى بلاد الاندلس في الغرب، وأينعت ثمارها
بتعاون العرب والفرس والترك وغيرهم. فتم نمو العلوم على

اختلاف مواضيعها ، واستقرت قواعدها . فنبغ نخبة من الادباء والشعراء والمنشؤون والمؤرخون والجغرافيون واللغويون والفلاسفة ، وقد انتسبوا الى مواطنهم كالرازي ، والبغدادى ، والبخارى ، والاندلسي . وإن نحن رجعنا الى إبان الدولة العربية ، رأينا أنهم كانوا ينتسبون الى اصولهم ، كالحميري والقرشي وغيرهما .

وعلى تعدد هذه الدويلات في مختلف الأصقاع ، كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في جميع الممالك والامارات ، ولكنها أخذت بسنة النشوء والارتقاء تصطبغ بصبغة قومية . فان بعض حكام الشرق حاولوا احياء آدابهم القديمة ، فنجحوا في مضمار الشعر والادب بعض النجاح ، كما سئى ذلك في الادب الاندلسي . وما زالت الحركة العلمية والفكرية على تقدم مستمر الى ان ضعف امر العرب في القرن الثاني من هذا العصر ، الذي كثرت فيه المنازعات بين الملوك في الشرق والغرب ، وهي داعية الى فتور الهمم وكساد العلم . وبسبب هذه المنازعات ، أخذ الادب العربي يضمحل تدريجيا في الممالك الشرقية حتى سقط بسقوط بغداد في ايدي المغول ، ولكنه ظل مزدهراً في مصر والشام ، أيام الفاطميين والايوبيين ، وفي الاندلس أيام المرwanيين وملوك الطوائف . وهنا لا بد لنا من التطرق الى قول كلمة عن الآداب العربية في الاندلس .

الادب العربي في الاندلس

من مراجعة التاريخ نعلم أنّ أوربا كانت في ذلك الزمن على جانب من الجهل ، ممّا سهّل للعرب الفاتحين ان ينشروا تمدنهم وآدابهم ، وجعل اللغة العربيّة لغة العلم والادب ، والحكم في الاندلس « اسبانياً » ، ووجد الاسبان انفسهم في التمدن العربيّ الاسلاميّ راحة وطمأنينة . فأقبلوا عليه ، وأخذوا بمبادئته ، وبرعوا في تعلّم العربيّة ، فكان منهم ادباء وعلماء وشعراء وفلاسفة . وكان للتمدن العربيّ في ذلك الصقع أثر كبير ، فقد رقى الزراعة والصناعة ، وأنشأ المدارس التي كان يقصدها اهل اوربة انفسهم ، طلباً للعلم والمعرفة ، وما زالت آثار العرب في الاندلس حجةً ناطقة بتقدّمهم وتفوقهم ، كجامع قرطبة والقصر « الكازار » في اشبيلية ، والحمراء في غرناطة ، الى غير ذلك من الآثار الناطقة بعظمة التمدن العربيّ في ذلك الصقع .

النثر العباسي

تقدّم النثر الفنيّ في هذا العصر ، بسبب الترجمة والحضارة والترّف ، وتنشيط امراء الدول له ، فتغيّرت اساليبه ومعانيه ،

وعبر الكتاب يتأنقون في انشائهم ، وشرعوا يعبرون في ما يكتبون عن عواطف النفس وشعورها ، واكثروا من استعمال البديع والسجع ، حتى اضحت الكتابة صناعة يراعي فيها الكاتب جانب اللفظ ، غير ملتفت الى المعنى ، بل الى اظهار تفوقه في براعة القول وكثرة المترادفات .

وأول من سلك هذه الطريقة ، كما قلنا في العصر الاموي ، عبد الحميد الكاتب ، وحذا حذوه ابن المقفع في العصر العباسي الأول ، وغيره من كتاب الشرق والغرب . وسميت هذه الطريقة « المدرسية او الاتباعية » . وجاء في هذا العصر القاضي الفاضل ، وابتدع طريقة جديدة قلد بها المشرقيين ، واستعمل انواع البديع المعروفة في عصره ، وأطال السجعات المملة . فظهرت الكلفة في كل ما وصلنا من كتاباته ، الا ابن العميد ، فقد كان وسطاً في ذلك . وظلّا هما وأتباعهما الاولين محافظين على اساليب البلاغة العربية ، مما يدلنا على سلامة ذوقهم وغزارة علمهم ومعارفهم . وان نحن قابلنا كتاباتهم بكتابة المتأخرين ، فلا يرى ذلك الانحطاط الذي بُلي به المتأخرون عند ما ضعفت الدولة ، وقلت عناية الملوك باللغة وبلاغتها ، وأخذ النثر يتأخر ويسف ويضعف بضعف الدولة ، فسقطت الآداب العربية . والمطلع على آثار ذلك العصر يرى أنّ اغراض النثر كانت في الاغراض الآتية :

١ — التعبير عن العواطف والشعور ، كما نرى في الرسائل
الاخوانية .

٢ — شرح الامور السياسية والادارية ، وذلك بين في ما
وصلنا من المنشورات الدولية .

٣ — الهجاء الادبي والمفاخرة . يمثل لنا هذين المراسلات التي
دارت بين بديع الزمان الهمذاني والحوارزمي .

٤ — الاخبار الخيالية والقصص والروايات ، نراها في المجاميع
كالمتظرف والكشكول والمخللة وغيرها .

٥ — واما فنون ذلك النثر فكانت تتناول التهاني والتعازي
والمديح والرثاء والهجاء ، والاخوانيات والسلطانيات والاشغال
الديوانية ومقدمة الكتب ، ثم المحاضرات والمناظرات الادبية
والعلمية . وقد اشتهر بها ابن حيان التوحيدي المتوفى سنة
١٠٠٢ م ، وصاحب كتاب المحاضرات والمناظرات ، والشريف
المرتضي صاحب كتاب « الدرر والغرر » في المحاضرات والاصهباني
في كتابه « محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » .

واما الروايات والقصص ، ويراد بها تمثيل الاخلاق والعادات
والآداب في سياق قصة موضوعة ، نقلها العرب عن اللغة
الفارسية والهندية في عصر الترجمة ، فصادت اقبالا عظيما عند
عامّة الشعب ، فكان لنا القصص التي تقدّم ذكرها ، كألف ليلة

وليلة ، وعنتر ، وغيرها .

اما المقامات فهي قصص خيالية ، وحكايات صغيرة ، تتضمن أخباراً مختلفة ذات مغزى ادبي ، وفيها كثير من الغريب والسجع والمحسنات البديعية والأشعار والتوريات . والغاية منها حفظ مفردات اللغة وأساليبها . ولدينا منها مقامات بديع الزمان ومقامات الحريري . ويتلو هذا كله توقيعات الخلفاء ومنشوراتهم السياسية والادارية ، ثم التأليف الادبية والكتب العلمية والمقالات الفلسفية .



انحلال الدولة العباسية

وما كاد القرن التاسع الميلادي ينتهي حتى اخذت الخلافة العباسية تنحل ، ويستقل عنها كبار الامراء . ومن هؤلاء الملوك المستقلين بنو حمدان ، امراء حلب ، واشهرهم سيف الدولة ، وقد خلد المتنبى ذكره في كثير من قصائده ، كما سنعرض لذكره .

وفي هذه الاثناء ، فتر الشعر في فارس وخراسان لضعف العنصر العربي ، واخذت الآداب الفارسية تراحم الادب العربي ، وصارت المعجمة الى عقول الامراء والشعراء . ففقد الشعر تلك المنزلة السامية التي كانت له في العصر الغابرة ، وعدل عنه اكثر

الادباء الى الكتابة والتدوين والتأليف ، وظلّ سوق الشعر رائجاً في العراق لقربها من البلاد العربيّة ، وبقيت بغداد تدخر بالشعراء الذين كانوا يمدحون ملوك الدولة البويهية وينالون جوائزهم ، الى ان استولت الدولة السلجوقية على المشرق . فاخذ الادب العربي يضمحل ، والادب الفارسي ينمو ، حتى سقطت بغداد في ايدي التتر ، فهجرها الشعراء الى مصر والشام .

واختصّ الشعر عندئذٍ بأغراض هي شرح الحقائق الفلسفية ؛ ولنا على ذلك دليل قول الرازي :

لَعَمْرُكَ لَا أَدْرِي وَقَدْ أَذِنَ الْبَلَى

بِعَاجِلِ تَرْحَالِي إِلَى أَيْنَ تَرْحَالِي

وَأَيْنَ مَحَلُّ الرُّوحِ بَعْدَ خُرُوجِهِ

مِنْ أَلْهِيكَلِ الْمَنَحِلِّ وَالْجَسَدِ الْبَالِي

والتعرض الى الهزل والتهكم ، كقول السري الرفاء :

أَلَدَّهْرُ كَأَلْثَشْوَانٍ فِي إِصْلَاحِهِ

مَا رَاحَ يُصْلِحُهُ وَفِي إِفْسَادِهِ

رَاعٍ لَنَا يَحْتَاجُ دَثْرَ سَوَامِهِ

وَأَبُّ لَنَا يَسْطُو عَلَى أَوْلَادِهِ

والعتاب والشكوى ، كقول الرفاء ايضاً :

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي أَعْطَاكَ شَاهِدَهُ
شَهِدَ الْوَدَادِ وَخَانَ الْغَيْبَ غَائِبُهُ

عَاقَبْتَنِي بِجَفَاءٍ لَا أَقُومُ بِهِ
فَهَلْ عِقَابُكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ
عَسَى الْعِتَابُ يُرَدُّ الْعِتَبَ مِنْكَ رِضَى
وَرُبَّمَا أَذْرَكَ الْمَطْلُوبَ طَالِبُهُ

واستخدم الشعر ايضاً في ضبط قواعد العلم ، كما نرى في
اراجيز النحو والمنطق .

ولما استولى الفاطميون على مصر والشام ، وأسسوا خلافة
عربية علوية ، وقربوا اليهم الشعراء ، وأجزلوا لهم العطاء ، اشتهر
غير واحد من الشعراء ، وبالغوا في مدح المحسنين اليهم من خلفاء
وامراء ، سواء في مصر او بلاد الشام ، ونظموا الشعر في اغراضه
القديمة ، كالفخر والمدح والغزل والرثاء والوصف . وقد توسعوا
في البعض منها ، وأحدثوا فنوناً توافق البيئة الجديدة والحضارة
الفاطمية والعقائد العلوية . ومن الاغراض التي تناولها الشعر :
الحكم ، وضرب الامثال ، ووصف المعارك الحربية والمناظر
الطبيعية ، ونقد الحقائق الفلسفية والعادات الاجتماعية والمعاملات
الادارية .

وتمثيلاً على ما تقدّم ، نختار ثلاثة شعراء ، هم : المتنبّي ، وابو فراس ، والمعري .

المتنبّي

هو ابو الطيّب احمد بن الحسين الجعفي ، الكندي ، الشاعر الحكيم وصاحب الامثال السائرة والمعاني النادرة ، وآخر من شارف شعره غاية الارتقاء ، فقالوا عنه انه مالى الدنيا وشاغل الناس .

ولد في الكوفة سنة ٩١٥ م ، ونشأ في بادية بني كلب ؛ فاخذ عن عربها اللغة ، وكانت لا تزال صحيحة فيهم . فأحاط بغريبها وحوشيّها ، وهو فتى لم يجاوز العشرين من عمره . فنبغ في اللغة ، وكان نادرة في الحفظ ، لا يُسأل عن شيء الا استشهد فيه بكلام العرب نظماً ونثراً . وقيل انه طمع بالنبوة في الشام ، وفتن شرذمة من الناس بسحر بيانه ، وصنّف كلاماً عارض به القرآن . فلما اشتهر امره ، قبض عليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية في مصر ، فسجنه ، ثم استتابه واطلق سراحه . وكان كلما ذكر له قرآنه ، انكره وحاول التنصّل من تبعته . وقد تفرّق عنه اصحابه ، واخذ يطوي الآفاق سعياً وراء المجد ، لعله يظفر بولاية بعد ان أخفق بالنبوة . ومعينه الصبر والبأس ، كما يدل على ذلك قوله :

وَحِيدٌ مِنَ الْخَلَّانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

ولم يزل يقطع البلاد ويجوب الآفاق :

أَبْدَأُ أَقْطَعُ الْبِلَادَ وَنَجْمِي فِي نَحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سُعُودِ

حتى اتصل بأبي العشار والي انطاكية من قِبَلِ سيف الدولة .
فقدمه الى سيف الدولة ، وعرفه منزله من الشعر والادب ،
فجعله في خاصته . وقام المتنبّي على مدحه ، بما خلّد اسمه ابد الدهر .
وتعلم المتنبّي منه الفروسيّة ، وحضر معه وقائع عظيمة جرت بينه
وبين الروم .

وكانت عطايا سيف الدولة السنيّة ممّا فتق مقوله ، وأهاب
به الى ان يقول :

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ

وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسَجَدَا

وَقَيْدْتُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً

وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدَا

وحدثت مناظرة بين المتنبّي وبين ابن خالويه ، في حضرة
سيف الدولة ، فرمى ابن خالويه المتنبّي بفتح حديد في وجهه
فشجّه ، ولم ينصفه سيف الدولة ، فقال :

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا
فَمَا لِيُجْزَحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ

وهذا ما يعلمنا ان ابن خالويه مؤدّب سيف الدولة كان في
جملة حاسدي المتنبّي ، ومن الراغبين في الخطّ من ادبه ، فترك ابو
الطيب بلاط سيف الدولة ، يقصد كافور الأخشيدي سنة ٨٣٤٦هـ ،
وفي قلبه مطامع ، منها ان يكون والياً على مقاطعة ماء ، فمدحه
بقصائد يشعره بها بما يأمل :

إِذَا كَسِبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالْنَدَى
فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا
وغيرُ كثيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ
فِيرْجِعَ مَلَكاً لِلْعِرَاقَيْنِ وَالْيَا
وطال الانتظار بابي الطيّب ، وكافور غافلٌ لا يلي طلبه ،
فقال :

أَبَا الْمَسْكِ هَلْ فِي الْكَاسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ
فَإِنِّي أَغْنِي مُنْذُ حِينَ وَتَشْرَبُ
وقال ايضاً :

وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحُجُبُ بَيْنَنَا
وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابُ

وفي النفس حاجاتٌ وفيكَ فطَانَةٌ

سُكوتي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

ولم أرأى كافور تغاليه في شعره وفخره بنفسه ، عدلَ عن

إجابته ملتمسَه ، فعاتبه ابو الطَّيِّب المتنبى ، واستأذنه في الخروج

من مصر . فأبى وأرصد عليه العيون . فتغفَّلَ في ليلة عيد النحر ،

وخرج من مصر يريد الكوفة ؛ ولكنه لم يترك مصرَ دون هجاء

كافور ، فقال :

عيدُ بَآيَةٍ حَالٍ عُدْتَ يَا عَيْدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرِ مِنْكَ تَجْدِيدُ

ومنها اشار الى كذب كافور :

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيَّفُهُمْ مِنَ الْبِقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ

وفي القصيدة هجاء لاذع مؤلم ، فيقول :

مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نَفُوسِهِمْ

إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَثْمَا عُوْدُ

ويعضي بهجائه اللاذع مشيراً الى ان كافور كان عبداً خصبياً ،

قتل سيِّده واستقلَّ بالملك بعده :

أَكَلْنَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَنْهِيدُ

الى ان يقول :

لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لَا أَنْجَاسُ مَنْ أَكِيدُ

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْخَصِيَّ مَكْرَمَةً أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الْأَصِيدُ

أَمْ أَذُنُهُ بِيَدِ النَّخَاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسِينَ مَرْدُودٌ
وبعد خروجه من مصر ، قصد عضد الدولة بن بويه في بلاد
فارس فرّ ببغداد ومدح وزيره ابن العميد . فاجزل صلته ثم رجع
الى بغداد ومعه ابنه محسد وغلّامه مفلح . فلما صار بالقرب من
النعمانية في موضع يقال له الصافية ، عرض له فاتك بن ابي الجهل
الاسدي في عددٍ من اصحابه ، فاقتتلا فأحس المتنبي بالضعف ،
فعمد الى الفرار ، فقال له غلامه مفلح : « لا يتحدث الناس
عنك بالفرار وانت القاتل :

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيداءُ تَعْرِفُنِي

وَالسَيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ »

فكرّ راجعاً ، وقُتِل سنة ٣٥٤ هـ .

ويمتاز شعره بالمتانة ، والبلاغة ، وضخامة المعاني ؛ فلم يدع
باباً من الشعر الا طرّقه وأجاد فيه ، ولا سيّما الحُكْم ، والحماسة
والمديح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة
ما جرى على ألسنة الناس مجرى الامثال ، ممّا حمل ابا العلاء المعري
على القول : « ابو تمام والمتنبي حكيمان ، والشاعر البحرّي » .
وكان شيوخ الشعراء في أيام ابن خلدون لا يرون المتنبي والمعري
من الشعراء لانهما لم يجرّيا على أساليب العرب .

وهو أوّل من اطلق الشعر من القيود القديمة ، وابتدع له

أساليب جديدة ، فكان بذلك زعيم الطريقة «الابتداعية» ، كما كان أبو تمام زعيم الطريقة «الاتباعية» .

ومن قوله في وصف معركة لسيف الدولة مع الروم
البرنطين:

أَتَوَكَّ يَمُجْرُونَ أَحَدِيدَ كَأَنَّا
سَرَوَا بِحِيَادٍ مَا لَهْنُ قَوَائِمُ ^(١)
خَمِيسُ بَشْرِقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ
وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ ^(٢)
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَّةٍ
فَمَا يُفِيهِمُ الْحَدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ ^(٣)
وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِيَوَاقِفِ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ ^(٤)
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَفْرُكَ بِاسْمٍ ^(٥)

(١) سرّوا : مشوا ليلاً . الحِيَادُ : الخيل . (٢) الخَمِيسُ : الجيش . الْجُوزَاءُ :
نجمان معترضان في جُوزِ السماء ، أي وسطها ، وهما من البروج . الزَمَازِمُ ، مفردة زمزمة :
وهي صوت الرعد ، أراد بها الأصوات الشديدة المتداخلة ، أي أن جيشهم طبق الأرض ،
وبلغت جلبته السماء . (٣) اللّسن : اللغة . الحدّاث : القوم المتحدّثون ؛ جمع
بلا واحد . (٤) الرّدَى : الهلاك . (٥) كَلَمَى ، مفردا كَلِمَ : جريح . هَزِيمَةٌ :
منهزمة ، والتاء فيه للجمع على مذهب البصريين . وضاح : مشرق . التفرّك : مقدم الفم .

ومن قوله في الفخر :

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفُوسَهُمْ
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
فَلَا عَبَرْتُ بِي سَاعَةً لَا تَعِزُّنِي
وَلَا صَحِبَتْنِي مُرْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا

ومن قوله في الحكم :

مَنْ يَهِنْ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ
مَا لَجْرَحَ بِمَيْتٍ أَيْلَامُ

.....

ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى

عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُّ
وله في رثاء جدته قصيدة تدلّ على صدق ما يكنّه من الحبّ،
وقد ماتت سروراً لانه ارسل لها كتاباً يخبرها فيه بقدمه . قال :
أَلَا لَا أُرِي الْآحْدَاثَ مَدْحًا وَلَا ذَمًّا
فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا

الى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى

يعود كما ابدى ويكري كما أرمى^(١)

لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا

قَتِيلَةٍ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصَمَا^(٢)

أُحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا
وَأَهْوَى لِمُشَاوَاهَا التَّرَابَ وَمَا ضَمًّا
وَمِنْهَا :

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
فَمَاتَتْ سُرُوراً بِي فَمْتُ بِهَا غَمًّا
وَفِي خَتَامِهَا يَقُولُ :

كَذَا أَنَا ، يَا دُنْيَا ، إِذَا شَتَّتْ فَادْهَبِي
وَيَا نَفْسَ زَيْدِي فِي كَرَامَتِهَا قَدَمَا
فَلَا عَبَرْتُ بِي سَاعَةً لَا تَعِزَّنِي
وَلَا صَحِبَتْنِي مَهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا
وَلَهُ دِيْوَانٌ مَطْبُوعٌ وَمَشْرُوحٌ ، وَضَمَّنَ شَرْحَهُ خَيْرُ شَرْحٍ ،
الشَّيْخُ نَاصِيفُ الْيَازْجِي ، وَطُبِعَ فِي بَيْرُوتَ .

أَبُو فَرَّاسٍ

هُوَ أَبُو فَرَّاسٍ الْحَارِثُ بْنُ سَعِيدِ الْحِمْدَانِي ، ابْنُ عَمِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ .
وُلِدَ فِي مَنبِجَ سَنَةِ ٩٣٢ م ، وَنَشَأَ فِي أَهْلِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ ،
شَجَاعاً ، أَيْ النَّفْسِ ، كَبِيرِ الِهْمَّةِ . جُمِعَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ،
فَأَعْجَبَ بِهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، وَخَصَّهُ بِبِلَاطَةٍ ، وَاصْطَحَبَهُ فِي حُرُوبِهِ ،
وَأَقَامَهُ أَمِيرًا عَلَى مَنبِجَ ، فَدَافَعَ عَنْهَا ، وَحَمَاهَا مَدَّةً مِنْ غَزَوَاتِ
الرُّومِ . وَفِي الْأَخْبَارِ أَنَّهُ أُسِرَ مَرَّتَيْنِ : الْأُولَى فِي مَغَارَةِ الْكُحْلِ ،

ومنها نُقل الى خرشة على الفرات ؛ والثانية في منبج ، ومنها
نقل الى القسطنطينية ، فاقام فيها اربع سنوات ، وتعدّرت على
سيف الدولة مفاداته . فجاش صدره بروائع الشعر ، فنظم قصائد
عُرفت بالروميات ، مملأها عواطف الحبّ والحزن الى اهله
واحبابه ، ولاسيما لأمّه العجوز ، فيقول فقال قصيدته

— لَوْلا الْعِجُوزُ بِمَنْبَجٍ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمُنِيَّةِ

وَلَكَانَ لِي عَمًّا سَأَلْتُ مِنَ الْفِدَا نَفْسُ أَبِيَّةٍ

لَكِنْ أَرَدْتُ مُرَادَهَا وَلَوْ انْجَذِبْتُ إِلَى الدُّنْيَةِ

أَمَسْتُ بِمَنْبَجٍ حُرَّةً بِالْحُزْنِ مِنْ بَعْدِي حَرِيَّةٍ

وكان يكنى في صميم فؤاده حباً مبرحاً لابنته الوحيدة
ولأمّه ولابن عمه سيف الدولة ، وهو يعالج مرارة الأسر وشدة
الشوق ، الى ان وقعت الهدنة بين الروم والبلاط الحمداني .
فأطلق سراح أبي فراس وقدم الى حلب . وما عمّ سيف الدولة ان
مات ، وخلفه ولده ابو المعالي ابن اخت أبي فراس ، ورأى شاعرنا
ان يستولي على قسم من تلك المملكة ، فيضم اليه مدينة حمص .
فأبى عليه ذلك ابو المعالي ، ودارت بينهما رحى الحرب ، فجرح
ابو فراس جراحاً كانت سبباً لوفاة ، وهو لدن العود ، غضّ
الاهاب . وقد ذكر ابن خالويه ان آخر شعر قاله مخاطباً ابنته ، لما
ادر كته الوفاة ، وله من العمر ست وثلاثون سنة ، قوله :

أُبْنِيَّتِي لَا تَجْزَعِي كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قُولِي إِذَا كَلَّمْتَنِي وَعَيَّيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَاسٍ لَمْ يُتَمِّعْ بِالشَّبَابِ

ويمتاز شعره بمتانة الأسلوب ، ورقة المعاني ، وصفاء الخيال .
وهو كثير الفخر باصله وقوته . وكان الصاحب بن عباد يقول :
« بَدِئَ الشَّعْرُ بِأَمِيرٍ وَخَتَمَ بِأَمِيرٍ » . وما يدلنا على الفخر قوله :

أَلَمْ تَرَنَا أَعَزَّ النَّاسِ جَارَا
وَأَمْرَعَهُمْ وَأَمْنَعَهُمْ جَنَابَا
لَنَا الْجَبَلُ الْمُطْلُ عَلَى زُرَّارِ
حَلَلْنَا النِّجْدَ مِنْهُ وَالْهَضَابَا
تَفَضَّلْنَا الْأَنَامَ وَلَا نَحَاشِي
وَنَوْصَفُ بِالْجَمِيلِ وَلَا نُحَابِي
وَقَدْ عَلِمْتُ رُبِيعَةً بَلَّ زُرَّارُ
بَأَنَّا الرُّأْسُ وَالنَّاسُ الذَّنَابِي

وهو في الفخر ، كما في الرثاء ، صادق العاطفة رائع المعنى ينشد
عن احساسٍ وألمٍ . واليك ما قال في رثاء اخت سيف الدولة ،
وقد بعث بها من القسطنطينية :

أوصيك بالحزن لا أوصيك بالجلد

جل المصاب عن التعنيف والفند^(١)

إني اجأك أن تكفى بتعزية

عن خير مفتقد يا خير مفتقد

هي الرزية إن ضئت بما ملكت

فيها الجفون ، فما تسخو على أحد^(٢)

وفي ختامها يقول مذكراً آياه بأسره ، وهو ما يطلق عليه

حسن الطلب ، ان لم يفده بالمال ، فانه — ابا فراس — يفديه بنفسه
وبما ملكت يمينه :

هو الاسير المفدى لا فداء له

يفديك بالنفس والاهلين والولد

وان نحن نظرنا في شعر ابي فراس ، رأيناه يتناول اغراض

نفسه ، فلا ينظم الشعر تكسباً ، انما ينظمه ليبيدي ما في نفسه .

فلا عجب إن سمعناه يصف مجلس لهو ، مبرراً ميل الشباب الى

مثل هذه المجالس . قال :

وقمنا نسحب الریط الى حانة خمار

فلم ندر وقد فاحت لنا من جانب الدار

(١) الجلد : الصبر . الفند : ضعف الرأي . (٢) الرزية : المصيبة .

بِخَمَارٍ مِنْ الْقَوْمِ نَزَلْنَا أُمٌّ بَعْطَارٍ
وَقُلْنَا أَوْقِدِ النَّارَ لِطَرَّاقٍ وَذَوَّارٍ
وَمَا فِي طَلَبِ اللّهُوَ عَلَى الْفَتْيَانِ مِنْ عَارٍ

وعلى الجملة ، فأبو فراس شاعر صادق العاطفة ، مخلص في
قوله ، تهيمن على كل ما نظم الأنفة وكبر النفس وسلاسة
العبارة . وخير ما نختتم به البحث بعض أبيات من قصيدة قالها في
الأسر مخاطباً نفسه على التجريد ، وفيها ما يدل على أنفته وكبر
نفسه :

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ ، شَيْمَتِكَ الصَّبْرِ ،
أَمَا لِلْهُوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ
نَعَمْ أَنَا مُشْتَاقٌ ، وَعِنْدِي لَوَعَةٌ
وَلَكِنْ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرُّ
إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطَتْ يَدَ الْهُوَى
وَأَذَلَّتْ دَمْعاً مِنْ خِلَائِقِهِ الْكِبَرُ
تَكَادُ تَضِيءُ النَّارُ بَيْنَ جَوَانِحِي
إِذَا هِيَ أَذَكَّتْهَا الصَّبَابَةُ وَالْفَكْرُ
مَعَلَّلَتِي بِالْوَصْلِ وَالْمَوْتُ ذُونُهُ
إِذَا مُتُّ ظِلَانًا فَلَا نَزْلَ الْقَطْرِ^(١)

(١) ظَانٌ : عطشان . القطر : المطر .

ومنها :

وما حاجتي في المال أبغي وفوره
إذا لم أفر عِرضي فلا وفر الوفرة
أُسرْتُ وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى
ولا فرسي مُهرٌ ، ولا ربُّهُ غمُرٌ ^(١)
ولكن إذا حُمَّ القضاء على امرئ
فليس له برٌّ وليس له بحرٌ

ابو العلاء المعري

هو ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان المعري التنوخي ،
شاعر مفكّر متفنّن . وُلد في معرّة النعمان سنة ٩٧٣ م في بيت علمٍ
وفضل ، وأصابه مرض الجدري وهو ابن ثلاث سنوات ، فكفّ
عن البصر ، وتعلّم النحو والعربيّة على ابيه ، وأخذ عن غيره من
أئمة زمانه . وقيل انه كان يحفظ كلّ ما يسمعه من مرّة . وانتفع
كثيراً من دار كتب آل عمّار في طرابلس بلبنان ، وقال الشعر
وعمره احدى عشرة سنة ، ودخل بغداد ، وأقبل عليه السيّد
المرتضي ثمّ جفاه .

(١) عزل : اي لا سلاح معهم . مهر : كناية عن ضعف (الفرس) لأن المهر غير
مجرب . الغمر : الغافل .

ورجع الى بلده المعرّة ولم يبرح منزله ، ونسك فيه حتى
 سمى نفسه رهن المحبسين ، محبس العمى ومحبس المنزل ، ووفد
 عليه الطلاب والرواة والادباء والمفكرّون ، وكاتبه الوزراء والعلماء ،
 وبقي في منزله مكباً على التدريس والتأليف ونظم الشعر ، مكتفياً
 بثلاثين ديناراً في السنة ، يستغلها من عقار له . ولمّا بلغ الاربعين
 من عمره ، انقطع عن اكل الحيوان وما يخرج من الحيوان ،
 واقتصر طعامه على النبات والفاكهة والحبس . وعاش عزباً الى
 ان مات سنة ١٠٥٧ م ، واوصى ان يكتب على قبره :

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

وله شعر كثير يناقض بعضه بعضاً في حقيقة العالم والشرائع
 والمعبود . وللناس في اعتقاده اقوال كثيرة . ومن مراجعة كتابه
 « لزوم ما لا يلزم » ، يتضح لنا انه كان رجلاً شاكاً في كل
 شيء ، حارّاً .

وقد ذهب في شعره مذهب الحكماء ، فاستعمل الغريب
 والاختلة الدقيقة والتكلم في الطبائع ووسائل الاجتماع وعادات
 الناس واخلاقهم ومكرهم وظلمهم ونظام الحكومات والقوانين
 والشرائع والاديان . ومن قوله :

مُلِّ الْمَقَامُ فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةً أَمَرْتُ بِغَيْرِ صِلَاحِهَا أُمَرَاؤُهَا
 ظَلَمُوا الرِّعْيَةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا وَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أُمَرَاؤُهَا

وقال في أحكام الحظّ وأوهام الحياة :

تباركت ! أنهارُ البلادِ سوانحُ

بَعْدِ وَخُصَّتْ بِالْمَلُوحَةِ زَمَزَمُ

هُوَ الْحَظُّ عَيْرُ الْبَيْدِ سَافٍ بِأَنْفِهِ

خُزَامِي وَأَنْفُ الْعَوْدِ بِالْذَلِّ يُخْزَمُ

تَوَهَّمْتُ خَيْرًا فِي الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ

وَكُنْ خَيَالًا لَا يَصِحُّ التَّوَهُّمُ

فَمَا النُّورُ نَوَّارٌ وَلَا الْفَجْرُ جَدُولُ

وَلَا الشَّمْسُ دِينَارٌ وَلَا الْبَدْرُ دِرْهَمُ

ومأْ يحمل على الشكِّ في معتقده ، قوله الموهوم :

ضَحَكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً

وَحَقٌّ لِسَكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا

تُحِطُّنَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّنَا

زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

والابحاث التي تناولها في نظمه ونثره ، يفضلها كثير من علماء

العرب والفرنجة على المتنبي . ونرى ان شعره في المدايح والمراثي

والوصف وبقية اغراض الشعر الادبية ، ارق من شعره في النقد

والفلسفة ، وأكثره في ديوانه « لزوم ما لا يلزم » . وقد قيّد نفسه

بقيود جدست افكاره ونهكت معانيه ، فجاءت الفاظه غريبة

واساليبه معقّدة . وله ايضاً ديوان «سقط الزند والدرعيات» .
ومن جيّد مرآئيه قصيدة يرثي بها فقيهاً حنفياً :

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوحُ بالكِ ولا ترثُمُ شادِ
وشبيهُ صوتِ النعيِّ اذا قيسَ بصوتِ البشيرِ في كُلِّ نادِ

...

صاحِ هذي قبورنا تملأُ الرحبَ فأين القبورُ من عهدِ عادِ
خففِ الوطءَ ما أظنُّ أديمَ الأرضِ إلّا من هذه الأجسادِ
وفي ختامها يقول :

والذي حارتِ البريّةُ فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جمادِ
واللبيبُ اللبيبُ من ليسَ يَغترُّ بِكَوْنِ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ
فأنت ترى ، ممّا قد منّا لك ، انه خطٌّ للشعر العربي خطوطاً
فلسفية ، خاصة به ، فلا شعره مبادئ اجتماعية وادبيّة انفرادية
من بين الشعراء .

وله في النثر غير كتاب ، من ذلك «رسالة الغفران» ، وهي امتع
ما كتبه ، والفكرة الرئيسية فيها هي : مناقشة من فازوا بالمغفرة
ومن حرموها في الدار الآخرة ، وقد تخيل أنّه صعد الى الجنة ،
وعرّج على جهنم . وكان يسأل من وجدّه في الجنة : بِمِ غُفِرَ لك ؟ كما
كان يسأل من يجده في النار ، لِمَ لم يغفر لك ؟ وقد اودع هذه

الرسالة خلاصة أفكاره، وهي أوضح وأدق صورة شعرية وأبرعها،
تكلم فيها عن البعث واحوال الناس .

الشريف الرضي

هو ابو الحسن محمد بن طاهر، ينتهي نسبه الى موسى
الكاظم ومنه الى الحسين بن علي بن ابي طالب، ولذلك لقب
بالشريف الرضي الموسوي. ولد في بغداد سنة ٣٥٩ هـ، وقال الشعر
وعمره بضعة عشرة سنة، وكان ابوه نقيب الاشراف الطالبين،
فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ هـ وأبوه حي.

كان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو، وله فيها مؤلفات
نافعة، وقد اجمع الادباء على انه اشعر قريش، لأن شعراء قريش
كان فيهم من يجيد القول، إلا ان شعره قليل، واما المجيد
المكثر فهو الشريف الرضي. توفي ببغداد سنة ٤٠٦ هـ، ودفن في
الكرخ ورثاه الشعراء.

وله شعر يدل على عظم نفسه، وشرف نسبه. قال من
قصيدة يمدح بها القادر بالله العباسي في جلسة جلسها فأوصل اليها
الحجيج وغيرهم، ومطلعها :

لن الحدوج تهزهن الانيق

والركب يطفو في السراب ويفرق^(١)

(١) الانيق : الجمال . الركب : المسافرون . السراب : ما يتراءى للمسافر
في الصحراء انه ماء وليس بماء .

وتخصّص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه ، فقال :

وبرزت في بُردِ النبيِّ وللهدى

نورٌ على اسرارِ وجهك مُشرقٌ

وكانَ داركُ جَنَّةَ حَصْبائِها الجاديُّ او انماطها الاستبرقُ

في موقفٍ تغضي العيون جلالَةً فيه ويعثر بالكلام المنطقُ

والناسُ اماً شاخصٌ متعجّبٌ ممّا يرى او ناظرٌ متشوّقٌ

ثمَّ يتقدّم فيجعل نفسه مساوياً للخليفة بالنسب ، فما يفرقه

عنه غير الخلافة ، فيقول :

عطفاً امير المؤمنين فأننا في دوحةِ العلياء لا نتفرّقُ

ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ ابدأً كلانا في المعالي مُعرقُ

إلا الخلافة ميزتك فأنني أنا عاطلٌ منها وأنت مُطوّقُ

ويقال انه عندما وصل الى هذا البيت ، التفت القادر بالله

وقال له : « على رُغم انفِ الشريف » . ويقال ان الخليفة عزله عن

نقابة الاشراف ، وقد اتهمه بالميل الى الفاطميين خلفاء مصر .

ويغلب على شعره من الامثال المقدّمة ، الفخر والنسيب على

طريقة المتقدمين في لفظ جزل ومعنى فخم . ومن قوله في النسيب :

طلعتُ والليلُ مشتملٌ سابغُ الاذيالِ والأزرِ^(١)

(١) سابغ الاذيال : طويل الاذيال ، مفردة ذيل وهو طرف الثوب . الأزر ،

مفردة ازار ، اي ملأه .

من خصاصات الغبيط وقد غرّد الحادي على أقر^(١)
ورقاب القوم مائلة من بقايا نشوة السهر^(٢)
فاستقاموا في رحالهم يتبعون الضوء بالنظر
فأمترينا ثم قلت لهم ليس هذا مطلع القمر^(٣)
وله براعة في الرثاء . ومن اشهر قصائده فيه رثاء ابي اسحاق
الصابي ، ومطلعهما :

أعلّمت من حملوا على الأعواد
أرأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى
من وقعه متتابع الإزباد
وقد اكبر الناس قوله في هذه القصيدة لأن المرثي كان
صائبياً . على أننا نعلم ، من متابعة القصيدة ، أن الميت كان من
اصدقائه الخالص ، على حدّ قوله :
إن لم تكن من أسرتي وعشيرتي
فلأنت أعلّقتهم يداً بودادي
ويختتمها بقوله :

(١) الغبيط : الرجل . الاقر : وادٍ واسع . (٢) نشوة : رائحة الحمرة .

(٣) امترينا ارتوبنا .

وسقاك فضلك أنه اروی حیا من رائج متعرّسٍ او غادِ
جدث علی أن لا نبات بارضه وقفت علیهِ مطالبُ الروادِ
ومن قوله فی الحكم :

كُنْ فی الانام بلا عین ولا اُذن
أولا فمیش ابد الايام مصدورا
والناس اُسْدٌ تُحامي عن فرائسها
إما عقرت وإما كُنت معقورا
ومن قوله ایضاً :

لاي حبيب یحسن الرأي والود
واكثرُ هذا الناس ليس له عهد
ومنها :

وما هذه الدنيا لنا بمطیعة
وليس لخلق من مداراتها بُدٌ
تحوز المعالي والعبیدُ لعاجزٍ
وينخدم فیها نفسه البطلُ الفردُ
وقد جمع خطب جده الإمام علی بن ابي طالب فی كتابه
المشهور « نهج البلاغة » غیر مدقق فی صحة رواية بعض خطبه.

وله ديوان شعرٍ مرتب على الحروف الابدئية ، وكتاب « انشراح الصدر في مختارات من الشعر » .

الشعر في الاندلس

نظم شعراء هذا القطر في كل الاغراض التي كان ينظم فيها شعراء الدولة العباسية ، وقد فاقوهم في انواع الوصف ولاسيما مناظر الطبيعة ، ولكنهم قصرُوا في نظم الحكم التي تسير مسير الامثال على طراز شعر ابي تمام والمتنبي .

وساروا في نظمهم على سنن العرب في الجزالة والسهولة ، فلم يَحْمَلُوا اللفظ اكثر مما يطيق من المعاني . وكان الغزل والخمرات والافصاف غاية في الرقة ، والخيال الشعري مادة معانيهم . واشتهروا بفن هو الموشح الذي استحسنته الآداب العربية ، وعبر الشعراء ينظمونه . ولعل شهرته قامت على سهولته وعدم التقيد بالوزن والاعراب احياناً . وهو خلو من التحليل النفسي ، كقول ابن زمرك يهني ، السلطان ابن الاحمر :

قَدْ اَنْعَمَ اللهُ بِالشِّفَاءِ واستكملت راحة الامام
فَلْتَنْطِقِ الطَّيْرُ بِالْهَمَاءِ وليضحك الزَّهْرُ فِي الْكِامِ

ولا بدّ لنا من ان نعرفه اليك ، فهو من ! اختراع اهل
الاندلس ، وقد هذّبه القاضي ابن سناء الملك ؛ وله اوزان كثيرة ،
فهو يوافق تارة اوزان الشعر وتارة يخالفها . وسَمِّي موشحاً لأنَّ
خرجاته واعضانه كالوشاح له ، وقد تَفَنَّن فيه المولدون على طرقٍ
مختلفة . وإليك مثلاً منه . قال ابراهيم بن مسهل الاندلسي :

اللازمة

هَلْ دَرَى ظِيُّ الحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى
قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهْ عَنْ مَكْنَسِ
فَهُوَ فِي حَالٍ خَفُوقٍ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

دور

يَا بَدُورًا أَشْرَقْتَ يَوْمَ النُّوَى
غُرَّرًا تَسْلُكُ فِي نَهْجِ الْغُرَى
مَا لِقَلْبِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى
مِنْكُمْ الْحَسَنُ وَمَنْ عَيْنِي الْبَصَرُ
أَجْتَنِي اللَّذَاتِ مَكَاوِمَ الْجَوَى
وَالْتَدَاوِي مِنْ حَبِيبِي بِالنَّظَرِ
كَلَّمَا أَشْكُوهُ وَجَدًا بِسَمَا
كَالرُّبِّي بِالْعَارِضِ الْمُنْبَجِسِ

اذ يُقيم القطرُ فيها مأتماً

وهي من بهجتها في عرس

واغراض الموشحات تختلف اختلاف القصائد العادية ، من غزل ونسيب ، وفراق ومدح ورثاء ، وهجو وفخر وزهد . فليس لها من حيث المعنى موضوع خاص بها ، وتشارك كلها في شيء واحد ، ما عرفته القصائد العربية القديمة ، من وصف الطبيعة والتفنن في ذكر مظاهرها الجميلة بكل نواحيها .

المعتمد بن عباد (٤٣١ هـ — ٤٨٨ هـ)

هو ابو القاسم المعتمد بن عباد قاضي اشبيلية وصاحبها . ولد في باجة سنة ٤٣١ هـ ، ومات في اغمات سنة ٤٨٨ هـ . قيل إن الادفنس صاحب طليطلة سار اليه طامعاً في الاستيلاء على بلاده ، فاستنجد ابن عباد ، صاحب مراكش يوسف ابن تاشفين . فلبي طلبه وأنجده ، وانتصر على الادفنس ، ورجع الى المغرب . غير ان ما شاهد من غنى الاندلس ، أطمعه بها ، فسار اليها متأهباً لفتحها . وحاصر اشبيلية وفتحها ، وقبض على المعتمد وحمله مصفداً بالحديد الى مدينة اغمات ، واعتقله فيها ، وبقي هناك حتى مماته .

قيل انه كان اندى ملوك الاندلس راحة ، وارجبهم ساحة ،

واعظمهم ثماداً ، وارفعهم عماداً . كان ملقى الرحال ، يقصده الشعراء متزاحمين في بابيه .

وقد وصف شعره ابن بسام في الذخيرة ، قال : « لابن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر . لو صار مثله مَن جعل الشعر صناعة واتخذ به بضاعه ، لكان رائقاً معجباً وناдрاً مستغرباً » فمن قوله :

أَكثَرْتَ هَجْرَكَ غَيْرَ أَنَّكَ ، دُبْمَا

عَظَفْتِكَ أحياناً عليَّ أمورُ

فَكأنَّمَا زَمَنُ التَّهَاجُرِ بَيْنَنَا

لَيْلٌ وَسَاعَاتُ الْوَصَالِ بِدَوْرٍ ^(١)

ومما يستجد له ، قوله وهو يودّع حظاياهُ وقد رافقهنَّ من

أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى افْتِرَارِ وَجْهِ الْفَجْرِ :

سَايَرْتُهُمْ وَاللَّيْلُ أَغْفَلَ ثَوْبَهُ

حَتَّى تَبَدَّى لِلنَّوَاطِرِ مُعَلِّمًا ^(٢)

فَوَقَفْتُ ثُمَّ مَوْدِعًا وَتَسَلَّمْتُ

مَنِي يَدُ الْإِصْبَاحِ تِلْكَ الْإِنْجَمَا

وفي المعنى نفسه يقول :

(٢) الوصال : القرب . (٢) تبدَّى : ظهر .

ولما وقفنا للوداع عُذِيَّةُ

وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ الصَّقْرِ رَايَاتُ
بَكَيْنَا دَمًا حَتَّى كَأَنَّ عُيُونَنَا
لَتَجْرِي الدَّمْعَ الحَمْرَ مِنْهَا جِرَاحَاتُ

ومن شعره قوله :

لولا عيونٌ مِنَ الواشينَ تَرْمُقُنِي
وما أُحَاذِرُهُ مِنْ قَوْلِ حُرَّاسِ
لَزَرْتُكُمْ لَا أَكْفِيكُمْ بِجَفَوَتِكُمْ

مَشْيًا عَلَى الْوَجْهِ أَوْ سَعِيًّا عَلَى الرَّاسِ

وإليك ما كتبه الى ندمائه من قصره بقرطبة ، وقد

اصطبَحُوا بِالزَّهْرَاءِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِغْتِبَاقِ عِنْدَهُ :

حَسَدَ الْقَصْرِ فِيكُمْ الزَّهْرَاءُ وَلَعَمْرِي وَعَمْرُكُمْ مَا أَسَاءَ
قَدْ طَلَعْتُمْ بِهَا شَمُوسًا نَهَارًا فَأَطْلَعُوا عِنْدَنَا بِدُورًا مَسَاءً

وقرطبة والزهراء من الامكنة العربية المشهورة في

الاندلس ، وفيها يقول احدُ ادباء الاندلس :

بَارِبِعِ فَاقَتِ الْأَمْصَارَ قَرْطَبَةُ مِنْهُمْ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا
هَذَانِ ثَنَتَانِ وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ وَالْعِلْمُ اعْظَمُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وله شعر لطيف ، مؤثر ، يدل على روح متألمة ، ولاسيما

عندما كان مسجوناً في اغمات ، وقد رأى بذاته يشتغلن بغزل
الصوف ، فجاشت به عاطفة الشعر ، فجرت على لسانه لحناً
فيه ألم وفيه حزن ، يشعرا بمن كان في عزٍّ ومجدٍ وصار الى
بؤسٍ وشقاء .

الثقافة العلمية

وصلت الثقافة العلمية في هذا العصر الى شيء من النضوج ،
فوضعت المعاجم ، وبلغ الفكر العربي الأوج الذي هدف اليه .
فانتشرت الكتب الفلسفية والقصص الهندية والفارسية والروايات
الخيالية ، وتجرّد العلماء للنقد ، واستقرّت العلوم الطبية والطبيعية
على حالٍ ارتضاها البعثة المشتغلون بها ، وانشئت المكاتب في
حواضر البلاد وبيوت الخلفاء والوزراء والعلماء ، وكثيراً ما كان
الاغنياء يقتنون الكتب تجملاً او مفاخرة ، فتيسّر لطلاب العلم
ان يطالعوا ويستفيدوا منها .

العلوم اللسانية

اللغة

كان اول ما عمد اليه علماء اللغة في هذا العصر على ضبط الفاظ اللغة وتدوينها وشرح معانيها ، فكانت المعاجم الكبرى التي رُتبت على حسب الحروف او المعاني وقد مرّ بنا ان اقدم هذه المعاجم هو كتاب « العين » للخليل ، ثم « الجهرة » لابن دريد ، وقد وضعنا في العصر العباسي الاول .

امّا اشهر الذين اشتغلوا في تدوين الفاظ اللغة في هذا العصر فهم : الازهري ، وله كتاب « التهذيب » ، رتبه على مخارج الحروف ؛ الصاحب ابن عباد ، وله كتاب « المحيط » ، رتبه على الحروف الابدادية سنة ٣٨٥ هـ ؛ الرازي ، وله كتاب « المجمل » شرح فيه الألفاظ الهامة ؛ الجوهري ، وله كتاب « الصحاح » ، رتبه على اواخر الكلم ؛ الزنجشيري ، وله كتاب « اساس البلاغة » ؛ التبانّي ، وله كتاب « المواعظ » .

وامّا في الاندلس ، فقد تجرّد علماء اللغة هنالك ، فوضعوا كتباً ، منها ما يأتي :

« المحكم » على ترتيب كتاب العين ، و « المختص » وهو مرتب على المعاني وكلاهما لابن سيده .

الادب

تمّ نضوج الادب في هذا العصر، واستقلّ عن غيره من العلوم، فتعددت مواضيعه، وشرع الادباء ينقدون الشعر والاخبار والروايات والمناظرات والمعلقات واقوال الجاهلية، فاشتهر منهم غير واحد، ونكتفي بذكر واحد، هو :

ابو الفرج الاصبهاني (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ)

هو علي بن الحسين، ويكنى ابا الفرج، ولقب بالاصبهاني لانه ولد في اصبهان، وهو عربي اموي، يتصل نسبه بمروان بن الحكم، وكان متشيعاً. نشأ في بغداد، وهو عين من عيون ادبائها وأفراد مصنفاتها. روى عن كثيرين، وطالع ما اتصل به من الكتب، فكان يحفظ ما فيها، ويستوعب معانيها من شعر وأغانٍ وأخبار وآثار وأحاديث وأنساب بأسانيدها وأسماء قائلها ورواتها، فضلاً عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة، الى غير ذلك. وقد انقطع الى الوزير المهلب، وكان يلقي سواه من ملوك ذلك العصر وامرائه، فيعرفون فضله ويحيزونه. ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان، بل تدبّر تلك المعارف، وأخرج منها

كتباً نافعة ، أشهرها كتاب « الأغاني » وعليه قامت شهرته .
كتاب الاغاني : وقع الاتفاق على انه لم يعمل مثله في بابيه ،
وقد اشتغل في جمعه وتأليفه مدة خمسين سنة ، وبلغ خبره الحكم
ابن الناصر صاحب قرطبة . فسأله ان يرسله اليه قبل اخراجه لبني
العباس ، وبذل له على ذلك الف دينار . ولما تم تأليفه ، حمله الى
سيف الدولة بن حمدان فأعطاه الف دينار واعتذر اليه . ولم يبق
احد من امراء ذلك العصر الا اقتناه ليستغني به عن سواه .
وقيل ان صاحب بن عباد كان ، اذا سافر ، حمل كتبه على
عشرات من الجمال ، فلما اقتنى كتاب الأغاني استغنى به عنها .
وهو اجزاء كثيرة وصلنا منه واحد وعشرون جزءاً .

قيمة هذا الكتاب : ١ — قيمة تاريخية ، فيه تراجم
الشعراء والملحنين ، وضبط نوع غنائهم ، ووصف محيطهم ، وذكر
اخبارهم ، وملح اشعارهم ، ومعلومات ادبية وجغرافية وفنية ،
وعرض روايات متعددة للحادث الواحد .

٢ — قيمة فنية بالاسلوب الادبي ، وهو اسلوب قصصي
موجز ، مما يدل على ان منشئه كان ماهراً بصيراً بمواقع اللفظ في
الحوار والسرد ، عارفاً مفعول الجمل الاعتراضية ، واقفاً على تأثير
مواقع الفصل والوصل ، وقد وسمه بسمته الخاصة ففاضت جملته
على متانتها وفخامتها بالرشاقة والحياة .

علوم البلاغة

بعد ان وضعت المعاجم ، هبّ العلماء يبحثون في بلاغة
الالفاظ العربيّة ومعانيها ، فتكوّنت علوم البلاغة ، وهي :
المعاني والبيان والبديع . واول من تكلم عن البيان هو ابو عبيدة
في كتابه « مجاز القرآن » ، وقد ألمّ ببعض اغراض علم المعاني
الجاحظ في كتابه « اعجاز القرآن » . واول من وضع قواعد
لهذين الفنين واطال البحث فيهما ، هو عبد القاهر الجرجاني ، وعلى
آثره قام السكاكي فميز بين المعاني والبيان ، وجعلهما علمين
مستقلين . واول من بحث علم البديع عبد الله بن المعتز ، فوقع له
منه سبعة عشر نوعاً . ومشى الادباء يبحثون الشعر والنثر الفني ،
فزادوا انواع البديع حتى بلغت ، في كتاب « خزانة الادب »
لابن حجة الحموي ، نحو مئة وأربعين نوعاً .

العلوم الدينيّة

ثبتت قواعد الدين الاسلامي ، في العصر العباسي الاول ،
على ايدي الأئمة الاربعة ، وقام فقهاء هذا العصر يلخصون
المذاهب ويشرحونها ، ولضعف ملكة اللغة ، اخذ المفسّرون

يفسّرون آي القرآن ، مشيرين الى بلاغة الفاظها .

وبانتشار الفلسفة اليونانية وغيرها من العلوم ، وانعكاف
نفر من المسلمين على العبادة ، والانقطاع الى عبادة الله ، والزهد
في متاع الدنيا ، نشأ فروع للعلوم الدينية ، أشهرها :

علم الكلام ، وقد نتج عن اختلاف بين المسلمين في العصر
العبّاسي الأوّل . سببه : هل يجوز وصف الاله بالتشبيه بالانسان ،
ام يجب وصفه بالتزويه المطلق ، من غير تأويل . وأشهر اولئك
المتكلمين ابو الحسن الاشعري .

التصوّف : ويتلخص بالعبادة والزهد ، ووصف قواعده
واسراره ، والترغيب في اتباعه .

الفرائض : وهو علم توزيع الموارث على ضوء الشرع
بحسابات وقوانين معينة .

وقد تفرّعت هذه العلوم عن الفقه ، وصار لها كتب خاصة .

العلوم التاريخية

قلنا ان علم التاريخ تكوّن في عصر صدر الاسلام ، إثر
الفتوحات . وزاد في العصر العبّاسي الأوّل ، وتمّ نضوجه في
العصر العبّاسي الثاني . وشرع المؤرخون يرتبون تواريتهم

ويؤوبونها : فمنهم من جرى على سنة ابن جرير الطبري ، فرتب
الحوادث على حسب السنين ؛ ومنهم من اتخذ لنفسه طريقة
خاصة به ، فرتب الحوادث باعتبار الامم والدول .

وابتدأ التاريخ يصطبغ بصبغة علمية تقريباً ، غير ان اربابه
لم يسلكوا فيه سبيل التجريح والتعديل والنقد الشديد وتحري
الحقائق ، وذلك لتأثير الحاكمين ؛ ولم يعنوا باستخراج اسباب
الحوادث من احوال الامة الاجتماعية والادبية ، ولكنهم اخذوا
بظواهرها . وهاك واحداً ممن اشتهر بالتاريخ :

المسعودي (+ سنة ٣٤٦ هـ)

هو علي بن الحسين بن علي ، ويعرف بالمسعودي . نشأ في
بغداد وقدم مصر ، ورحل في طلب العلم الى اقصى البلاد ، فطاف
فارس وكرمان سنة ٣٠٩ هـ حتى استقر في اسطخر . وفي السنة
التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ، ثم عطف على كنباية
فصيمور فسرنديب (جزيرة سيلان) ومن هناك ركب البحر
الى بلاد الصين ، وطاف البحر الهندي الى مدغسكر ، وعاد
الى عُمان .

ورحل رحلة اخرى سنة ٣١٤ هـ الى ما وراء اذربيجان
وجرجان ، ثم الى الشام وفلسطين .

وفي السنة ٣٣٢ هـ جاء الى انطاكية والشغور اللبنانية
والشامية الى دمشق ، واستقرّ اخيراً بمصر ، ونزل الفسطاط
سنة ٣٤٥ هـ ، وتوفي سنة ٣٤٦ هـ . وما فتر ، في اثناء سفره ، عن
الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضعها ،
فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه احد ،
وألف كثيراً من الكتب في مواضيع مختلفة ، أهمها في التاريخ ،
وأشهرها : كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، طبع في
جزئين : في الجزء الأول ، وصف الخليقة وقصص الانبياء باختصار ،
ثم تقدّم الى وصف البحار والارضين وما فيها من العجائب .
ويدخل في ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسرّيان واليونان
والرومان والفرنجية والعرب القدماء واديانهم وعاداتهم ومذاهبهم
والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ
الرسالة الاسلامية ، من ظهور النبي الى مقتل عثمان بن عفّان
الخليفة الثالث من الراشدين . — وذكر في الجزء الثاني تاريخ
الاسلام من خلافة عليّ الى أيام المطيع العباسي المتوفى سنة ٣٦٣ .
وفي الجزئين فوائد كثيرة لا نجدها في غيرهما .

العلوم الجغرافية والعلوم الدخيلة

بسبب الرحلات التي قام بها كثير من رجال هذا العصر ،
كابن حوقل والاسطخري والادريسي وياقوت الحموي ، زادت
الاكتشافات والمواد الجغرافية ، وكثر رسم الخرائط ، وعيّنت
فيها مواقع البلدان والمدن بالدرجات الجغرافية ، وانفصل علم
الجغرافية عن التاريخ .

وامّا العلوم الفلسفية بفروعها الاربعة ، المنطق والالهيات
والطب والرياضيات ، فقد نضجت ، وكثر فيها التدوين والتأليف .
واتخذ بعض علماء المعتزلة العلوم العقلية سلاحاً يحاربون به مبادئ
اهل السنة . فنشبت الخلاف بين الفريقين ، وصارت الفلسفة
مرادفة للزندقة ، فتألفت « جمعية اخوان الصفاء » ، وأخذت تنشر
آراءها في رسائل ضمنتها خلاصة الفكر العربي المعبر عنه بالفلسفة
العربية . وأشهر الفلاسفة الفارابي وابن سينا والغزالي في المشرق ؛
كما انه اشتهر في الاندلس ابن رشد ، وابن باجه وابن طفيل .

عصر الانحطاط

لن نتبسط في بحث هذا العصر ، وقد صارت اللغة فيه الى الاسفاف ، بعد ذهاب جلال الخلافة واعتوارها الارزاء على يد العمال من الترك والفرس .

وفي سنة ٦٥٦ هـ قوّض عرشها « هولاكو » التتري ، اذ دخل بغداد وأحرق مكاتبها . وكذلك تضعضع امر الامويين في الاندلس ، ودالت دولة الفاطميين في مصر والشام ، وقام الايوبيون ثمّ المماليك ، ثمّ الاتراك العثمانيون سنة ٩٢٣ هـ . وفي هذا العصر ، كثر الجمع والشرح والتلخيص ، وهذبوا التاريخ ووضعوا فلسفته ، وأقاموا للشعر وزناً ، على قلة العارفين بفضله والمستمعين الى اهله ونظروا في تحريّ الألفاظ العربيّة العريقة ، كابن منظور صاحب لسان العرب ، والفيروزبادي صاحب القاموس . وفي التاريخ ابن خلدون منشىء المقدمة المعروفة باسمه ، والقلقشندي جامع « صبح الاعشى » . ومن الشعراء الشاب الظريف ، وصفي الدين الحلي ، وابن الوردي ، وغيرهم .

وكان الكتاب ينحون في هذا العصر منحنى القاضي الفاضل فيكثرون السجعات الباردة ويطيّلون الفقر ملتزمين المحسنات البديعيّة ، وانصرفوا عن المعاني الى زخرف الكلام والتكلف في

النثر مع اسلوب مملّ ضعيف .

وزادت اللغة ضعفاً وسقماً بانتشار اللغة التركية ، لغة الفاتحين في مصر وسوريا ولبنان ، وتسربت للعربية الألفاظ الدخيلة والعامية ، وفسدت الكتابة إعراباً وأسلوباً ، وظلت على هذه الحال حتى مطلع القرن التاسع عشر .

واماً الشعر فقد قلّ الراغبون فيه ، واصبح صناعة يراد به التفكّهة وصرف اوقات الفراغ ، وتداوله العامة وأصحاب المهن المختلفة . فصار الى الركافة ، ولكنه بقي ارقى من النثر لتقيده بالوزن والقافية ، وكثرة المحسنات اللفظية ، وزاد التشطير والتخميس والاكثر من استعمال التورية ، كقول جمال الدين بن نباتة المصري :

بروحي جيرة بثّوا دموعي وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كأنّا للمجاورة اقتسمنا فقلبي جارهم والدمع جاري
واكتفوا بتقليد الاقدمين في معانيهم وأساليبهم ، مع قلة الابتكار . وإليك واحداً ممّن يمثل هذا العصر :

ابن الوردي (٦٩١ هـ - ٧٤٩ هـ)

هو القاضي عمر بن مظفر بن عمر بن محمد الملقب بزين الدين ، فقيه وشاعر اديب . وُلد في معرّة النعمان ، سنة ٦٩١ هـ ، وتجوّل

في مدن سوريا الزاهرة ، يطلب العلم . فدرس الفقه في حماة على القاضي هبة الله بن البارزي ، وتقلد القضاء في حلب ، ثم استقال ، متأثراً من منام جاءه ليلاً ، فانصرف الى الكتابة والنظم حتى توفي بالطاعون سنة ٧٤٩ هـ في مدينة حلب .

ترك ديواناً شعرياً طبع في القسطنطينية سنة ١٨٨٢ ، ومنظومات علمية ودينية . وقد اتم تاريخ ابي الفداء وأسماء « تمة المختصر في اخبار البشر » اوصله الى سنة ٧٤٩ هـ .

شعره : هو كشعراء هذا العصر ، من حيث استعمال المحسنات اللفظية ، يرتفع تارة ويسف مرة اخرى . ويذهب في نظمه مذهب الحكيم الناصح ، فيكثر من استعمال النصائح والحكم . وإليك ما قاله من قصيدة يحض بها على اقتباس العلم والعمل به :

كُنْ عالماً في الناس ، او متعلماً

أو سامعاً ، فالعلم ثوب فخار^(١)

من كل فن خذ ، ولا تجهل به فالحر مطلع على الاسرار
وإذا فهمت الفقه ، عشت مصدراً

في العالمين ، معظم المقدار^(٢)

(١) فخار : فخر . (٢) الفقه : علم الدين او المعرفة بالاحكام الشرعية ،

الملاحية . مصدراً : اي تجلس في صدر المجلس . الشأن المقام .

قِيمُ الوری ما يُحَسِّنُونَ ، وزینہم

مُلَحُّ الفُنُونِ وَرِقَّةُ الاشعارِ (١)

فَاعْمَلْ بِمَا عُلِّمْتَ ، فَالْعِلْمَاءُ إِنْ لَمْ يَعْمَلُوا ، شَجَرٌ بِلا أَثْمَارٍ

فانت ترى ، من الابیات المتقدِّمة ، الروح التي كانت تسود
عند الادباء والشعراء في هذا العصر ؛ وتحس ، وانت تقرأ ما
عرضناه عليك ، ان ليس للخیال نصيب . ولكي تزيد معرفتہ ،
لا بد لنا من عرض مثالٍ آخر ، وليكن من اللامية المشهورة ،
ومطلعها :

إِعْتَزَلْ ذِكْرِي الْأَغَانِي وَالْغَزَلَ وَقُلِ الْفَصْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
وَدَعِ الذِّكْرِي لِأَيَّامِ الصِّبَا فَلَأَيَّامِ الصِّبَا نَجْمٌ أَفْلَ
وَأَتْرِكِ الْغَادَةَ لَا تَخْفَلْ بِهَا تُنْسِ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتُجَلْ
وافتكر في مُنتَهَى حُسْنِ الَّذِي أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَّ

والقصيدة كلها على هذا النمط ، فينتهي عن معاقرة الخمر ،
ويحضُّ على تقوى الله ، مذكراً بالموت ؛ ويعرض أمامنا صوراً
عمن تقدَّم من الملوك والجبابة ، واهل العلم والحجى ، ويقول :

أَيْ بُنَيَّ أَسْمَعْ وَصَايَا جَمَعْتَ حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ
أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ ، فَا أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ

ومنها :

في ازدياد العلم إرغامُ العدى وجمالُ العلم إصلاحُ العملِ
جملُ المنطقِ بالنحوِ فمنَّ يُجرّمُ الإعرابَ بالنطقِ أختبلُ
وفيها يحضُّ على نظم الشعرِ واتباع مذهبه ، لأنَّ الشعرَ

كما يقول :

فهو عُنوانٌ على الفضلِ ، وما أحسنَ الشعرَ إذا لم يُبتذلِ
ملكُ كسرى عنه تغني كسرةً وعن البحرِ اجتزاءً بالوشلِ
إطرح الدنيا فمن عادتها تحقِّضُ ألعالي وتُعلي من سفلِ

والقصيدة كلها من هذا القبيل ، ليست فيها وحدة تامة
لموضوع واحد ، بل هي مواضع مختلفة ، نظمها ابن الوردي
كمطة يقدم فيها النصائح ، وفيها قسم كبير من الابيات جرت
بجري الامثال ، تهيمن عليها فكرة فلسفية ، وفي خاتمتها يقول :

لا يَضُرُّ الفضلَ إقلالٌ كما لا يَضُرُّ الشمسَ إطباقُ الطفلِ

خذ بنصل السيف وأترك غمده وأعتبر فضلَ الفتى دون الحللِ

وهو يرى ان التعلق بالوطن عجز فيوصي بالاغتراب لمن لم
يرَ عملاً في وطنه فيقول :

حُبُّكَ الْاَوْطَانَ عَجْزٌ ظَاهِرٌ فَاغْتَرِبْ تَلَقَّ عَنْ الْأَهْلِ بَدَلٌ
فَمِمَّنْكَ الْمَاءُ يَبْقَى آسَنًا وَسُرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلُ
غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَى الْأَجَلُ
وَاجِبٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ وَقَلِيلُ الْمَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلُّ
كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غَمْرٌ وَانَا مِنْهُمْ فَأَتْرَكَ تَفَاصِيلَ الْجَمَلِ
وَتَكَادُ تَكُونُ قِصَائِدُهُ مَوْحِدَةُ الْمَوْضُوعِ اِنْ نَحْنُ اَخْرَجْنَا
مِنْهَا بَعْضَ قِصَائِدِ الْمَدْحِ وَالرَّثَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَنَكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ
لَا لِإِطَالَةِ لَيْسَتْ مِنْ غَايَةِ هَذَا الْكِتَابِ .

الثقافة العلمية والعلوم التاريخية

عرضنا عليك في بدء هذا العصر ملاحظاً للحياة العقلية ،
ونحن نزيدك فنقول : ان القرائح خمدت ، وقلَّ الابتكار والتوليد
وأقبل العلماء على جمع المجاميع وشرح المتون وتلخيص تأليف
المتقدمين . واما علم التاريخ فقد ازدهر في أوائل هذا العصر ،
وعمد المؤرخون الى اقتضاب الكتب التاريخية . واليك ترجمة
اثنين ممن يمثلان العصر :

الفزويني († سنة ٦٨٢ هـ)

هو زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، يرجع بنسبه الى أنس

ابن مالك الإمام المشهور. وُلد في قزوين، في أوائل القرن السابع،
ورحل إلى دمشق وهو شاب، وتعرّف إلى ابن القري، وتولّى
قضاء واسط والحلة في زمن المستعصم العباسي. فسقطت بغداد في
حوزة المغول، وهو في ذلك المنصب. وقد خلف مؤلفات،
أهمها: عجائب المخلوقات، في الفلك والجغرافية الطبيعية عند
العرب، وهو من أوفى الكتب العربية في هذا الموضوع، قسم
فيه المخلوقات إلى العلويات والسفليات. ويعني بالعلويات السماء وما
فيها وهو علم الفلك، فوصف الكواكب والأبراج وحركاتها
وما ترتب على ذلك من فصول السنة والشهور والأيام، على ما
هو معروف في عصره.

والسفليات، أراد بها الأرض وما عليها، وهو من قبيل
التاريخ الطبيعي، أو الجغرافية الطبيعية، فذكر أصل الأرض
وطبيعتها، وكرة الهواء، وأصول الرياح وأنواعها، وكرة الماء
وما فيها من البحور والجزر والحيوانات العجيبة، ثم كرة الأرض
يعني اليابس وما عليها من جماد ونبات وحيوان، ورتب كلّاً من
الحيوانات والنباتات على حروف المعجم، كما فعل الدميري في علم
الحيوان. وله كتاب «آثار البلاد وأخبار العباد»، في التاريخ.

ابن بطوطه († سنة ٧٧٩ هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الطنجي، المعروف

بابن بطوطه ، وهو اشهر من اكثر من الرحلات في هذا العصر .
 ولد في طنجة ، سنة ٧٠٣ هـ ، وخرج من بلده سنة ٧٢٥ هـ
 قاصداً الحج ، ثم شرع في الرحلة ، فبدأ بالحرمين ، فالشام ، فالعراق
 ففارس (بلاد العجم) ، فما بين النهرين ، فآسيا الصغرى «الاناضول»
 الى قبحاق ، فجنوب روسيا ، والاستانة «القسطنطينية» . ثم
 رجع الى آسيا الصغرى ، ومنها رحل الى بخارا فافغانستان ، ومنها
 الى دهلي . فاقام هناك سنتين قاضياً ، وأنفذه السلطان «تغلق»
 في بعثة الى الصين ، فوصل الى ملدافيا ، وأقام فيها سنة ونصف
 سنة . ثم رحل الى سيلان والصين ، وعاد الى بلده سنة ٧٥٠ هـ .
 وفي السنة التالية رحل الى غرناطة في اسبانيا ، ثم الى السودان
 سنة ٧٥٢ هـ ، فدخل ملي وتبكتو . وتوفي سنة ٧٧٩ هـ في
 مراکش . وقد دوّن اسفاره هذه في رحلة سماها «تحفة النظائر في
 غرائب الامصار وعجائب الاسفار» وتعرف «برحلة ابن بطوطه» .
 وقد اهتم الفرنجة بهذه الرحلة كثيراً ، من قبيل اهتمامهم بالشرق
 والسفر اليه عند اول نهضتهم ، فعملوا عليها ، وانتقدوها ،
 وعلقوا عليها بعض التعاليق وترجموها .



النقد البياني

إن أقدم من تصدّى لهذا الموضوع ابن قتيبة ، المتوفى سنة ٢٦٧ هـ ، في كتاب « ادب الكاتب » . وبه اقتدى من جاء بعده ، كالخوارزمي والشمالي والعسكري والآمدي والماوردي . واقتصر نقدهم على الانشاء عرضاً ، وأفرد بعضهم كتاباً في انتقاد الألفاظ الشائعة على اقلام الكتّاب ، او ما يشوب انشاءهم من الركائكة والخطا . وقد يعرضون لذلك في كلامهم عن بلاغة القرآن ، كما فعل القاضي ابو بكر الباقلاني ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ، في كتابه « اعجاز القرآن » فقد اتى بفوائد انتقادية هامة عن الانشاء والبلاغة ، وكان مشهوراً بجودة الاستنباط ، وهو من كبار علماء الكلام .

اما نقد الانشاء من حيث هو فنّ ذو قواعد ، فقد تصدّى له الجرجاني في كتابه « أسرار البلاغة في علم البيان » ، وهو واضع اساس هذا العلم في العربية على قواعد راسخة . ومما حمّله على وضع كتابه هذا قوله : انه رأى فساد ملكة الانشاء ، وانصراف الكتّاب عن المعاني الى الألفاظ ، فوضع كتابه المشار اليه في البلاغة ، وتوسّع فيه من جاء بعده من أئمة اللغة وارباب البلاغة ، كالسكاكي ، حتى صار الانشاء علماً بأصول يبحث فيه عن

المنثور ، بلاغةً وفصاحة ، ويشتمل على الآداب المعتبرة من العبارات المستحسنة .

وموضوع علم البيان ، كما عرفه اصحابه ، هو : « إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المقصود . وموضوعه : الفاظ العرب من حيث وضوح دلالتها على المعنى المراد » . ومن الكتب الوافية في هذا العلم « المثل السائر » لضياء الدين بن الاثير الجزري . وممن انتقد الالفاظ ومعانيها ، وألف في لحن العامة ابو عبيدة ، والسجستاني ، والمفضل بن سلامة ، والزبيدي ، وابو هلال العسكري ، والحري ، وغيرهم .

الانبعاث او العصر الحديث

من سنة ١٧٩٨

دبَّت الحياة في العقول ، وتنسّمت النفوس يقظةً سرت من مصر الى لبنان وسوريا بعثتهما حملة « نابليون بونابرت » على مصر . ولما رجع نابليون عن مصر لأسبابٍ سياسيّة ، قام محمد علي ، وهو ضابط ارسلته الدولة العثمانية لاجراج الفرنسيين من مصر . وكان رجلاً ، رغم اميئته ، شديد الذكاء ، راجح العقل ، عرف كيف يفرّق بين رؤساء المماليك ، ويجمع حوله كبار المصريين

وعلماءهم . فطلبوا تعيينه حاكماً ، فعينه الدولة العثمانية حاكماً على مصر . فأنشأ جيشاً منظماً وأسطولاً بحرياً ، وبعث نهضة سياسية كبرى ، اتصلت بالامير بشير الشهابي الكبير في لبنان .

وكان للبنان نصيب وافر من النهضة الادبية بسبب الارساليات الاجنبية التي فتحت مدارسها في انحاء لبنان ، فتهافت عليها ابناؤه يشتارون اطايب المعرفة ، وتسربت الحضارة الاوربية اليه . فنشط كثيرون الى طلب العلم ، وتيسر طلبه بسبب انتشار الطباعة في مصر وسوريا ولبنان ، وانتشرت المدارس الاجنبية والوطنية ، وأنشئت المكاتب الكبرى في المدن والاديرة ، ونمت الصحافة ، وانتشرت المجلات العلمية والادبية ، وتأسست اندية عمومية لتمثيل الروايات في اللغة العربية . ويرجع الفضل في احداث هذا الفن الى مارون نقاش سنة ١٨٤٨ .

مارون نقاش (١٨١٧ - ١٨٥٥)

وُلد في صيدا ، سنة ١٨١٧ ، وتعلّم في بيروت ، وعيّن كاتباً في مكس « جرك » بيروت ، ثمّ تجوّل في مصر واوروبا ، ومال الى فنّ التمثيل ، فترجم روايات كثيرة واهتم بتمثيلها . فهو اوّل من مهد السبيل لفن التمثيل العربي في لبنان . وسافر الى طرطوس

بقصد المتاجرة ، حيث تُوفي سنة ١٨٥٥ .

وله كتاب اسمه « ارزة لبنان » ، فيه رواياته : منها البخيل ،
والחסود ، وغيرهما ، جرى في جميعها على منوال روايات مولانا
الفرنسي .

النثر في هذا العصر

عبر الكتاب في أوائل هذا العصر يقلّدون طريقة « القاضي
الفاضل » ، فيلتزمون السجع ، ويتكلّفون المحسنات البديعية .
وانصرفوا الى اللفظ دون المعنى ، فجاءت كتابتهم ركيكة ،
غامضة المعاني ، كثيرة الألفاظ العامية والأجنبية .

ولما انتشرت المطابع ، وشرعت في إصدار الكتب الادبية
والعلمية في اواسط القرن التاسع عشر ، تهافت الادباء على
قراءتها ، وأخذوا ينسجون على منوالها . فأطالوا الجمل ، متبعين
طريقة الجاحظ ، وأخذوا بنصيب من ادب الفرنجة . فمالوا الى
الاسلوب المتين ، وتنكبوا السجع والبديع ، ألا ما جاء منها
عفو الخاطر ، ونظروا الى المعاني دون اللفظ ، فنهضت اللغة بعد
سبات طويل ، تبشّر بالرقى المتواصل .

وتجرّد الكتّاب الى المراسلات ، والتهنئة ، والتعزية ،
والعتاب ، والاعتذار ، والمودة ، وكتابة المقامات ، والنقد
الادبي ، وتحليل الاشخاص ، وتفصيل المواضيع ، ووصف
مناظر الطبيعة ، ونشر مقالات اجتماعية اصلاحية ، ووضع
روايات تمثيلية ، مستعينين بالترجمة في اكثر الاحيان .
وظهرت الخطابة ، وتأسست الاندية والجمعيات ، وقامت في
لبنان ومصر نهضة مباركة قوامها نخبة طيبة ، نقتصر على ذكر
بعض منها :

ناصر البازمي (١٨٠٠ - ١٨٧١)

ركن من اركان النهضة اللغوية في لبنان . وُلد في كفرشيا
(لبنان) سنة ١٨٠٠ م ، وتوفي ببيروت سنة ١٨٧١ .
كان والده عبدالله أديباً ، فنشأ ناصيف على الميل الى الادب
والشعر ، وأقبل على الدرس والمطالعة بنفسه ، وتصفّح ما وصلت
اليه يداه من كتب النحو واللغة ودواوين الشعر . قيل انه نظم
الشعر وهو ابن عشر سنوات .

ولقّة الكتب المطبوعة في ايام نشأته ، كان ينسخ بعضها ،
ويكتفي بمطالعة البعض الآخر ، فيحفظ زبدتها . ولما بلغ اشدّه
اتصل بالامير بشير الشهابي ، فعينه كاتباً خاصاً له ، ولبث في

خدمته اثنتي عشرة سنة . ثم انتقل الى بيروت سنة ١٨٤٠ م ،
واشتغل فيها بالمطالعة والتأليف والتدريس ، ونظم الشعر ومراسلة
الادباء ، الى آخر ايام حياته . وتخرج على يده عشرات من كتّاب
العصر وشعرائه المعدودين .

ويمتاز شعره بالسلاسة والانسجام ، وحسن تخيّر الالفاظ
والتراكيب ، وتوفّر المعاني المبتكرة ، وضرب الامثال . فمن
ذلك قوله في قصيدة .

لَعَمْرَكَ لَيْسَ فَوْقَ الْأَرْضِ بَاقٍ

وَلَا يَمَّا قِضَاهُ اللَّهُ وَاقٍ

ومنها :

اضلُّ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا سَبِيلًا مَحَبُّ بَاتَ مِنْهَا فِي وِثَاقٍ
وَأَحْسَنُ مَا يَضِيعُ الْعُمْرُ فِيهِ فَضُولُ الْمَالِ تَجْمَعُ لِلرِّفَاقِ
وَمِنْ حِكْمِهِ :

لَا تَأْمَلِ الْخَيْرَ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ حَدَثَتْ
فَهُوَ الْحَرِيسُ عَلَى أَثْوَابِهِ الْجُدُ
مَتَى تَرَى الْكَلْبَ فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِ
فَاجْعَلْ لِرِجْلَيْكَ أَطْوَاقًا مِنَ الزَّرْدِ
وله قصيدة يصف بها أحوال دهره ، ويتشكّى من بعض

الذين لا يعرفون قدر انفسهم . قال :

أَمِنْ لُغَةِ الْإَيَّامِ مَا لَا يُتَرْجَمُ

أَمِ الْمَرْءُ فِيهَا جَاهِلٌ لَيْسَ يَعْلَمُ
مَشَاكِلُ أَعْيَا حُلُمَا كُلِّ طَالِبٍ

فِكُلُّ فَصِيحٍ عِنْدَ ذَلِكَ أَعْجَمُ

ومنها أبيات يتشكى بها من أقاربه ، فيقول :

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ كَانَ أُمِّيَ أُمُّهُ

وَلَكِنَّهُ مَنْ فِي مُصَابِي يَقْدُمُ

وَلَيْسَ ابْنُ عَمِّي مَنْ أَتَى مِنْ عَشِيرَتِي

وَلَكِنَّهُ مَنْ أَسْتَغِيثُ فِيرَحِمُ

عَرَفْتُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَحْوَالَهَا ، فَلَمْ

أَكُنْ أَجْهَلُ الدُّنْيَا وَلَمْ أَكُ أَعْلَمُ

ويختم مقدِّماً النصيحَ على سبيل الازدراء بدهره ، فيقول :

إِلَيْكَ ابْنَ أُمِّي عَنْ وَفَائِكَ يَبْنُهُمُ

وَكَُنْ أَنْتَ مُعَوَّجًا فَأَنْتَ الْمُقَدَّمُ

إِذَا شئتَ تجري فالحلاعةُ مَسْلُوكُ

وَإِنْ شئتَ تَرُقِ فَالْدِرَاهِمُ سُلْمُ

وراج شعره كثيراً على ألسنة الناس لسلاسته وسهولته ،

تهيمن عليه قوة ومثانة تجعلانه شديد الشبه بشعر المتنبي الذي
أولع به كثيراً . واليك قصيدة يمدح بها اسعد باشا ، قائد جيش
البلاد العربية :

بناءً أُلُيَ بَيْنَ الْقَنَا وَالْبَوَارِقِ
عَلَى صَهَوَاتِ الْخَيْلِ تَحْتَ الْبِيَارِقِ
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي الْعِبَادِ وَإِنَّمَا
قَلِيلٌ مَحَلُّ السِّرِّ بَيْنَ الْخَلَائِقِ
ومنها :

أَقَامَ السَّرَايَا يُنْفِرُ الْمَوْجُ خَيْلَهَا
بِكُلِّ لَوَاءٍ فَوْقَ لَبْنَانٍ خَافِقِ
يَجَارُ عَلَى وَجْهِ الْبَحَارِ زَوَاخِرُ
جِبَالٍ عَلَى مَتْنِ الْجِبَالِ الشَّوَاهِقِ
في ختامها يقول ، وفيها مبالغة لا تليق ، اذ يجعل ممدوحه في
أعلى ذروة الفضل ، والناس فضلة ، اي يستغنى عنهم ، والفضلة في
الكلام من تعابير النحاة :

لَقَدْ فَتَّ أَهْلَ الْفَضْلِ فَالْقَوْمُ فَضْلَةٌ
وَمَنْ لِي بِوَصْفٍ مِثْلِ فَضْلِكَ فَائِقِ
إِذَا كُنْتَ بَدْعًا فِي الْكِرَامِ كَمَا نَزَى
فَلَيْتَكَ إِنِّي شَاعِرٌ غَيْرُ سَارِقِ

وله في الرثاء قصائد وافرة ، تشف عن ألم ، وهو في كلها
يذهب مذهب المعزي الحكيم ليخفف المصاب . قال يرثي الطبيب
يوسف الجليخ :

نَحْنُ التُّرَابُ إِلَى تَرَابٍ نَرْجِعُ
وَهَنَّاكَ نَحْصُدُ تَحْتَهُ مَا تَزْرَعُ
يا جامعَ الاموالِ طولَ حياتهِ أين الذي بالامسِ كُنَّا نَجْمَعُ
لو كانتِ الدنيا لشخصٍ واحدٍ ما زالَ في طلبِ الزيادةِ يَطْمَعُ
ومنها :

وَالْأَنْسُ عِنْدَكَ وَاللَّطَافَةُ رُبَّمَا
تَشْفِي الْمَرِيضَ بِطِيبِ نَفْسٍ تَصْنَعُ
لَيْتَ فَوْراً دَعْوَةَ الْمَلِكِ الَّذِي
كُلُّ النُّفُوسِ لَهُ جَمِيعاً تَخْضَعُ
وله في رثاء الامير حيدر ابي اللمع قوله :

المرءُ في الدنيا خيالٌ قد سرى
والعيشُ مثلُ الحلمِ في سنةِ الكرى
والناسُ ركبٌ قد اناخَ بمَنْزِلِ
فبني على الطُّرُقِ المَدَائِنَ وَالْقُرَى
وهو ككلِّ شاعرٍ ، لا بُدَّ له من ان يتغزل ؛ ومن لطيف

غزله قوله :

أَتَظُنُّ هَذَا الْخَالَ فَوْقَ الْمُبَسَّمِ
إِلَّا عُيَيْدًا حَارِسًا دُرَّ الْقَمْرِ

ومنها :

أَلْوَى عَلَيَّ فَضَنِّي وَضَنَّتُهُ وَصَدُورُنَا بَصْدُورُنَا لَمْ تَعْلَمْ
أَهْوَى عَلَيْهِ وَفِي عَفَّةٍ يَوْسَفٍ حَتَّى يَمِيلَ وَفِيهِ عَفَّةٌ مَرِيَمَ

...

بِاللَّهِ يَا رِيحَ الصَّبَا قَبْلَ الضُّحَى

إِنْ جَنَّتْ هَاتِيكَ الدِّيَارَ فَسَلِّمِي

وله مؤلفات كثيرة في اللغة ، أشهرها « مجمع البحرين » وهي ستون مقامة ضمَّنها من بلاغة الانشاء والفوائد اللغوية والعلمية وتواريخ العرب وأمثالها ما دلَّ على غزارة محفوظه وقوة عارضته في النظم والنثر ، وأودعها من الفنون البديعية في بعض منظوماته كجناس ما لا يستحيل بالانعكاس ، والجناسات الخطيئة ، وغيرها ، ما لا يضطلع به إلا عن مقدرة فائقة . وله ثلاثة دواوين شعرية تُعدُّ من عيون الشعر . وكان ديناً مؤمناً ، نظم قصيدة أثبت فيها العقيدة المسيحية بالدليل اللاهوتي ، وساعد في ترجمة الكتاب المقدس الذي قام على نشره المرسلون الأمير كان .

بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣)

ركن من اركان النهضة العلمية الادبية في الشرق العربي .
وُلد في قرية الديّة، من اقليم الشوف في جبل لبنان، سنة ١٨١٩م،
وظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء منذ نعومة أظفاره ، فعُني
به المطران عبد الله البستاني ، وأدخله مدرسة عين ورقة حيث
درس قواعد اللغة العربية والفلسفة والألاهوت ، واللغات السريانية
واللاتينية والايطالية ، واشتغل بالتعليم في هذه المدرسة زمناً .

ثمّ انتقل الى بيروت ، وتعلّم اللغة الانكليزية ، واتصل
بجماعة المرسلين الاميركيين ، وعاون الدكتور « فان ديك » على
انشاء مدرسة عبيه ، وتولّى التعليم فيها مدّة سنتين . ثمّ رجع الى
بيروت ، فعُيّن مترجماً في قنصلية أميركا .

وخدمته للدين والادب والصحافة أكثر من ان تحصى ، فقد
كان اكبر عامل في ترجمة التوراة الى اللغة العربية ، ووضع اساس
الصحافة العربية في لبنان . فأنشأ سنة ١٨٦٠ نشرة باسم « نفير
سوريا » ، ثمّ أنشأ صحفه المشهورة وهي : « الجنان » ، « الجنة » ،
« والجنة » ، وكانت خير مدرسة تدرب فيها عدد من الناشئين
على الكتابة والانشاء .

وأنشأ في بيروت « المدرسة الوطنية » على أساس الحرية

الدينية ومبدأ الجامعة الوطنية، فتقاطر عليها الطلبة من أنحاء لبنان وسوريا والعراق ومصر وتركيا، ونبغ من خريجيه عشرات، وألف قاموسه المشهور «محيط المحيط» ومختصره «قطر المحيط»، وشرع في سنة ١٨٧٥ بوضع أول «دائرة معارف» عربية، فأصدر منها ستة مجلدات. ووضع كتباً مدرسية، وترجم للمرسلين الأميركان كثيراً من الكتب والنبد الدينية والاخلاقية، فخدم بهذه الأعمال عشرات ومئات الالوف من قراء العربية. وكان لا يفتر عن المطالبة بتعليم المرأة وتربيتها. ومن قوله: «من فوائد التعليم للمرأة أنه يوسع قواها العقلية ويهذبها، ويوقظ ضميرها وينبها ويحييه، ويقوم إرادتها وعواطفها الادبية، ويرتب سلوكها وتصرفها، فيزيد رقة قلبها رقة، وحنوها حنواً.....» ويبين فوائد التعليم للمرأة، فتعود على الزوج والأولاد والمجتمع بالنفع العميم.

وله خطاب في انتقال التمدن بين الشرق والغرب، نقتطف منه ما يأتي لنريك اسلوبه الكتابي. قال:

«اين العرب وأين هم الآن؟ فقد مضى عصر آدابهم الذهبي، وخيم عليهم عصرها المظلم. كان ابتداء عصرها المظلم اواخر القرن الرابع عشر، وما زال ينمو حتى عم البلاد والعباد. اين الشعراء؟ اين الاطباء؟ اين الخطباء؟ اين المدارس؟ اين المكاتب؟ اين

الفلاسفة ؟ اين المؤرخون ؟ ...

وينهي خطابه بقوله :

« ان الافرنج لم يستخفوا بأداب العرب ، في أيام جهلهم ،
لمجرد كونها منسوبة الى العرب ، كذلك لا يليق بالعرب ان
يستخفوا بعلوم الافرنج لمجرد كونها افرنجية . بل يليق بنا ان
نرحب بالعلوم من دون نظر الى من يعطينا ايها ، سواء كانت
آتية من الصين او الهند او العجم او اوربة . وادعاء البعض ان
العرب عندهم كل شيء . يُحتاج اليه من العلوم والفنون ، لا يوجد
برهان اقوى منه على عمق جهلهم »

الادب في مطلع القرن العشرين

يمتاز هذا القرن ، وقد قاربنا ان نطوي منه النصف ، بثلاث
مزايا ، هي :

- ١ — التحرر من قيود الصناعة البديعية وباحياء الاسلوب
البسيط المعروف بالسهل الممتنع .
- ٢ — محاولة الخروج عن المواضيع القديمة ، واستيعاب

الخيال من الطبيعة وروح الحضارة .

٣ — التفنن بأساليب النظم والنثر ، تظهر فيه الشخصيات
الادبية الآتية :

ابراهيم البازمجي (١٨٤٧ — ١٩٠٦)

هو ركن من اركان النهضة الادبية في اواخر القرن التاسع
عشر ومطلع القرن العشرين . وُلد في بيروت ، سنة ١٨٤٧ م ،
وتلقّى على والده الشيخ ناصيف ، اصول اللغة العربية وقواعدها ،
ومبادئ العلوم والآداب . ثم انصرف الى الدرس بنفسه دون
مساعدة استاذ ، فأدرك ما لم يدر كه غيره من ابناء العصر من
فلسفة اللغة العربية وأسرارها ، وأصول العلوم الحديثة ، وبعض
اللغات القديمة ، والتصوير والحفر وغيرها من الصناعات .

اشتغل بالصحافة ، سنة ١٨٧٢ ، بتحرير جريدة « النجاح »
البيروتية ، فظهرت في ثوب من الانشاء البليغ لم يكن معروفاً في
الصحف العربية سواء في مصر او في سوريا ولبنان . واشترك مع
الآباء اليسوعيين في ترجمة التوراة والانجيل والرسائل الى اللغة
العربية ، فكانت له اليد الطولى في تنقيح العبارات والضبط
اللغوي ، يدر كها لأول وهلة من اراد المقارنة بين ترجمة اليسوعيين
والاميركان . وانتدب نفسه للتعليم زمناً طويلاً ، فعلم اللغة العربية

في المدرسة البطريركية للروم الملكيين الكاثوليك في بيروت ،
فاشتهر من تلاميذه فيها غير واحد من المؤلفين وكتاب الصحف
العربية . وأتم شرح والده لديوان المتنبي ، في أربع سنوات ، ولم
يقتصر على شرح الألفاظ والعبارات ، بل استطرد الى مباحث
لغوية وأدبية ، لا تزال مرجع الكثيرين من طلاب الوقوف على
اسرار اللغة وقواعدها . واشترك مع الدكتور بشاره زلزل
والدكتور خايل سعادة في اصدار مجلة « الطبيب » ، ولكنها لم
تعبّر غير سنة .

ثم رحل الى مصر وأصدر مجلة « البيان » مع الدكتور زلزل
سنة واحدة ، وانفرد بعدئذ بإصدار مجلة « الضياء » ثماني
سنوات متوالية .

ومجلة « الضياء » تعدّ خير مجموعة لمجلة عربية أدبية ، فان
اسلوبها ابلغ اسلوب ، وعبارتها العربية اسلم عبارة ، وإنشاءها
أدقّ ما عُرف من كتابات المعاصرين من رجال القلم الاحياء
والموتى . أضف الى ذلك ما تضمنته فصولها من المباحث اللغوية
التي لم يطرقها قبل الشيخ ابراهيم طارق .

من اكبر خدمه للغة العربية انه لم يحتمل تهاون الكتبة
بعروبة انشائهم ، فهبّ ينتقد اغلاطهم اللغوية ولاسيما في كتابه
« اغلاط المولدين » ، ولم يستثن والده ، ولا نفسه في كتاباته

السابقة ، من ذلك الانتقاد الصارم اللاذع . فكان بهذه الماثرة وبغيرها ، من اكبر قوَّاد النهضة الاخيرة . وله فضلٌ على الطباعة العربية باصطناعه أمات الحروف .

وعلى الجملة فقد رفع منار اللغة العربية ، وأعلى شأنها ، وألحقها بأرقى اللغات الاوربية في جميع العلوم العصرية . ومن رأيه قوله : « ما كان احوج البلاد الى مسيطرين على أقلام الشعراء والكتَّاب ، كما أن فيها مسيطرين على أقلام اصحاب الجرائد السياسية وصحف الاخبار ، لانه إن خيف من تلك ان تضر بالمصاحبة الوطنية ، من الجهة السياسية ، فان هذه ، ولا جرم ، تضر بها من الجهة الادبية ، بما تؤدى اليه فساد اللغة التي هي أعظم اركان الوطنية ، واهم روابط الجامعة الامة » (١) .

ونظم قصائد مشهورة بالحث على الثورة والجهاد الوطني . ويجدر بنا ، قبل ان نقدّم لك شيئاً من شعره ، ان ننقل اليك رأيه بالشعر . قال : « ومعلوم ان الشعر من اعلى طبقات الكلام ، وأبعدها غاية ؛ لما يقتضيه من شرف الألفاظ ، ونباهة المعاني ، وسلامة الذوق ، والمبالغة في التنقيح والتهذيب . فابتدأه على ألسنة غير اهله ، ممّا يزرى به ، ويفسد رونقه ، ويسقط مزيّته ، بل ربّما افضى الى دفن كثير من جواهره في صدور اربابه . لأنه

إذا أصبح متداولاً بين أيدي العامة ، وابتذله من لا يحسنه ،
أنف المجيدون له من انتحاله ، وتجافى كبراء اهل القول عن
نزول كنفه .

وإليك بضعة أبيات من قصيدة قالها في مدح احد
الباشوات :

هذا وزيرُ الملكِ ذو الشرفِ الذي
أزرى الثرياً والسِّمَّاءَ الأعزلاً
امضى من السَّهمِ المذلقِ نظرةً
في كلِّ مُعْظَمَةٍ وأفتكُ مَقْتَلَا
وأسدُّ مَنْ عركَ الامورَ تصرفاً
في حينٍ لا يجدُ اللبيبُ مُعْوَلَا
ومنها :

ولعلَّ عجزِي في مديحك ناطقٌ
عني بأفصحَ مِنْ ثنائي وأطولاً
والصبحُ أوضحُ من مقالةِ قائلٍ
لاحَ الصبحُ إذا تألق وانجلي

ومن آثاره : « نجمةُ الرائد » ، وإتمام شرح ديوان المتنبي الذي
كان قد بدأه والده ، كما سبق . عاش عزباً ، لم ينزع الى طلب المال .

وتوفي في مدينة القاهرة ، في ٢٨ كانون الأول سنة ١٩٠٦ ، وأقيم له تمثال في بيروت ، على الطريق المؤدية للمدرسة البطريركية ، في محلة الصُّور ، اعترافاً بفضله .

سليمانه البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥)

هو شاعر صلة بين القديم والحديث ، تجلّت فيه يقظة الشعر العصري بأجلى مظاهرها ، وُلد في قرية بكشتين ، من قضاء الشوف في لبنان ، سنة ١٨٥٦ ، وتعلّم في المدرسة الوطنية التي أنشأها نسيبه بطرس البستاني ، وكتب مقالات مهمّة في دائرة المعارف ، وطاف في البلدان العربية طواف عالم منقّب ، وزار بلاد الفرس « العجم » ومصر وتركيا والهند والعراق ، وتعلّم اللغة الفارسية . وكان يحسن من اللغات القديمة والحديثة ستّ عشرة لغة ، يعرف بعضها معرفة تامة ، كالعربية والتركية والفرنسية والانكليزية والفارسية ، ويلمّ بالبعض الآخر . انخرط في سلك السياسة ، فكان نائباً في مجلس « المبعوثان » العثماني ، وترأس وفوداً سياسية ، وصار وزيراً في الاستانة . وفي حرب سنة ١٩١٤ ، اعتزل السياسة وقصد سويسرا مستشفياً ، وبقي فيها مدة اربع سنوات الحرب . وبعدها قصد الولايات المتحدة ، فاستقبل استقبالا حافلاً ، واغتالته المنون في نيويورك ، في حزيران سنة ١٩٢٥ .

تأليفه :

١ — ترجمته لإلياذة هوميروس ، ترجمها شعراً وهي اعظم اثر عربي شعري ، وقدم عليها بمقدمة ادبية نفيسة تقع في مئتي صفحة ، قال عنها كثير من المستشرقين ، وفي مقدمتهم ر. غليوث المستشرق الانكليزي ، انها اصحّ ترجمات الالياذة واشدها مطابقة للاصل ، بالرغم عن ترجمتها شعراً .

٢ — مجلدان من « دائرة المعارف » بمساعدة نسيب نجيب ونسيب البستاني ، فضلاً عن مقالات كثيرة في أجزائها .

٣ — مذكرات خصوصية ، لها اهمية كبرى .

٤ — « عبرة وذكرى » ، وهو كتاب فيه وصف دقيق لحالة تركيا العثمانية قبل اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وبعده .

له شعر لطيف ، يجمع بين المتانة والسلاسة ، عذب الألفاظ ، بديع الخيال . واليك مقطعاً من موشحه « سويسرة ولبنان » ، يصف بعض ما شاهدته من محاسن سويسرة بمدّة استشفائه فيها . قال :

هذي بلادٌ يا لها من بلادٍ زينها معبودها والعبادُ
منَ الجبالِ الشَّمِّ حتّى الوهاد

ومن مجاري النهوز الى القفار
ومن عواري الصخوز الى الدياز
أيدٍ تسابقن بسبل الفخاز
وليس منهن ضل السبيل
وفي ختامه يقول ، وهو يتمني ان يمتد به الأجل ليعود
الى وطنه :

فهل ترى يفسح آتي الأجل حتى به تُغمض منك المقل
وارض لبنان ، محط الأمل
ولو زماناً يسير قبل الفوات
الى حماها تسير تلقي الرفات
وأهلها تلقي قبيل المات يمرتع الرغد وعيش خضيل
ولا بد لنا ، قبل ان نختم البحث ، من ان نقدم لك نموذجاً
من الالياذة . قال في النشيد الأول :

رَبَّةَ الشَّعْرِ عَنْ أَخِيلَ ابْنِ فَيْلَا
أَنْشِدِينَا وَأَرْزُوِي احْتِدَاماً وَبَيْلَا
ذَاكَ كَيْدُ عَمِّ الْإِخَاءِ بَلَاةُ
فَكَرَامُ النُّفُوسِ أَلْفَتْ أَفُولَا^(١)
لَا أَذِيسَ أَنْفَذَنَ مُنْجَدِرَاتِ

وفرى الطير والكلاب القيولا^(٢)

(١) الإخاء : بلاد اليونان . (٢) أذيس : المراد به الجحيم عند اليونان .

ثُمَّ مَا شَاءَ زَفْسُ مِنْ يَوْمٍ شَبَّتْ
فِتْنَةً بِالشَّقَاكِ تَنْذَرُ أُولَى

ومنه ، بعد وصف الهدايا وتهديد القوم ، يغضب فيبوس ،
فيختم الكاهن بقوله :

إِقْبِلُوا فِدَيْتِي وَرُدُّوا فَتَاتِي فَجَمِيعُ الْأَغْرِيْقِ ضَجُّوا قَبُولًا
غَيْرَ أَنَّ الْمَقَالَ سَاءَ آغَامِنُونَ أَثَرًا فَرَدَّهُ مَخْذُولًا

وتستغرق حوادث هذا النشيد اثنين وعشرين يوماً ، وتقع
هذه في معسكر الاغريق ، ثم في بلدة خريسا ، وأخيراً في
الاولمب .

وقد قضى بترجمة الالياذة ثمانى عشرة سنة .

وان انت قرأت قصيدته « الداء » ، رأيت انك أمام شاعرٍ
فَذَرِ ، يدخل بك الى صميم العربية ، ويمثل امامك مشهد دائه .
قال :

أَلَمْ تَسْأَمْ وَعَيْشُكَ بَاتَ مُرًّا
تَوَسَّدُ مِنْ لَطَى الْآلَامِ جَمْرًا
تَقْلَبُ فِي فِرَاشِ السُّقْمِ جَنْبًا
جَنْبَ مَوْقَدًا بَطْنًا وَظَهْرًا^(١)

وَجَفَنُكَ لَا يَذُوقُ الْغَمَضَ سُهْداً

وَإِنْ هَجَعَتْ عَيُونُ النَّاسِ طُرّاً

وَفِي خَتَامِهَا يَقُولُ ، وَقَدْ وَصَفَ آلامَهُ وَصفاً دَقِيقاً :

وَبَعْدَ قَضَاءِ ذَلِكَ لَا أَبَالِي

أَطَالَ الْعَمْرُ أَمْ أُلْحِذْتُ قَبْراً

وَإِنْ تَغُلَّ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ هَذَا

فَإِنَّ بَنِيَّةَ الْإِخْلَاصِ عُذْراً ^(١)

بِفَرْبِ صُرُوفِ (١٨٥٢ - ١٩٢٧)

علم من اعلام العلم والادب والفلسفة . وُلِدَ فِي حَدَثَ بَيْرُوتَ
بَلْبَنَانَ ، سَنَةِ ١٨٥٢ . دَرَسَ فِي مَدْرَسَةِ سُوقِ الْغَرْبِ ، وَفِي
مَدْرَسَةِ عَبِيهِ لِالْأَمِيرِ كَانَ . وَلَمَّا أُسِّسَتْ كَالِيَّةُ بَيْرُوتِ الْأَمِيرِ كِيَّةً ^(٢)
انْتَظَمَ فِي سَلَكِ تِلَامِذَتِهَا ، فَكَانَ مِنْ أَفْرَادِ مُتَخَرِّجِي الْفَرْقَةِ
الْأُولَى .

مَارَسَ التَّعْلِيمَ عَامِينَ فِي مَدْرَسَتِي صَيْدَا وَطَرَابُلُسَ فِي لُبْنَانَ
الْأَمِيرِ كَيْتَيْنِ . ثُمَّ دَعَاهُ مَجْلِسُ الْجَامِعَةِ الْأَمِيرِكِيَّةِ إِلَى تَدْرِيسِ
الْكِيمْيَاءِ وَالْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ ، ثُمَّ اللُّغَةُ وَالْبَيَانُ . وَفِي
سَنَةِ ١٨٧٦ أُسِّسَ مَجَلَّةُ « الْمَقْتَضَفِ » ، ثُمَّ نَقَلَهَا إِلَى مِصْرَ عَلَى أَثَرِ

(١) نَفَلَ : مِنْ غَالِهِ ، إِذَا أَهْلَكَهُ غَدْرًا . (٢) هِيَ الْجَامِعَةُ الْأَمِيرِكِيَّةُ الْيَوْمَ .

الحوادث السورية والظلم الفادح الذي ادهق لبنان سنة ١٨٧٠ ،
بالاشتراك مع الدكتور فارس نمر والمرحوم شاهين مكاريوس .
فكان اشتراك هؤلاء ، من سنّ الشباب الى سنّ الشيخوخة ،
مضرب المثل في الاتحاد والتعاون والنشاط والاجتهاد ، وجني
ثمار هذه الفضائل والسجايا ، فأثبتوا بها ان الاخ الصديق قد
قد يكون اوفى من الاخ الشقيق .

التحقيق العلمي . — كان مطبوعاً على حبّ البحث
والتحقيق ، شأن العلماء الحقيقيين ، وربما قضى أياماً واسابيع او
شهوراً في سبيل درس مسألة علمية ، او نظرة فلسفية ، او معادلة
كيمياوية ، ليصل الى الحقيقة المتوخاة . وكان في كلّ ابجائه يردّ
المسببات الى اسبابها ، نابذاً القشور بشاقب فكره ، غير حافل
الآ باللباب .

وان نحن نظرنا الى باب الأسئلة والاجوبة في مجلّات
«المقتطف» ، وما فيه من أجوبة سديدة في مختلف العلوم والفنون
والحوادث والحالات ، ندهش ممّا وعى صدره من الحقائق
والمعلومات ، وما كان عليه ذهنه من المضاء ، ونظره من صدق
الحكم والاستنتاج . وكان من اشدّ الناس كرهاً للخصام والشقاق ،
وأقربهم الى الصفاء والوفاق . ومع غزارة علمه وسعة اطلاعه ، لم
يكن يعرف للفظ العداوة معنى ، ولا يدرك لكلمة الحقد مغزى .

وعنده أن المرء ملتزم بان يسدي المعروف والجميل ، ويبسط يد المعونة والاسعاف ، غير منتظر شكراً ، لانه واجب انساني .

المقتطف . — قام بتحرير « المقتطف » الذي يعدّ دائرة معارف وفنون حيّة في العربيّة ، وهو عنوان نهضة العلم فيها جارى التقدم العلمي المطرد في ابواب الفلسفة والحكمة ، والعلوم النظرية والعلمية ، والاكتشافات والاختراعات ، وتحول الادب في اللغة العربيّة وسواها من اللغات ، فصارت مجموعاته العظيمة ، لواحد وخمسين عاماً ، مرجعاً يرجع اليه الباحثون ، وهدياً يهتدي به المحققون . والمقتطف يعدّ صلة علميّة وأدبيّة واجتماعيّة بين الشرق والغرب .

وفي سنة ١٨٨٠ ، أنشأ جريدة « المقطم » في مصر ، بالاشتراك مع صديقه الدكتور فارس نمر ، وهي كبرى الجرائد العربيّة السباسبية .

وله مؤلفات وروايات ، منها مترجم ومنها موضوع ، غير أن أبحاثه التي يخلد فيها ، تجدها في مجلدات « المقتطف » . أما وقد سقنا اليك شيئاً من خبره ، فاليك نموذجاً من انشائه :

مقياس العقول : « ما من احد يتعذّر عليه ان يرى الفرق الشاسع بين رجل حكيم ، حصيف الرأي ، حسن النظر في العواقب ، وبين بليد أبله ، لا يعي شيئاً ، او غرّ أحمق يتقلب مع

الاهواء ؛ كما لا يتعذر على احد ان يحكم بان الحجر الكريم اثقل من الصغير اذا كانا من نوع واحد . ولكن النسبة الحقيقية بين الحجرين لا تُعلم إلا بالمقياس او الميزان ، وكذلك النسبة بين العقول لا تُعلم تماماً إلا اذا وُجد لها مقياس . وكلّ معارف الناس لا تبلغ مبلغ العلم الحقيقي ما لم تُقَسَّ بمقياس حتى تظهر النسبة بينها . والمقياس اساس كل العلوم الطبيعية والكيمائية . واذا اريد ان يجعل ما يُعرف من امور الانسان علماً حقيقياً ، فلا بُدَّ من استعمال المقياس فيها . ولا يخفى ان امور الانسان الجسدية تقاس بسهولة : فيقاس طوله ، وثقله ، وقوة عضلاته ، واتساع صدره ، وطول شعره ، ولون بشرته ، ودقّة سمعه ، وحدة بصره ، ونحو ذلك . . . »

هذا نموذج من انشائه ، وهو يتميز بسهولة العبارة ، لا يعتمد فيه الى ترويق او صناعة ، بل يسوقه كلاماً مرسلًا ، ورائده نقل المعرفة الى القارئ بلغة صحيحة وبيان حسن ، لا غموض فيه ولا تعقيد . وهو بكلّ كتاباته يتحرّى التفهيم ، بحيث لا يجعل في كلامه مجالاً للتأويل . توفي في مصر سنة ١٩٢٧ ، وإليك ابياتاً في الشباب والشيب ، وجدت مخطوطة في اضراراته :

كان الشبابُ وكنْتُ إنْ خطبُ دَهاني أزدريه
فأتى المشيبُ وصرتُ أجتنبُ النسيم وأتقيه

يا ويح مَنْ إصباحه سودُ النواصي والوجوه
ما يرتجي ان جنّه ليلٌ يضلّ النجم فيه

جبران خليل جبران (١٨٨٣ - ١٩٣٢)

هو زعيم ادباء المهجر ، وأوّل من تمرّد على العادات والتقاليد القديمة المرعيّة ، فرغب عن القديم ، وأنشأ لنفسه اسلوباً طلياً جديداً ، أعلن فيه ثورته الفكرية الادبيّة ، فقبلتها القلوب ، واتبعته غير واحد من الكتبة والمنشئين .

وُلد في بيروت ، سنة ١٨٨٣ ، وهاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٥ ، ثمّ رجع الى بيروت ، وتلقّى علومه الابتدائية التكميليّة في مدرسة الحكمة . وعاد الى اميركا سنة ١٩٠٣ ، ف قضى في بوسطن خمس سنوات ، ذهب بعدها الى باريس لدرس فنّ التصوير ، فتتلمذ لرودان الشهير الذي لقّبه « وليم بلايك القرن العشرين » .

وقد قالت عنه ميّ زيادة : « لما كان جبران ملماً بمحدود العقليات والمدارك ، عليماً بأغلال المصالح والمنافع ، غير جاهل حقّ ما نسميه « شراً » في ان يقوم الى جانب ما نسميه « خيراً » ، فهو دواماً الساخط الراضي الشائر المستسلم ، المناقض الموافق ، المستنكر المستحسن . . . وهو آخذ بنظرية التناسخ ، ليس

في الموجودات والصور والاشكال فقط ، بل في الشخصيات
الانسانية ايضاً » .

وهو ، في كتبه التي وضعها باللغة الانكليزية ، اوسع شعوراً
وأدق حساً وأشمل نظرة للحياة من مختلف نواحيها ، بعد ان كان
في اولى كتاباته بالعربية لا يرى الا قسماً أو أقساماً من المجتمع
والطبيعة ، فيتمسك بفئة من الآراء ، ولا يرضى عنها بديلاً .
فكل ما تجلّى من بدهة وعطف وإدراك وثورة في كتابات جبران
الأولى باللغة العربية ، التي مضى على تأليفها ما يزيد على ربع قرن ،
نجده بجوهره في كتبه التي وضعها باللغة الانكليزية .

اسلوبه . — يمتاز بالخيال الحر ، منتخب الألفاظ ، حسن
الجرس ، تكثر فيه الرموز والاشارات ، والفكرة الفلسفية
العميقة . فهو كالمطائر المخلّق بعنان السماء ، يستوحي الجديد فلا
يريد ان يقلّد احداً . ولذا لا نرى بكل ما كتب ، استشهاده بكتاب
او بشاعر او بعظيم الأندلس ونادراً جداً ، في اولى كتاباته العربية ،
اما بعد ذلك فلا . وهو رغم تنقيبه ومسايرته الحركة الفكرية في
العالم في شتى مظاهرها ، وتأثره بالابحاث العلمية والفلسفية ، يرغب
في ان يكون متبوعاً لا تابعاً . فكان أنانيته تحول كل ما يتصل
بها الى جزء منها ، ثم تخرجه على القرطاس ، وكأنّه إلهام شخصي
لم يظفر به احد من قبل .

مؤلفاته في اللغة العربية : « مرتا البانيه » ، « الارواح
المتردة والاجنحة المتكسرة » ، « العواصف » ، « المواكب »
وهو من مؤلفاته الرمزية الشعرية ، وهو مؤلف من قسمين :
الرسوم والقصائد ، وهذه مؤلفة من مقاطع تبحث في مواضيع
مختلفة فلسفية يتكلم بها سلباً وإيجاباً شخصان في موضوع واحد :
فالأول شيخ بلا الايام واختبر الحياة ، والثاني فتى في عنفوان
الشباب ، يدعو الناس الى الغاب حيث لا حكمة ولا فلسفة ،
بل البساطة المطلقة . وإليك نموذجاً مختاراً منها :

الشيخ :

الخيرُ في الناسِ مصنوعٌ إذا جبروا
والشرُّ في الناسِ لا يفنى وإن قُبروا
وأكثرُ الناسِ آلاتٌ تحرَّكها أصابعُ الدهرِ يوماً ثمَّ تنكَّسِرُ
فلا تقولَنَّ هذا عالمٌ علَّمُ
ولا تقولَنَّ ذاك السَّيِّدُ الوَقْرُ
فأفضلُ النَّاسِ قطعانٌ يسيرُ بها
صوتُ الرعاةِ ومَنْ لم يمشِ يندثرُ

الفتى :

ليس في الغاباتِ راعٍ لا ولا فيها القطيعُ

فالشتا يمشى ولكن لا يُجارِيه الربيع
خُلِقَ النَّاسُ عبيداً للذي يأبى الخضوع
فاذا ما هبَّ يوماً سائراً سار الجميع

...

أعطني النايَ وغني فالغنا يرعى العقول
وأئين الناي أبقي من مجيدٍ وذليلٍ
ويظهر جبران متمرّداً في مواكبه ، فهو ينزع فيها الى حلٍّ
ما في شوارع الحياة وعواطفها من مسائل الحسنات والسيئات .
وأخيراً نراه يقدّس الحبَّ المطلق في الغاب ، والتمرد على
العادات والشرائع .

ولجبران منزلته الكبرى في عالم الادب الغربي ، ولا سيما
الاميركي . وله مؤلفات في اللغة الانكليزية ، هي : « المجنون » ،
« السابق » ، « النبي » ، « رمل وزبد » ، « آلهة الارض » ،
« يسوع ابن الانسان » . وفي كلّ هذه الكتب لا يُسمَعُ إلا
صوت شخص واحد ، وإلا فالاصوات العديدة فيها محدّثة عن
شخص واحد .

واليك نموذجاً مترجماً من كتاب « يسوع ابن الانسان » ،
وفيه آراء سبع وسبعين شخصيّة تاريخيّة وجدت في تدرّج
العصور منذ ألفي سنة .

قال هذا الرجل ، فيما قال ، مخاطباً ابن الانسان :

« أيها السيد المنشد ، يا سيد الكلمات التي لم تلفظ ، إني سبع مرأت وُلدتُ وسبع مرأتٍ قضيتُ منذ زيارتك الوجيزة إلينا وترحيبنا العاجل بك . وهاءنذا أحيا من جديد ، ذا كراً ذلك اليوم وتلك الليلة ، اذ رفعتنا على موجتك العالية . قد اجتزت البراري والبحار منذ ذلك الحين ؛ وحيثما حلتُ ، كان اسمك موضوع ابتهاجٍ او جدال ، وكان الناس بين مبارك ولاعن ... »

وما زال اصدقاؤك معنا يمدوننا بالمؤاساة والمعونة . واعدائك معنا كذلك يحفزون منا البأس والمناعة . وأمالك معنا ايضاً ، تلمح وجهها في وجوه الامهات ، ويدها تهز المهد بلطفٍ وتطوي الاقطة بحنان . وما زالت المجدلية في وسطنا ، تلك التي نهلت خمر الحياة بعد ان نهلت خلها . ومعنا يهوذا ، رجل الآلام والمطامع الضئيلة السخيفة ؛ إنه ما برح هائماً في الارض ، يلتهم نفسه حيث لا يجد ما يلتهم ، ويعكف على تعظيم ذاته حتى في القضاء على ذاته ... »
هذه فكرة جبران ، نقلتها اليك . ولا بد من ان اقدم لك نموذجاً من كتابته . قال من مقالٍ عنوانه « العبودية » :

« ها قد مرَّ سبعة آلاف سنة على ولادتي الاولى ، وللان لم أر غير العبيد المستسلمين والسجناء المكبلين .

قد جبتُ مشارق الارض ومغاريها ، وطفْتُ في ظلام الحياة

ونورها، وشاهدتُ مواكب الأمم والشعوب سائرة من الكهوف
الى الصروح؛ ولكنني لم ارَ للآن غير رقاب منحنية تحت الاثقال
وسواعد موثقة بالسلاسل، ورُكَبِ جاثية أمام الاصنام.

اتبعت الانسان من بابل الى باريس، ومن نينوى الى
نيويورك، ورأيت آثار قيوده مطبوعة على الرمال بجانب آثار اقدمه
وسمعتُ الاودية والغابات تردد صدى الاجيال والقرون...»
وقال على اثر ما اصاب لبنان من ويلات، في حرب سنة ١٩١٤:
« مات اهلي على الصليب.

ماتوا وأكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب، وعيونهم محذقة
بسواد الفضاء.

ماتوا صامتين لان آذان البشرية قد اغلقت دون صراخهم.
ماتوا لانهم لم يُجبوا اعداءهم كالجناء، ولم يكرهوا محبيهم
كالجاحدين.

ماتوا لانهم لم يكونوا مجرمين.
ماتوا لانهم لم يظلموا الظالمين.
ماتوا لانهم كانوا مسالمين.
ماتوا جوعاً في الارض التي تدرُّ لبناً وعسلاً.

ماتوا لان الشعبان الجهنمي قد التهم كل ما في حقولهم من
المواشي وما في اهرانهم من الاقوات.

ماتوا لان الافاعي ، ابناء الافاعي ، قد نفثوا السموم في
الفضاء الذي كانت تملأه انفاس الارز وعطور الورود والياسمين .
مات أهلي وأهلكم ، فماذا نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم ؟
ان نواحنه لا يسد رمقهم ، ودموعنا لا تروي غليهم .

اذن ماذا نفعل لننقذهم من الجوع والشدة ؟
هل نبقي مرتابين ، مترددين ، متكاسلين ، مشغولين عن
المأساة العظمى بتوافه الحياة وصغائرها ؟

ان العاطفة التي تجعلك ، يا اخي ، تعطي شيئاً من حياتك لمن
يكاد ان يفقد حياته ، هي الامر الوحيد الذي يجعلك حرياً
بنور النهار وهدوء الليل .

وان الدرهم الذي تضعه في اليد الفارغة ، هو هو الحلقة
الذهبية التي تصل ما فيك من البشرية بما فوق البشرية . »

احمد سوفي (١٨٦٨ - ١٩٣٢)

هو امير الشعراء في عصره . وُلد في مصر سنة ١٨٦٨ ، من
عائلة تركية الاصل . تلقى التعليم الثانوي في احدى مدارس
الحكومة ، ثم درس الحقوق والآداب الفرنسية ، ورأسه
الحديوي توفيق باشا ، على نفقته ، الى « مونبليه » في فرنسا ،
لإتمام دروسه العالية . وفي سنة ١٨٩٦ ، مثل الحكومة المصرية

في مؤتمر المستشرقين بجنيف ، وجعله عباس حلمي باشا شاعره الخاص ، وولاه رئاسة القلم الفرنجي ولقب بامير شعراء هذا العصر . توفي سنة ١٩٣٢ . وله مؤلفات عديدة ، أشهرها ديوانه المعروف « بالشوقيات » و « شذور الذهب » في النثر المسجع ، وعدة روايات تمثيلية شعرية .

اماً وقد ذكرنا « الشوقيات » ، فلا بد لنا من عرض بعض قصائده ؛ فنرى شوقي واسع الروية ، واسع الخيال ، انقادت المعاني الى قريحته ، من تدن وتاريخ وسياسة وحماسة وفلسفة وزهد ووصف وغزل ونسيب . وانك لتجد في كل قصيدة من قصائده معاني مبتكرة ، وقضايا أثبتتها الاختبار ، وأخباراً حققتها الأيام ، وحكماء جرت مجرى الامثال .

ذكرنا التدن ، فهذه قصيدته في وصف المسيح . قال :

وُلدَ الرفقُ يومَ مولدِ عيسى والمروءاتُ والهدى والحياة
وازدهى الكونُ بالوليدِ وضأتْ

بسناه من الثرى الارجاء

وسرتْ آيةُ المسيح كما يسري من الفجر في الوجودِ الضياءُ
تملاً الارضَ والعوالمَ نوراً فالثرى مائجٌ بها وضأْ

وان كان قد خصَّ السيد المسيح بأبياتٍ ، فقد عقد للنبي

العربي محمد قصائد غراء يتردد فيها روح الايمان والعقيدة
والجمال الفني .

وكان شوقي كان يحن الى الاتراك ، وقد أشاد بمفاخرهم
وفعالهم وحروبهم . وكيف لا يفخر بهم وهو يمت اليهم بالأصل ،
فترى قصائده فيهم تبت الحماسة في النفوس . وهالك بائسته التي
وصف بها الوقائع العثمانية اليونانية ، وقد قال بلسان الحاج عبد
الازل القائد التركي ، وقد قيل له ليترجل عن جواده لانه
عطب ، فقال :

ذروني وشأني والوغي لا مبالياً

الى الموت أمشي ام الى الموت اركب

ثم استطرد الى الحكم والعبر وجوامع الكلم ، فقال :

وما شهداء الحرب إلا عمادها وان شيد الأحياء فيها وأطنبوا
مداد سجل النصر فيها دماؤهم

وبالتبر من غالي ثراهم يترب

وإليك قوله بحصار « ادرنة » في حرب البلقان سنة ١٩١٢ ،

وسقوطها بيد اليونان ، يخاطبها على التجريد :

صبراً أدرنة كل ملك زائل يوماً ويبقى المالك العلام
خفت الأذان فما عليك موحد يسعى ولا الجمع الحسان تقام
وخبث مساجد كن نوراً جامعاً تمثي اليه الاسد والآرام

ومنها :

ما زال بينك في الحصار وبينه
شمُ الحصون ومثلهنَّ عظامُ
حتى حواكٍ مقابراً وحويته
جثثاً فلا غبنٌ ولا استذمامُ
ومن نظر في شعر شوقي ، رأى فيه شاعريةً فذةً ومؤرخاً
ينتزع المعاني من صلب التاريخ ليصوغها عقداً منضداً . قال
يناجي الأهرام :

قِفْ ناجِ أهرامَ الجلالِ ونادِ
هل مِنْ بُناتك مجلسٌ أو نادِ

...

وسلِّ القبور ولا أقولُ سلِّ القرى
هل من ربيعة حاضِرٌ أو بادِ
سترى الديارُ مِنْ اختلافِ امورها
نطقَ البعيرِ بها وعِيَّ الحادي
وفي ختامها :

أو دَعِ لسانك واللغاتِ فرمما
غنى الاصيلُ بمنطقِ الأجدادِ

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ اللُّغَاتِ مُحَاسِنًا

جَعَلَ الْجَمَالَ وَسْرَهُ فِي الضَّادِ^(١)

وإليك أبياتاً من قصيدته بنابليون ، وقد انتهى بها الى
عظمة يلقيها الى ابناء الحاضر ، ويرى ان الحقّ للقوة . قال :

يَا كَثِيرَ الصَّيْدِ لِلصَّيْدِ الْعُلَى

قُمْ تَأْمَلْ كَيْفَ صَادَتْكَ الْمُنُونُ^(٢)

قُمْ تَرَ الدُّنْيَا كَمَا غَادَرْتَهَا

مَنْزِلَ الْغَدْرِ وَمَاءَ الْخَادَعِينَ

وَتَرَ الْحَقَّ عَزِيزًا فِي الْقَنَا

هَيْنًا فِي الْعَزْلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ

وإليك أبياتاً من قصيدة في الدستور المصري ، ومطلعها :

أَعَدَّتِ الرَّاحَةُ الْكُبْرَى لِمَنْ طَلَبَا

وَفَازَ بِالْحَقِّ مَنْ لَمْ يَأْلُهُ طَلَبَا

...

لَا رَيْبَ أَنَّ خُطَى الْآمَالِ وَاسِعَةٌ

وَأَنَّ لَيْلَ سُرَاهَا صُبْحُهُ أَقْتَرَبَا

(١) الضاد : كناية عن اللغة (العربية) ، لان هذا الحرف لا يوجد في غيرها من اللغات . (٢) المنون : الموت .

ويتقدّم في ختامها مخاطباً النواب ، فيقول :

اليوم يا قوم اذ تبنون مجلسكم

تبنون للعقب الأيام والحقبا

فأ هو الفرد إن شئتم سما صعدا

إلى الثريا وإن شئتم هوى صبا

وإن رضيتم عمرتم ركنه ثقة

وإن غضبتم تركتم ركنه خربا

وان نحن تتبعنا قصائده كلها ، رأيناه شاعر الشرق العربي

لغة ، وشاعر الشرق كله عاطفة ووجدانا .

وهاك أبياتا قالها على قبر توتنخ امون من الفراعنة القدماء

اكتشف قبره سنة ١٩٢٥ ، وكان حديث العالم لكثرة ما وجد

فيه من التحف والكنوز :

قفي يا اخت « يوشع » خبرينا

أحاديث القرون الغابرينا

وقصي من مصارعهم علينا

ومن دولاتهم ما تعلمينا

فملك من روى الاخبار طرا ومن نسب القبائل أجمعينا

أم المالكين بنى « أمون »

ليمنك إنهم نزعوا « أمونا »

ومنها :

وليس الخلد مرتبةً تُلقَى
وتؤخذُ مِنْ شفاهِ الجاهليينا
ولكن مُنتهى هَمِّ كِبَارِ
اذا ذهبتْ مصادرها بقيينا
وسرُّ العبقريّة حين يسري فينتظمُ الصنائعُ والفنوننا
ومنها :

خرجتَ من القبورِ خروجَ عيسى
عليك جلالَةُ في العالمينا
يجوبُ البرقُ باسمِكَ كلَّ سهلٍ
ويخترقُ البخارُ بها الحزُوننا

ولي الدين يكن (١٨٧٢ - ١٩٢١ م)

هو ولي الدين يكن بن حسن سري باشا . وُلد في الاستانة سنة ١٨٧٢ ، وكان جده ابن اخت محمد علي باشا ، مؤسس الاسرة المالكة في مصر . قدم به والده الى مصر ، وأتمَّ تحصيله العربي في احدى مدارس الحكومة ، ومال الى الكتابة ، فنشر كثيراً من المقالات السياسية والقصائد الاجتماعية في الجرائد . وفي سنة ١٨٩٧ ، أنشأ جريدة دعاها « الاستقامة » ، وشرع

يكتب فيها آراءه الصائبة ، منتقداً السياسة العثمانية ، مما حمل الحكومة على منعها في ولاياتها . فأوقفها وودّعها بقصيدة نشرها في جريدة « المشير » ، وهذه بعض أبيات منها :

فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْغَضَابَ الْأَوَّلَى جَنَوَا

بَأَنِّي أَمْرُوهُ مَا إِنْ أَخَافُ غَضَابَا

أَذْمُ فَلَا أَخْشَى عِقَاباً يَصِيدُنِي

وَأَمْدُحُ لَا أَرْجُو بِذَلِكَ ثَوَابَا

عَلَى مَ أَحَابِي مَعِشْراً أَنَا خَيْرُهُمْ

وَمِثْلِي ، إِذَا حَابَى الرِّجَالُ ، يُجَابِي

وَمِنْهَا :

وَلَمَّا غَدَا قَوْلُ الصَّوَابِ مَذْمُوماً

عَزَمْتُ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ صَوَابَا

فَجَافَيْتُ أَقْلَامِي ، وَعَفْتُ « اسْتِقَامَتِي »

وَرَحْتُ أَرْجِي لِّلْإِسْلَامَةِ بَابَا

وتابع مقالاته في الجرائد ، منها : « المشير » ، « المقطم » ،

« والقانون الاساسي » .

وفي سنة ١٨٩٨ ، سافر الى الاستانة ، فوُظِفَ عضواً في

الجمعية الرسومية الجركية ، وما عَتَمَ ان نقل منها الى عضوية

مجلس المعارف الاعلى . وكان رجال عبد الحميد يشنون عليه

العيون ، فَأَتَّهَمُوهُ بِأَن لَدِيهِ كُتُباً وَاورَاقاً مِنْ شَأْنِهَا النِّيلُ مِنْ
السلطان عبد الحميد ، وعرشه يومئذٍ مؤسس على الظلم والاستبداد ،
فَقُبِضَ عَلَى وَلِيِّ الدِّينِ ، وَنُفِيَ إِلَى سِوَّاسِ سَنَةِ ١٩٠٢ ، وَفِيهَا
يَقُولُ :

فَوَادٌ دَابَّةُ الذِّكْرِ وَعَيْنٌ مَلُؤَهَا عِبَرٌ
وَنَفْسٌ فِي شَبِيبَتِهَا وَجَسْمٌ مَسَّهُ الْكِبَرُ
وَأَمَالٌ مَضِيعةٌ وَوَقْتُ كُلِّهِ هَدَرٌ
أَمَّا يَا لَيْلُ مِنْ صُبْحٍ لِمَنْ سَهَرُوا ؟ فَيَنْتَظِرُ
وَمِنْهَا :

أَرَى سِوَّاسَ تَعْمُدُنِي كَأَنِّي صَارَمٌ ذَكَرٌ^(١)
صَدَأْتُ بِهَا وَأَحْسَبُنِي سَأَصْدَأُ مَا جَرَى الْعَمْرُ
أَيُخَذِّلُنِي وَإِخْوَانِي وَيَنْصُرُ خَصْمَنَا الْقَدَرُ

وَمِنْهَا وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ظَلَمِ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَرَجَالِهِ :

فَوَا لَهْفِي عَلَى سَرَبٍ تَوَلَّى رَعِيَّةَ النَّمْرِ
غَدَا فِي أَرْضٍ مَسْغَبَةٍ جَفَاهُ النَّبْتُ وَالشَّجَرُ^(٢)
وَيَتَخَلَّصُ آخِرًا إِلَى قَوْلِهِ مَتَوَعِّدًا :

رَوِيداً إِنَّهَا دُولٌ تَدُولُ بَعْدَهَا أُخْرُ

(١) تعمدني : تحتويني كما يحتوي الفهد السيف . (٢) مسغبة : مجاعة .

يَظْلُ الحَقُّ مَنهزماً زَماناً ثُمَّ يَنتَصِرُ
سَيُوفُ اللَّهِ إِنْ سُلِّتْ فَلَ تَبْقَى وَلَا تَذَرُ

وبقي في سيواس متألماً مدة سبع سنوات . وعند إعلان الدستور، سنة ١٩٠٨، عاد الى مصر وأخذ ينشر مقالاته وقصائده وعين في وزارة الحَقَّانية، وأصيب بمرض الربو سنة ١٩١٨، وتوفي سنة ١٩٢١، وقد وُجِدَ الى جانب سريره :

يا جَسَداً قَدْ ذَابَ حَتَّى أَمَحَى إِلَّا قَلِيلاً عَالِقاً بِالشَّقَاءِ
أَعَانَكَ اللَّهُ بِصَبْرٍ عَلَى مَا سَتُعَانِي مِنْ قَلِيلِ الْبَقَاءِ
أَدْبُهُ وشعره : قد خرج ، في ما خصّ الادب ، على قواعد
النظم وقوالب النثر القديمة الى شيء من الابتكار ، ممّا حمل عليه
سخط المحافظين ، فقال : « يريدون ان اكتب ما يريدون ، وأريد
ان اكتب ما اريد » .

ولم يكن يتطلّب العظمة ويتهافت على الوظائف ؛ وهو ، لو
أرادها ، لجاءته طائفة صاغرة ، لأدبه ونبل أصله . وممّا نظمه ،
بعد ان جاز الاربعين من عمره ، قال :

تَرَهَّدْتُ فِي وَصْلِ الْمَعَالِي جَمِيعِهَا

وَمَنْ يَطْلُبُهَا كَاطْلَابِي يَزْهَدِ

وَبَتْ ، تَسَاوَتْ فِي فَوَادِي مَنَاهِجُ

تَوْدِي لِحُفْضِ ، أَوْ تَوْدِي لِسُودِ

وإني في بيتٍ صغيرٍ مهْدَمٍ

كأنني في قصرٍ كبيرٍ مُشِيدٍ

عفا الله عن قومٍ أتاني غدرهم

فَرُبَّ مُسِيٍّ لم يُسِ عَنْ تَعَمُّدٍ

وما يدلُّ على ترهده ، طلباً لحريته وأنفته ، قوله :

تركْتُ الغنى لا عاجزاً عن طِلابه

وأزلتُ نفسي من مَمازِلِ محمدي

وهذي بحمدِ الله مِنِّي براءةٌ

فيا أَفْقُ سَجِّلْها ، ويا أَنجُمُ أشْهَدْني

وكانَ ما شاهد من ظلم عبد الحميد ورجاله ، وما صارت اليه

الدولة العثمانية من التأخر والانحطاط ، وهو يريد لها الرفعة والمجد ،

كرهه الحياة وتمنى أن يموت ، فلا يرى اعداء الاصلاح . قال :

أجنُّ الى تلك المراقِد في الثرى

ولَوْ أَستطيعُ اليومَ لأخترتُ مرقدِي

فَأَزلتُ جسمي منزلاً لا يملُّه

يكونُ بعيداً عن أَعادِ وحسَدِ

وما يتمنى الحرُّ في ظلِّ عيشةٍ

تَمُرُّ لأحرارٍ وتحلُّو لأعْبُدِ

وما يدلنا على حبه بلاده ، وتعلقه بها ، ورغبته الملحة
بالاصلاح ، قوله :

في نصره الحق تصدق الخطبُ
يا دهرُ فاسمعْ ولتشهدِ الكتبُ
اليوم جندُ الاقلامِ غالبه
لا البيض تغني عنها ولا القضبُ
استوثق اليأس من مواضعه
هذي نفوس كالكوار تلتهبُ

...

فلينهض الشرق أهلُ نجدته
قد آن أن ينهضوا وأن يثبوا
اليوم نبي ما غيرنا هدموا
وفي غدٍ نسترد ما سلبوا
إن الحياة التي يُجنُّ بها
لولا بلادُ عرفتها وطناً
تفديك نفسي وما يُلمُّ بها
يا مهد آبائي الألى ذهبوا
وفي ختامها يقول :

لا بُدَّ للمجد من معاودةِ
يا مجدُ عُدْ فالكرامُ قد طلبوا

آثاره : « المعلوم والمجهول » ، فيه تذكارات الصبي وما أصابه من كوارث .

« الصحائف السود » ، ينتقد بها استبداد عبد الحميد ، منتقماً للضحايا البريئة .

« التجاريب » و « خواطر نيازي » و « ديوان ولي الدين يكن » جمعه بعد وفاته اخوه يوسف حمدي يكن .

و كتاباته تمثل لنا عصر عبد الحميد وما كان فيه من ظلم واستبداد وضغط على الحرية .

امين الريحاني

لا يذكر اسم امين الا وتتمثل في الذاكرة مؤلفات رجل مفكرٍ نبئت افكاره في لبنان ونمت في بلاد الحرية ، « الولايات المتحدة » .

ولد امين الريحاني ، في « الفريكة » (لبنان) سنة ١٨٧٦ ، وتعلم مبادئ اللغة العربية والفرنسية في مدرسة مواطنه الصحفي المعروف ، نعموم مكرزل ، وهاجر في العاشرة من عمره الى « نيويورك » مع عمه ، فدرس مبادئ اللغة الانكليزية ، ثم اشتغل بالتجارة مدة يسيرة .

وكان يطالع تأليف كبار شعراء الانكليز ، فشغف بكتب

شكسبير ورواياته ، وتولّد فيه ميلٌ الى فنّ التمثيل . فدخل ممثلاً في شركة أميركيّة ، وجال معها ثلاثة اشهر ، ثم ترك هذا الفنّ الجميل لأسباب .

دخل كلية نيويورك الفقهية ، ومكث فيها سنة ، وبدأ الكتابة والخطابة ، ونشر المقالات في الصحف الاميركيّة . وعاد الى لبنان عام ١٨٩٨ ، وطالع في اثناء وجوده في بيته «الفريكة» «لزوم ما لا يلزم» للمعري ، فأعجب به ومال الى ترجمته الى اللغة الانكليزية ، وطبعتها له شركة اميركية ، وبه كان بدء شهرته . وقصد الولايات المتحدة ، وبقي فيها الى سنة ١٩٠٤ حيث رجع الى وطنه لبنان ، يكتب وينشر في المجلّات والجرائد العربيّة والانكليزية .

وطبع «الريحانيات» التي تتجلّى فيها الفلسفة الشرقية بالقالب الشعريّ المنشور .

وطبع رواية انكليزية مثل فيها الخلق العربي واللبناني ، وشرح حالته في بلاد الغرب ، وذكّر لها الانكليز بين رواياتهم المشهورة . وكان حبّ الأسفار كان من طبعه ، فرجع الى الولايات الاميركية يتنقل بين «بروكان» «ونيو يورك» وغيرهما ، يخطب ويؤلف ويكتب في اشهر المجلّات والجرائد العربيّة والانكليزية . ورجع الى لبنان ، وقام برحلات في جزيرة العرب ،

فزار اكثر إمارات الجزيرة العربية ، ووضع كتابه القيم : « ملوك العرب » . فكان رسول الشرق الى الغرب ، يحمل القوة المعنوية الغربية الى الشرق ، ويبدئ بفلسفة الشرق في بلاد الغرب .

كانت حياته نموذج البساطة واللطف ، جمعَ فيها بين الرجل اللبناني الراقى والامير كمي المتمدّن ، وابتعد عن التبجح وحبّ الظهور واحتقار الغير والادعاء وعشق المال . وكان من رأيه وعقيدته ألا ينخرط في سلك الجمعيات والخضوع لقوانينها ، يعشق الحرية ، ولا يتدّلل لينال غايته . ومما اتصف به ، الاقرار بالضعف ، وصدق الحديث ، والمسامحة . وكان سليم النية ، رقيق الكلام ، بشوش الوجه ، يقدّس الوطنية ، ويرجو للبلاد العربية الحرية المطلقة والاستقلال التام ، ويرغب لوطنه لبنان في ان يكون وجهاً مشرقاً بالحرية والاستقلال والعلم ، ومنازةً تشعّ منها المعرفة .

امّا مؤلفاته فكثيرة ، نجتزئ بذكر أهمّها : « الريحانيات » في اربعة اجزاء ، « ملوك العرب » جزءان ، « تاريخ نجد الحديث » ، « فيصل الأول » ، « قلب العراق » ، « قلب لبنان » . وفي اللغة الانكليزية ، أهمّها : « رباعيات ابي العلاء المعري » ، « ابن سعود ونجد » ، « انشودة الصوفيين » ، « حول الشواطيء العربية » ، « بلاد اليمن » .

وقبل ان نختتم البحث ، لا بدّ لنا من تقديم نموذج من نثره
فنتخب شيئاً من صلاته التي كان يناجي بها ربه . قال :
« يا ذا الجلال الازليّ ، ألحفي بشيء من جلالك ؛
يا ذا النور الدائم ، أمددني بقبس من نورك ؛
يا ذا القوّة غير المتناهية ، إبعث منها في قواي .
— إنّما انا مبدأ الحياة الازليّة ، وعين الحبّ والقوّة ،
وإني حيّ فيك ، عليم بنجاويك .

...

انت الحياة بأجمعها ، أولاً وآخراً ، وإني لأحياء بك .
— إنّما انا مصدر الإدراك البشري ،
وسأزيدك إدراكاً بأنك جزء مني .

...

ساعدني اللهم لأجمع قواي الروحيّة والعقليّة والجسديّة ، في
سبيل الحقّ والحبّ والحكمة .

ومما اشتهر به ، كتابته « بذور للزارعين » ، منها :

« لنخدم الله بالأعمال ، ولنسبحه بالأعمال » .

« إنّ الأمين ، وان كان كنوداً ، لخير من المدغل ، وإن

كان هجوداً » .

وله في ارز لبنان قوله :

« رفعتُ حجراً من حجارة الطريق الى في ، فقبلته ورِعاً حامداً آملاً ، قبل ان دخلت الظلال القدسيّة .

وأستغفرُ الارز لامتھاني حرمة عزلته — هذه العزلة الفريدة في أعالي الجبال ، فوق وَكْر النُسور ، وراء حُجب الآفاق .
استغفرتُ الارز لأنّي جئتُ أشقّ ستار كعبته ، جئتُ أستكشف مكنون سرّه .

...

إيه ، رَبَّة الأشجار ، وسَيِّدة الجبلِ الجبّار ، انتِ الرافعة أعلامكِ الخضراء ،

بين هذه الصخور الدكناء ، بنت الجديدين^(١) ، وأخت القمرين^(٢) ، حديثني .

حديثني ، وعلميني ، وارفعي بي الى علياء إيمانك .
فقد جئتُ مستعلماً ، مسترفماً ، مستمداً من ينبوعكِ العالي القوة والحكمة .

حديثني عن رياح الشمال .
هي تجيئني مولولةً نائحة ، فأوقفها لتستريح ، فتستهيل أنفاساً عطرية ،

حدثني عن الغيث اذا همى .

هو يرقصُ على الصخور أمامي ، فتقهقه هازئةً ، ويضربُ على
أوتار قيثارتي ، فتُسمعه أغاني البلابل والأمواج . . . »

ويقول أخيراً ، بعد ان يذكر الثلوج والسيول والصخور
والسحب والفصول ، والجديدين والقمرين والنجوم :

« أرز جبالي ، أرز أجدادي ، لياليك ليالي ، وان نجومك

نجمي » .



ملخص

البحور الستة عشر لصفى الدين الحلبي

ويتبع كل بحر ذكر الاعاريض والضروب المأنوسة

١ - الطويل

طويلٌ له دون البحور فضائلُ فعولُنْ مفاعيلنْ فعولنْ مفاعلُ
عروضه : مفاعِلنْ . وضروبه ثلاثة : مفاعيلنْ ومفاعِلنْ
وفعولنْ .

٢ - المديد

لمديد الشعرِ عندي صفاتُ فاعلاتُنْ فاعِلُنْ فاعلاتُ
له عروضان مأنوسان : (١) فاعِلُنْ . لها ضربان : فاعِلانْ
وفاعِلُنْ . (٢) فاعِلنْ . ضرباها : فَعِلُنْ وفِعْلُنْ ، وهذا قليل
الاستعمال .

٣ - البسيط

إنَّ البسيطَ لديه يُبسِطُ الأملُ مستفعِلُنْ فاعِلنْ مستفعِلنْ فَعِلُ
له عروضان : (١) فَعِلُنْ . لها ضربان : فَعِلُنْ وفِعْلُنْ
(٢) مجزوءة : مستفعِلنْ . لها ثلاثة ضروب : مستفعِلانْ ،
مستفعِلنْ ، ومفعولنْ .

٤ — الوافر

بحور الشعر وافرها جميلُ مفاعلتن مفاعلتن فعولُ
له عروضان : (١) فعولن ؛ (٢) مجزوءة : مفاعلتن . يشبههما
الضرب .

٥ — الكامل

كامل الجمالُ من البحور الكاملُ متفاعلتن متفاعلتن متفاعلُ
له ثلاث أعاريض : (١) متفاعلتن . لها ثلاثة ضروب :
متفاعلتن ، متفاعل ، فعْلُن ؛ (٢) فعْلُن . ضرباها : فعْلُن وفِعْلُن ؛
(٣) مجزوءة : متفاعلتن . ضربها ثلاثة : متفاعلاتُن ، متفاعلاتن ،
متفاعلتن .

٦ — الهزج

على الأهزاج تسهيلُ مفاعيلُن مفاعيلُ
عروضه مجزوءة : مفاعيلن ، وضربها مثلها .

٧ — الرجز

في أبحر الأرجاز بحرٌ يسهلُ مستفعِلُن مستفعِلُن مستفعِلُ
له عروضان : (١) مستفعِلُن . ضرباها : مستفعِلُن ، مفعولن
(٢) مجزوءة : مستفعِلُن . ضربها مثلها .

٨ — الرَّمْلُ

رَمَلُ الْأَبْجَرِ تَرْوِيهِ الثَّقَاتُ فاعلاتُن فاعلاتن فاعلاتُ
 له عروضان : (١) فاعلن . ضروبها ثلاثة : فاعلاتُن ،
 فاعلان ، فاعِلُن . (٢) مجزوءة : فاعلاتن . لها ثلاثة ضروب :
 فاعلاتان ، فاعلاتُن ، فاعِلُن .

٩ — السريع

بَجْرٌ سَرِيعٌ مَا لَهُ سَاحِلٌ مُسْتَفْعِلُن مُسْتَفْعِلُن فاعِلُ
 له عروضان : (١) فاعِلُن . ضروبها : فاعلان ، فاعِلُن ،
 فَعِلُن . (٢) فَعِلُن . ضرباها : فَعِلُن وفَعِلُن .

١٠ — المنسرح

مُنْسَرَحٌ فِيهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ مُسْتَفْعِلُن مفعولاتُ مفتعلُ
 عروضه : مُفْتَعِلُن ، لها ضرب مثلها .

١١ — الخفيف

يَا خَفِيفًا خَفَّتْ بِكَ الْحَرَكَاتُ فاعلاتُن مُسْتَفْعِلُن فاعلاتُ
 له عروضان : (١) فاعلاتُن . ضربها مثلها . (٢) فاعِلُن :
 يشبهها ضربها .

١٢ — المضارع

تُعَدُّ المضارعاتُ مفاعيلُ فاعِلاتُ

له عروض واحدة مجزوءة : فاعلاتن . لها ضرب واحد مثلها .

١٣ — المقتضب

اقتضبَ كما سألوا فاعلاتُ مفتعلُ

له عروض واحدة مجزوءة : مفتعلن ، لها ضرب واحد مثلها .

١٤ — المجث

إنْ جُثَّتِ الحركاتُ مُستفعلنُ فاعلاتُ

له عروض واحدة مجزوءة : فاعلاتن . ضربها مثلها . وهذه البحور الثلاثة نادرة جداً .

١٥ — المتقارب

عن المتقارب قال الخليلُ فعولُنْ فعولنْ فعولنْ فعولُ

له عروضان : (١) فعولن . ضربها ثلاثة : فعولن ، فعول ، فَعْل . (٢) مجزوءة : فَعْل . ضربها مثلها .

١٦ — المتدارك ، ويقال له المحدث

حركات المحدث تنتقل فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُ

- له عروضان : (١) فاعلن او فَعِلْن . ضربها مثلها .
(٢) مجزوءة : فاعلن او فَعِلْن . ضربها مثلها .
-

النقد الادبي

اما النقد الادبي في هذا العصر فقد تمثى على خطه اوربية ،
وبات يتناول المبني والمعنى ، وقد تجرد له غير واحد من الادباء .
ترى نماذج كثيرة منه في ما ينشر في المجلات والجرائد ، وقد
وضعت له ابحاث ورسائل خاصة لاسترشاد الطالب المتدرج
على النقد .

محتويات

صفحة		صفحة	
٢٩	المثل	٣	المقدمة
٢٩	الوصية	٤	خارطة شبه الجزيرة
٣٠	الحكمة	٦	الادب، حده، موضوعه اركانه
٣٠	الخطباء	٨	التاريخ ، فائده
٣١	قس بن ساعدة	٩	الفنون الادبية
٣٢	عمر بن معدى كرب الزبيدي	١٠	الكلام المرسل والسجع
٣٢	وخطباء آخرون	١١	الشعر العربي
٣٣	بعض أيام العرب المشهورة	١٣	اغراض الشعر وانواعه
٣٥	الشعراء الجاهليون	١٤	اولية الشعر
٣٧	الفاظه واساليبه	١٥	الشاعر وتأثيره
٣٨	اوزان الشعر وقوافيه	١٧	الامة العربية وملوكها
٣٩	المهلل	١٧	أثر الامة العربية
٤١	امرؤ القيس	١٩	حياة البداوة والحضر
٤٧	الغابغة الذبياني		العصر الأول : الجاهلية
٥٣	زهير بن ابي سلمى	٢١	الادب الجاهلي وموطنه
٥٨	طرفة بن العبد	٢٢	سلامة الشعر الجاهلي
٦٦	عنتره العبسي	٢٤	النثر الجاهلي
٧١	عدي بن زيد العبادي	٢٥	الخطابة
٧٤	الرواية والرواة	٢٧	نماذج من الخطب والوصايا
٧٤	الخنساء		

صفحة		صفحة	
١٢٦	الادب العربي وأثره		العصر الثاني
١٢٨	النثر العباسي		صدر الاسلام والدولة الاموية
١٢٨	ابن المقفع	٧٧	صدر الاسلام والدولة الاموية
١٣٠	الجاحظ	٧٨	القرآن وأثره
١٣٣	القصة	٨١	الحديث
١٣٤	قصة عنتر	٨١	النثر الاسلامي
١٣٥	قصة الف ليلة وليلة	٨٢	الخطابة
١٣٧	الشعر في هذا العصر	٨٤	بعض مشاهير الخطباء
١٣٩	بشار بن برد	٨٤	علي بن ابي طالب
١٤٣	ابو نواس	٨٦	الحجاج بن يوسف
١٤٧	ابو العتاهية	٨٧	زياد بن ابيه
١٥٠	ابو تمام	٩١	البصرة والكوفة
١٥٥	المجتري	٩٢	الشعر الاسلامي وتقدمه
١٦٠	ابن الرومي	٩٧	مبعث الشعر في ايام الامويين
١٦٦	الثقافة العلمية	١٠٠	عبد الحميد الكاتب
١٦٦	العلوم اللسانية	١٠١	عمر بن ابي ربيعة
١٦٧	العروض	١٠٦	الاختل
١٦٧	علم النحو	١١٣	الفردق
١٦٩	الخليل	١١٧	جوير
١٧٠	سليويه		العصر العباسي الاول
١٧٠	الكسائي		الدولة العباسية
١٧١	علوم البلاغة	١٢٤	

صفحة		صفحة	
٢١٥	العلوم الدينية	١٧٢	الادب
٢١٦	العلوم التاريخية	١٧٣	العلوم الدينية
٢١٧	المسعودي	١٧٣	التفسير
٢١٩	العلوم الجغرافية والعلوم الدخيلة	١٧٤	الحديث
٢٢٠	عصر الانحطاط	١٧٤	الفقه
٢٢١	ابن الوردي	١٧٥	العلوم التاريخية
٢٢٥	الثقافة العلمية والعلوم التاريخية	١٧٦	العلوم الجغرافية
٢٢٥	القزويني	١٧٦	العلوم الدخيلة
٢٢٦	ابن بطوطه		
٢٢٨	النقد البياني		
	الانبعثات او العصر الحربي		
٢٣٠	مارون نقاش	١٨٠	الادب العربي في الاندلس
٢٣١	النثر في هذا العصر	١٨٠	النثر العباسي
٢٣٢	ناصر بن اليازجي	١٨٣	انحلال الدولة العباسية
٢٣٨	بطرس البستاني	١٨٦	المتنبي
	الادب في مطلع القرن العشرين	١٩٣	ابو فراس
٢٤١	ابراهيم اليازجي	١٩٨	ابو العلاء المعري
٢٤٥	سليمان البستاني	٢٠٦	الشعر في الاندلس
٢٤٩	يعقوب حروف	٢٠٨	المعتمد بن عباد
٢٥٣	جهان خليل جهان	٢١١	الثقافة العلمية
		٢١٢	العلوم اللسانية - اللغة
		٢١٣	الادب - ابو الفرج الاصبهاني
		٢١٥	علوم البلاغة

٢٧٧

ملخص في البحور الشعرية

٢٥٩

٢٨١

النقد الادبي

٢٦٥

٢٧١

احمد شوقي

ولي الدين يكن

امين الريحاني



تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨	٢	مشارق	مشارف
٧٢	١١	الاصغر	الاصفر
٨٤	١	الخطأ	الخطباء
٨٦	١٥	فصعد	فصعد المنبر
١٤٣	١٧	الخلقاء	الخلعاء
١٤٤	١٤	يسطوا	يسطو
١٤٤	١٥	استقي	واستقي
١٦٧	١٥	لمنازعات	المنازعات
١٧٠	٣	اخذاً	أخذاً
١٧٠	٧	غير ن	غير أن
١٨٢	١٤	الاصهباني	الاصهباني
١٩٤	١	خرشمة	خرشنة
٢٠٧	٥	مسهل	سهل
٢١٠	٢	الصقر	القصر

89.709.Sa11mA:c.1

سابا، عيسى، ميخائيل

الموجز في الادب العربي وتاريخه

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01034849

